النظرية العامة للقيمة

دراسة للقيم فى الفكر المعاصر

الدكتور

أحمد عبد الحليم عطية

الكتـــاب : النظرية العامة للقيمة

المــؤلف : د/ أحمد عبد الحليم عطية

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٥٢٢٠

الترقيم الدولى : ISBN

977 - 303 - 490 - 9

النظرية العامة للقيمة

دراسة للقيم فى الفكر المعاصر



إهداء

إلـى عـمـرو وأمـيـرة..

«براءة الخبث»

«ليس هدف الخبث هو الإساءة إلى الغير من أجل الإساءة، إن هدفه هو متعتنا الخاصة، كمتعة إحساس يثيره الانتقام أو كمتعة تهيجٌ عصبى حاد. تكفى أدنى مضايقة لإظهار المتعة التى نجدها فى ممارسة قوتنا على الآخر واستخلاصنا منها للإحساس المثير لتفوقنا. فهل هناك، والحالة هذه شىء لا أخلاقى فى التمتع بازعاج الغير؟! هل لذة الإساءة شيطانية؟ ومع ذلك فإننا، فى الطبيعة، نجد متعة فى كسر الأغصان، فى قلع الأحجار، فى مصارعة الحيوانات المفترسة، وذلك لكى نعى قوتنا».

«نيتشه: إنسان مفرط فى إنسانية، الكتاب الثانى، ف١٠٣».

مقدمة

[١]

تعتبر دراسة القيم من أهم الدراسات الفلسفية الحديثة، وأكثرها جذباً للاهتمام باعتبارها تدور أساساً حول الإنسان ونظرته لنفسه وللوجود وعلاقته بغيره. وقد اسهمت جهود كثيرة فى علوم شتى وبمناهج متعددة، فى تحديد مجال هذه الدراسة ومسائلها المختلفة خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، لدى كثير من الفلاسفة والعلماء فى أوروبا وغيرها. وهذه الحقيقة لا تنفى اهتمام الفلاسفة على امتداد تاريخ الفلسفة بكثير من المفاهيم الأساسية والمعانى التى تحدد نظرة الإنسان للخير والجميل والصادق، إلا أن البداية الحقيقية لدراسة القيم لم تظهر إلا فى العصر الحديث. ولا يمكن إغفال الجهود الألمانية المبكرة، سواء لدى علماء الاقتصاد أو علماء النفس، والاجتماع فى تمهيد السبيل أمام الفلاسفة لبحث طبيعة القيم وموضوعاتها وتحديد الإطار العام لمجالها، الذى ظل مرتبطاً بالأخلاق لمدة طويلة فى أبحاث الفلاسفة.

وقد بدأ النظر للقيم أو الاكسيولوجيا كما يطلق عليها باعتبارها مجالاً مستقلاً بعد جهود الكانطية الجديدة، التى كانت لها أكبر الأثر فى دفع هذه الدراسة إلى الأمام، ولا تتمثل أهمية الكانطية الجديدة فقط فى اسهام فلاسفتها فى نظرية القيمة، بل فى تأثيرها القوى على كثير من الفلاسفة المعاصرين فى دراساتهم المختلفة فى القيمة. خاصة لدى نيتشه ولوطزة وريتشل.

وتشتمل الدراسات الحديثة على تصنيفات متعددة للاتجاهات المختلفة فى القيم: الطبيعية والمثالية والمادية والبراجماتية. ونستطيع أن نشير بإيجاز إلى أهم هذه الاتجاهات فى التيارات الطبيعية المختلفة النفسية والاجتماعية

والوضعية، ثم الاتجاه الروحانى المعاصر المتمثل فى جهود الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين، وهم أقرب إلى الاتجاهات المثالية، وقريب من هذا الاتجاه جهود فلاسفة الفينومينولوجيا خاصة شيلر وهارتمان فى ألمانيا وولبرمارشال إيربان فى الولايات المتحدة، ثم الاتجاه الوجودى خاصة لدى نيتشه؛ الذى يحتاج إلى دراسة مستفيضة وسارتر وغيرهم ويقدم فلاسفة الواقعية الجديدة سواء فى أمريكا أو المملكة المتحدة أمثال: وايتهد والكسندر وبيرى نظرات مختلفة فيما يسمى نظرية واقعية القيمة. ونجد صدى لهذه الاتجاهات فى الفكر العربى المعاصر، سواء الوجودية كما تمثلت لدى عبدالرحمن بدوى، أو المثالية عند توفيق الطويل، أو الوضعية عند زكى نجيب محمود.

ونتناول فى دراستنا الحالية «النظرية العامة للقيمة» التى تمثل تمهيد ومدخل لفلسفة القيم فى الفكر المعاصر بعض هذه الاتجاهات فى أربعة أبواب يحتوى كل منهما على عدد من الفصول.

حيث نخصص الباب الأول بفصوله الثلاثة للنظرية العامة للقيمة، فى الواقعية الجديدة عند بيرى الذى يعد أبرز فلاسفة القيم فى الفلسفة الأمريكية، والذى تكشف لنا دراسة فلسفته عن أبعاد جديدة توسع من نظرتنا، وتغير من تشكيل فهمنا للفكر الأمريكى.

والبحث فى القيم على نحو ما ظهر ذلك فى النظرية العامة، وفى آفاق القيمة يرادف عند بيرى البحث فى فلسفة الحضارة. ويبدو وكأنه بحث فى فلسفة الدين حيث يتطابق الخير الأقصى مع فكرة الألوهية. وعمق بيرى وتنوع مصادره يجعل قارئه يظن أنه يصيغ نظرية فى القيمة من خلال تاريخ الفلسفة. وفى الحقيقة أنه يوظف كل المحاولات السابقة فى الوجود والمعرفة والأخلاق ليحدد مفهوماً معاصراً عن القيمة، هذا المفهوم هو إجابة لسؤال لم يطرحه أحد من منظرى وفلاسفة الأخلاق بالمعنى التقليدى، يدور حول معنى القيمة فى مفهومها الشامل الذى يمكن أن ينطبق على القيمة الاقتصادية والأخلاقية والجمالية والدينية والعلمية.

وبالنسبة إلى بيرى، ليس هناك بين فلاسفة الأخلاق فى مدارسها المختلفة قديمها وحديثها من فهم القيم هذا الفهم العام أو طرح السؤال الشامل حول ماهيتها، مما جعله يتناول مختلف الآراء فى فهم الخير (القيمة) بدء من الفهم الميتافيزيقى لدى أفلاطون وأرسطو وأفلوطين وتوماس الأكوينى، ومروراً بالرواقية، ثم الفهم الابستمولوجى فى المثالية الحديثة لدى كانط وأتباعه: ريكرت وفندلباند حتى يصل إلى الآراء الأخلاقية الحديثة والمعاصرة محاولاً أن يبين فهمه الخاص للقيمة.

وإذا كان بيرى يحاول من أجل أن يصيغ فهمه لنظرية عامة أن يستعرض المحاولات السابقة عليه فى إثارة السؤال، فإن هذا البحث يتابع بيرى فى محاولته من جهة، ومن جهة أخرى يربط أفكاره المختلفة فى القيم والجمال والأخلاق بآراء أخرى لم يتعرض لها بيرى، لكنها تلتقى معه إيجاباً وسلباً فى نفس ما يطرحه من أفكار.

والحق إن دراسة القيم عند بيرى تواجه صعوبات كثيرة منها ضرورة التصدى للاتجاه السائد الذى ينكر إمكانية دراسة القيم، والمتمثل فى مختلف المدارس الوضعية التى نشأت فى بداية القرن العشرين وعكست أزمة وتعدد معايير القيم - ومن عدم وجود مقياس - ومن ثم انكرت المجال لكل. وأيضاً فمحاولة صياغة نظرية عامة ينبغى أن تشمل النتائج المعترف بها فى مجالات العلوم المختلفة، وذلك بتجاوز الصعوبات النظرية والمنهجية داخل كل علم، يتضح ذلك ببيان محتويات هذا الباب الذى يشمل ثلاثة فصول:

أولها: عن طبيعة القيمة وتعريفها، ويأتى بعد التمهيد بيان لمفهوم القيمة التكاملية فى الفكر المعاصر، وكيفية نشأة هذا المفهوم، والعوامل التى أظهرت الحاجة الملحة له. ونعرض بعد ذلك للمعايير والشروط التى وضعها بيرى لتعريف القيمة، والتى حددها فى ثلاثة: لغوية، ومنطقية، وتجريبية. وبناء على

هذه المعايير يفند آراء المدارس المختلفة التى تنكر إمكانية إدراك القيمة، وفى مقدمتها الوضعية المنطقية والمدرسة الانفعالية، والاتجاه الحدسى واتجاه فلاسفة اللغة العادية وغيرها.

ويأتى الفصل الثانى، وموضوعه الاهتمام ويحاول هذا الفصل تتبع هذا المفهوم فى الفلسفة المعاصرة لدى الطبيعيين الأخلاقيين مثل بروك، وديفيدايكن، وباركر - التى تكون فلسفته موضوع الباب الثالث من كتابنا هذا - وسانتيانا. ثم تولمان وبيير اللذان أكملا نظرية فى القيمة فى مجال علم النفس حيث يتخذ مفهوم الاهتمام صبغة غرضية نحو هدف معين. بحيث يكون الاهتمام علاقة بين الذات وهذا الشىء كما كانت المعرفة علاقة بين الذات والموضوع. وفى هذا الفصل بيان للمحاولات السابقة التى تقترب من مفهوم الاهتمام وفيه عرض للمفاهيم المختلفة لعلاقة القيمة بالاهتمام، ويتناول الرأى الميتافيزيقى القديم الذى يحدد الرغبة بالإرادة أو الحب الضمنى لله كما لدى أفلاطون وأرسطو والأكوينى، ثم رأى الرواقية فى الرغبة المتطابقة مع الطبيعة ثم المثالية الحديثة أو الشكل المعرفى للإرادة لدى كانط واتباعه، ثم الشكل الأخلاقى للإرادة عند فندلباند ومنستربرج وبرنتانو ومينونج.

ويناقش بيرى رأى مدارس اللذة والمنفعة العامة ويكاد يقترب من رأى صموئيل الكسندر، إلا أنه يختلف عنه فى النقاط التى يظهرها هذا الجزء، ثم تفسير طبيعة الاهتمام عند بيرى وهل هو ذاتى أم موضوعى، والتأكيد على واقعيته، حيث يجمع بين الذاتية والموضوعية فى نظرة علائقية، وهذا التفسير يتضح لنا بعد عرض عناصر الاهتمام المختلفة: الإدراكية والوجدانية والنزوعية.

ونعرض فى الفصل الثالث لنظرية القيمة المقارنة، والتى تحدد مفهوم «السعادة التوفيقية» محور القيم عند بيرى، فهذا الفصل دراسة لمفهوم الخير الأقصى، وينقسم الفصل الحالى إلى عدة فقرات عن: أنواع الاهتمامات والعلاقات بينها، والمعايير المختلفة لقياسها، والنسق الذى ينظمها، والطرق الإجرائية والمقاييس التجريبية التى تحددها، وتجعل من هذه النظرية صياغة

معاصرة لمذهب المنفعة العامة الذى عدل على ضوء تفسير بيرى النفعى لمفهوم الواجب الكانطى، بحيث تنتقل الاهتمامات من المستوى النفسى إلى المستوى الاجتماعى والخير من الوسيلة إلى الغاية والسعادة إلى توافق الاهتمامات فى نسق كلى يكاد يكون كونى يقترب تجريبياً من مفهوم الألوهية.

[٢]

ويأتى الباب الثانى أيضاً فى فلسفة القيم الأمريكية لدى إيربان W.M.Urban(١٨٧٣ ـ ١٩٥٢) الذى يعد أبرز فلاسفة القيمة ومن أوائل من قدموا نظرية منظمة ومنهجية فى هذا المجال الجديد فى كتابه الصادر ١٩٠٩ بعنوان «التقييم: طبيعته وقوانينه» فقد شغل أيربان بمشكلة القيمة التى كانت بالنسبة إليه ليست فقط مشكلة نظرية، بل هى رسالة حضارية تشغل العصر.

وكان الاهتمام بالقيم عنده هو المحور الأساسى فى كل كتاباته، التى استمرت طيلة ما يقرب من نصف قرن. لا يتمثل ذلك فى كتبه المتعددة: التقييم، العالم المعقول، الميتافيزيقا والقيمة. ولكن أيضاً فى مقالاته التى لا تحصى فى المجالات الفلسفية المختلفة، والتى نتبين منها أن فلسفته كانت فى تطور مستمر. فإيربان من الفلاسفة أصحاب التفكير الحى المتطور، الذى لا يتوقف عند اتجاه معين أو نزعة فلسفية محددة من النزعات المختلفة التى شغلت الفكر الفلسفى فى العقود الأربع الأولى من هذا القرن، والتى كان بعضها مضاداً للفلسفة ومهدداً لإمكان قيام مبحث القيم كمجال للدراسة الفلسفية مثل: الوضعية المنطقية أو اتجاهات حصرت نفسها فى إطار ابستمولوجى مثل الاتجاهات الواقعية الأمريكية الجديدة والنقدية.

لقد ارتبط إيربان فترة من حياته بمثل هذه النزعات من خلال دراسته فى برنستون، فقد مال نحو البرجماتية بتأثير وليم جيمس، وشعر فى فترات أخرى أنه أقرب إلى الواقعية. إلا أن ميله الحقيقى وتوجهه الفلسفى كان أقرب إلى ما

أطلق عليه **«الفلسفة الخالدة»** التى ميزت ذلك **«التقليد العظيم»** من أفلاطون إلى هيجل. فتحول بحكم نزعة دينية أصيلة إلى ذلك النمط من الميتافيزيقا الذى أطلق عليه **«ما وراء الواقعية والمثالية»**، والذى توصل إليه بفعل تأثره البالغ باتجاهات الفلاسفة الألمان خاصة المدرسة الكانطية الجديدة، والاتجاه العام الذى ظهر فى العقود الأولى من هذا القرن والساعى نحو إيجاد طريق جديد للفلسفة والذى تبلور فى الفينومينولوجيا.

والفينومينولوجيا مرحلة هامة للغاية فى تطور إيربان الفلسفى، حيث أظهرت لنا كتاباته المختلفة محاولة جادة من محاولات دراسة القيم دراسة فينومينولوجية. بحيث يمكن تحديد مرحلتين أساسيتين فى تفكيره: الأولى سيكولوجية فينومينولوجية، والثانية هى ميتافيزيقا القيم.

والحقيقة أن دين إيربان للفلاسفة الألمان كان كبيراً كما يعترف هو نفسه، وخاصة فى مجال القيم، ويكفى أن نقرأ اعترافه فى بداية سيرته الذاتية الفلسفية التى أطلق عليها عنواناً ذا دلالة هو **«الميتافيزيقا والقيمة»**. مدى تأثير قراءة كتاب نيتشه «جينالوجيا الأخلاق» عليه وعلى معتقداته. وفى الحقيقة إننا يمكن أن نضع أسماء كل من: فندلباند، وريكرت، ومينونج، وهوسرل، وهارتمان باعتبارهم مصادر هامة أثرت فى تفكيره الفلسفى عامة، وفى كتاباته فى نظرية القيمة بشكل خاص.

لقد حاولنا فى هذا الفصل أن نعطى فكرة عامة عن موقف إيربان المتفرد فى الفلسفة الأمريكية المعاصرة الذى يسعى إلى تأكيد تقاليد التراث الفلسفى فيما أطلق عليه «الفلسفة الخالدة» التى ميزت تاريخ الفلسفة من أفلاطون إلى هيجل مقابل نقده لما أطلق عليه تيارات الحداثة الفلسفية، الوضعية والطبيعية التى تتنكر للمعقولية الفلسفية وللقيم باعتبارها جزءاً أصيلاً من الوجود. وهى نفس إشكالية الأصالة والمعاصرة فى الفكر العربى المعاصر أو التراث والحداثة التى شغل بها مفكرينا. حيث كانت المحور الأساسى لتفكير إيربان الذى ينتمى إلى اتجاه الأصالة الفلسفية.

ونتوقف فى الفصل الثانى من هذا الباب أمام بعض الأعمال الأساسية التى تحدد توجه إيربان الفلسفى عامة: «الميتافيزيقا والقيمة» ونزعته الأكسيولوجية وكتاباته فى القيم بترجمة عدة دراسات هى: «**نظرية القيمة**»، وهى عرض شامل لطبيعة القيمة وتاريخها والنظريات المختلفة فى تفسيرها. و«**الاكسيولوجيا**» وهى الدراسة التى تعرض إسهامه الخاص ونظريته المحددة لهذا المبحث. ومقالته «**ماوظيفة النظرية العامة للقيمة؟**»، وكذلك «**التقدير والوصف وسيكولوجيا القيم**»، و«**الميتافيزيقا والقيمة**» التى توضح فهمه للقيم باعتبارها هى الفلسفة والميتافيزيقا فهى المبحث الأشمل الذى ندرس من خلاله القيم.

[٣]

ونتناول فى الباب الثالث «ميتافيزيقا القيم عند دويت باركر» فى فصلين ونعرض فى الفصل الأول القيم فى المثالية التجريبية عند دى ويت باركر فى تمهيد وعدة فقرات، حين نتحدث فى التمهيد عن تكوينه الفلسفى ومصادر أفكاره. ونعرض للنظرية العامة للقيمة من خلال كتاباته موضحين العوامل الجوهرية والأبعاد الأساسية للقيمة. وننتقل فى فقرة ثانياً لبيان موقفه من النظريات المختلفة للقيمة ونقده لها - سواء نظرية القيمة الكامنة أو نظرية الكيفيات الثالثة - والقيمة اللامعرفه وغيرها. حتى يتسنى له الحديث عن حالات القيمة التى حددها لنا فى: الموضوعية، والعلائقية والذاتية وهم موضوع الفقرة ثالثاً وفى الفقرة التالية نتناول تعبيرات القيمة والمعرفة انطلاقاً من تقسيم باركر لغة القيمة إلي عبارات عاطفية وعبارات عملية، وهذا ينقلنا للحديث عن ميتافيريقا الخبرة التى تؤسس لخبرة القيمة فى الفقرة خامساً. مما يوصلنا إلى النسق المطلق عنده.

ونتناول فى الفصل الثانى من هذا الباب العلاقة بين القيم والجمال عند باركر مع تقديم نص الاستطيقا الذى يوضح نظرته الجمالية أو إتخاذه من الجمال أساساً للقيم.

[٤]

ونخصص الباب الرابع للقيم فى الفكر العربى المعاصر فى فصلين، الأول عن التيارات المثالية المعدلة عند توفيق الطويل، والمثالية الروحانية عند نازلى إسماعيل ثم الإجتهاد المتميز للدكتور صلاح قنصوة عن القيم باعتبارها تعبير عن الفاعلية الإنسانية ثم جهود عادل العوا من سوريا و.لربيع ميمون من الجزائر، وعلى زيعور من لبنان. ونخصص الفصل الثانى لجهود زكى نجيب محمود بين الوضعية المنطقية والمدرسة الانفعالية، إنطلاقاً من تحليل أعماله المبكرة: «الجبر الذاتى» ثم موقفه الوضعى العلمى فى: موقف من الميتافيزيقا، ونحو فلسفة علمية والتطورات الأخيرة فى تجديد الفكر العربى والتى تعد امتداداً لنفس الموقف المنهجى التحليلى العلمى لزكى نجيب، الذى يميل نحو المدرسة الانفعالية أكثر من كونه وضعياً منطقياً فى القيم.

وقد اضفنا إلى هذه الطبعة بعض التعديلات، والحقنا بها دراسة حول القيم عند نيتشه فى نهاية الكتاب، ومن الجدير بالذكر أن دراسات هذا العمل سبق ظهورها بشكل مستقل، فالباب الأول هو جزء من دراستنا القيم فى الواقعية الجديدة والبابين الثانى والثالث ظهرا فى كتابين بنفس عنوانيهما ودراستينا عن د. توفيق الطويل ود. زكى نجيب ظهرتا فى الكتابين التذكاريين عنهما ولأننا سبق أن أهدينا عملينا ميتافيزيقا القيم عند باركر للأول ونظرية القيمة عند ايربان للثانى. فكذلك هذا العمل باكمله تحية إلى ذكرى كل منهما: توفيق الطويل وزكى نجيب محمود.

أحمد عبد الحليم عطية

القاهرة ١٤/٧/٢٠٠٣م

الباب الأول (*)

النظرية العامة للقيمة

فى الواقعية الجديدة عند بيرى

(*) هذا الباب يمثل جزء من دراستنا «القيم فى الواقعية الجديدة».



الفصل الأول

النظرية العامة للقيمة
طبيعتها وتعريفها

١ - تمهيد :

لم تكن نظرية بيرى العامة فى القيم إلا امتدادا للاهتمام المعاصر بالبحث فى القيم ـ موضوع هذا البحث ـ *Values* المسمى الأكسيولوجى *Axioligy*. هذا الفرع الذى يعد أحدث فروع الفلسفة وأكثرها تطورا وذيوعا فى العصور الحديثة(١). وذلك بالمقارنة مع مبحثى الأنطولوجيا والأبستمولوجيا. فالبحث فى القيم لم يكتشف إلا فى العصور الحالية، ويعد اكتشافها أعظم إنجاز فلسفى للعصر.

وقد كانت دراسة «القيمة» تعد مبدأ أساسيا فى الاقتصاد، وظهرت نظريات عديدة تبحث فى طبيعتها، إلا أنها لم تعرف علميا إلا فى القرن التاسع عشر كواحدة من الموضوعات الفلسفية الأصيلة. صحيح أن الفلاسفة قد ناقشوا منذ القدم موضوعات مثل: الخير والحق والفضيلة والعدالة والجميل والصدق، إلا أن تصور القيم لم يتضح إلا فى الفلسفة المعاصرة حيث صار يشغل منزلة الصدارة بين موضوعات الفلسفة من حيث الأهمية. وكما يقول الفيلسوف الأمريكى المعاصر ولبر ايربان *W.Urban* (١٨٩٧٣ ـ ١٩٥٢)(٢) وهو من أوائل الباحثين فى

---

(1) Riisiert Frandzi: What is value, open court publishing company, 1974. p.3.

(٢) انظر بحثنا عنه فى كتاب: نظرية القيمة ونصوص أخرى دراسة وترجمة لأعمال ايربان . دار النصر، القاهرة ١٩٩٤ دراسة تلميذتنا إيمان عبدالمجيد، عالم القيم عند أيربان رسالة ماجستير غير منشورة تحت إشرافنا، آداب القاهرة ١٩٩٧، والقسم الثانى من الكتاب الحالى.

نظرية القيمة المعاصرة: «نادرا ما كان هناك فى تاريخ الفكر وقت شغلت فيه القيمة مكان الصدارة بهذا الشكل مثل الوقت الحالى». وهو يرى أن التغير الأساسى فى القيم الفعلية للجنس البشرى أو ما يطلق عليه «الأخلاق القلقة الخاصة بنا قد خلق ما يمكن إن يوصف بالتغير التدريجى لمركز الجاذبية الفلسفى من مشكلة المعرفة إلى مشكلة القيم، بل ان مشكلة المعرفة ذاتها فى بعض الميادين قد أصبحت مشكلة للقيمة»(٣). والأسباب التاريخية لهذا التغير فى المواقف واضحة تماماً وهى تبدو فى الانتقال من العقلانية إلى الإرادية، والنظام القاسى للروح البشرية الذى يبدو فى التطبيق الكلى لمفاهيم النشوء والصراع من أجل الوجود هذا التغير التدريجى يجىء من دعوة نيتشه إلى إعادة تقييم القيم(٤).

والاتجاه الذى يرمى إلى خلق مجال جديد للقيم يرجع إلى الفلسفة الألمانية؛ حيث يعد الأب المؤسس لحركة القيمة فى الفلسفة الحديثة هو ردولف هرمان لوطزه (١٧٨١ ـ ١٨٧١)، الذى يعد أول من حلل القيمة من الناحية الفلسفية، لأنه ارتأى أن نقطة البداية فى الميتافيزيقا هى الأخلاق. وشاركه فى هذه الجهود زميله اللاهوتى ريتشل فى مؤلفه «الدفاع عن المسيحية»، ثم تابع الفلاسفة الألمان جهودهم فى هذا المجال.

ونستطيع أن نتبين أن التطور اللاحق فى نظرية القيمة يرجع إلى اتجاهين أساسيين ظهرا فيما يسمى بالمدرسة الألمانية (النمساوية) الأولى، والثانية. والأولى هى المدرسة الاقتصادية التى تضم المتخصصين فى القيمة الاقتصادية أمثال: مانجر وفون وايزر، وفون بوهيم بافرك(٥) وهذا يوضح أن علماء الاقتصاد

---

(3) *W.M.Urban: Valuation, Its nature and lows, librory phil, George Allen uniw Ltd, 1909, pp. 1 - 3.*

(٤) الاهتمام المعاصر بالقيم يرجع إلى نيتشه «فهو يعتبر الأب الروحى لفلسفة القيم وإليه يرجع الفضل فى البحث عن طبيعة القيم وكيفية تصنيفها» انظر أيضاً دراستنا عن الأخلاق عن نيتشه.

(5) *Nicolas Rescher: Introduction to value theory, prentice inc., Englewood cliffo, New jersey, 1969, pp.50 - 51.*

كانوا أسبق أهل العلوم الاجتماعية فى الاهتمام المعاصر بالقيمة، فقد عكفوا منذ قرن مضى على البحث فيها، وفى الدور الذى تلعبه فى حياة الإنسان، وتعمقوا دراستها وتحليلها، وما يتصل بها من إشباع الحاجات والرغبات حتى وصف بعضهم علم الاقتصاد بأنه علم القيمة»[٦] فعلماء الاقتصاد من أمثال: آدم سميث، وجون ستيورات مل قد وسعوا المعنى الاقتصادى الضيق فميزوا بين القيمة فى الاستعمال، والقيمة فى التبادل، وبهذا مهدوا الطريق أمام تعميم استعمالها فلسفيا»[٧].

وهنا ينبغى أن نؤكد على فضل الاقتصاديين؛ نظرا لأن الفلاسفة قد بحثوا فى نظرية القيمة بتأثير من هؤلاء الذين قاموا بتحليل أولى للقيمة بمفهومها الاقتصادى نتج عنه مشكلات كثيرة ذات أهمية سيكولوجية وفلسفية. ومع أهمية هذا التفسير الذى يوضح أسبقية علماء الاقتصاد فى دراسة القيمة، إلا أن القيمة بمعناها العام تختلف عن القيمة الاقتصادية[٨]. بالإضافة إلى أن نظرية القيمة فى مفهومها المعاصر أشمل من القيمة الاقتصادية. وبالتالى فجهود علماء الاقتصاد يجب أن تكمل فى نطاق نظرية عامة تخضع الاقتصاد للأخلاق. إلا أن التفكير الاقتصادى المركز ليس ملائما ليعد مثل هذا العمل.[٩]

---

(٦) د. توفيق الطويل: القيم العليا فى فلسفة الأخلاق بحث بمجلة «عالم الفكر» الكويتية المجلد السادس، العدد الرابع ١٩٧٦، ص٢١١ - ٢٥٨.

(7) R.P.Perry: Realms of value, p. 4,250.

(٨) د. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة، مدخل إلى مبحث القيم، ص٢٧١ - ٢٧٢. ويشير إلى هذا التقابل كلمة الكاتب «رولان درجليس» عجبا لهذا العصر! الناس جميعا يتحدثون عن «ثمن الأشياء، ولكن أحدا لم يعد يعرف مالها من «قيمة» ! «عن د. عثمان أمين: الجوانية: دار القلم، القاهرة ١٩٦٤، ص٢١ الهامش.

(9) R.B.Perry: General theory of value, p.6 - 7.

والمدرسة الألمانية الثانية فى القيمة (المدرسة الفلسفية) تشمل: برنتانو، وكلا من اهرنفلس، وميونيج، وأيضا تلاميذ مينونيخ: أوسكار كرواس، وارنست ميلى الذين بحثوا القيمة بمعناها الفلسفى العام بتأثير من أسلافهم السابقين(١٠). وبالإضافة إلى هؤلاء هناك مدرسة بادن الكانطية الجديدة التى أسسها فيلهلم فندلباند (١٨٤٨ - ١٩١٥)، وريكرت، وتطورت لدى هوجو منستربرج. وقد أثرت المدرسة الألمانية للقيمة فى الفلاسفة الأمريكيين باتجاهها نحو إيجاد نظرية عامة للقيمة، واتضح هذا التأثير لدى كل من: بيرى وباركر وايربان «وبما يتفق مع المفهوم الشامل للقيمة فقد حاول فلاسفة القيمة من المدرسة الألمانية والذين أثروا تأثيرا جوهريا فى معظم الكتاب الأمريكيين والإنجليز أن يجدوا نظرية عامة للقيمة مشارا إليها كعلم للقيمة»(١١).

والتأثير الألمانى على نظرية القيمة الأمريكية لم يكن راجعا فقط إلى أن الممثلين الرئيسيين للفكر الأمريكى فى بداية القرن الذين درسوا فى ألمانيا، وقد سمع الأمريكيون الشماليون القيمة *Walue*قبل أن يسمعوها *Value* وذلك بسبب النطق الألمانى الخاص بهوجو منستربرج الذى درس بهارفاد ١٨٩٧، كان واحدا من الذين نقلوا نظرية القيمة إلى الولايات المتحدة(١٢).

لقد وصل التأثير الخاص بالقيمة الألمانية على الفلاسفة الأمريكيين درجة كبرى حتى أن بعض الباحثين يرجع الاختلافات الجزئية البسيطة بين مدارس القيمة فى الفكر الأمريكى وتعريفاتها الجزئية إلى مثيلاتها الأصلية فى الفكر الألمانى. ويمكن العرض لهذا الموضوع بشىء من التفصيل على النحو التالى: طور برنتانو فى محاضراته فى علم الأخلاق فى جامعة فيينا من عام ١٨٧٦ حتى ١٨٩٤ العمل الأساسى لنظريته فى القيمة محددا أساس التقييم فى عواطف الإنسان وربما تكون كلمة المواقف اصطلاحا أفضل خصوصا بسبب التناقض بين

---

(10) Nicolas Rescher: Ibid, p.50.

(11) Ibid, p.50.

(12) Riseiri Frandzi: What is value, p.49, Perry, Realm of value, p.4.

مركب العواطف «الإيجابية» الحب، الميل، السرور بخصوص شيء ما، التفضيل،.. الخ وأيضا العواطف «السلبية» الكراهية، عدم الميل، النفور وقد وصف الفئة الأولى من الأفعال العاطفية بأنها حب والثانية بأنها كراهية.

وقد طور مينونج تلميذ برنتانو تحليلا منظما للتقيم بما يتمشى مع أفكار أستاذه. وفى معالجة كل منهما، القيمة ليست مستقلة بذاتها أمام الأشياء، ولكنها سمة اشتقاقية تنبع من علاقة الأشياء بالبشر الذين يتفاعلون معها تجريبيا. ومع ذلك فلها أساس موضوعى فى مميزات الموضوعات الخاصة بها. والقيمة بهذه الصورة ذات الأساس الموضوعى المستقل عن الفكرة والعاطفة والخبرة ترتبط بالنتيجة التى ترى خبرات القيمة إما أن تكون مناسبة أو غير مناسبة، وهذا المفهوم للصلاحية الموضوعية لدى مدرسة برنتانو تم التمسك به بواسطة تابعى هوسرل فى الفينومنيولوجيا مثل شيلر وأيضا فى كتابات هارتمان.

وهناك رأى مهم آخر يقابل معالجة برنتانو ومينونج قدمه اهرنفلس الذى أنكر أن يكون أساس القيمة هو العاطفة أو بالأحرى الهوى أى اللذة والألم، ورأى أن أساس القيمة يكمن فى الرغبة، على العكس من مينونج الذى تابعه فى أمريكا برال، الذين رأوا أن الهوى أمر أساسى للرغبة، ففى رأيهم اننا نرغب فى شىء ما لأن تأمل وجوده وملكيته يعطينا سرورا، على هذا فإننا نرغب فى شىء ما لأننا نقيمه. وقد رأى اهرنفلس وقد تابعه بخصوص هذا الموضوع بيرى فى أمريكا أننا نقيم شيئا ما لأننا نرغبه، فالرغبة هى الشىء الأساسى(١٣)، وهى التى تحكم القيمة حيث إن السرور يلى الرغبة، وطالما رغبنا فى شىء، فإننا نرغب فى السرور من تأمل إدراكه أو اكتسابه (١٤). وينبغى أن نلاحظ أن جدل مينونج - اهرنفلس، الذى تابعه فيه برال، وبيرى على التوالى كان نزاعا داخليا لنظرية «لذة القيمة» حيث نظر كل منهما إلى السرور على أنه مفتاح القيمة.

---

(13) J.Laird: Recent philosophy: the home uni, library of Maderden knowledge, 1945, p. 223, & Nicolas Researcher, p.51.

(14) Nicol Rescher, pp.52 - 53.

إلا أنه ينبغى علينا أن لا نغالى فى تأثيرالمصادر الأجنبية على الفكر الأمريكى خاصة فى تطوراته الحديثة. فتطور نظرية القيمة فى كل من انجلترا وأمريكا يعد جزءا من التطور العام للفلسفة فى كل من البلدين، حيث تتصل الميول الحديثة فى علم القيم بالحركتين المميزتين للفلسفة الأمريكية المعاصرة الواقعية الجديدة والبراجماتية(١٥).

وإذا اعتبرنا - تجاوزا - التأثير الألمانى مصدرا أو دافعا (أكاديميا) - أى يعود إلى الاهتمام النظرى - لنظرية القيمة الأمريكية فهناك بالإضافة إليه سبب آخر يمكن أن نطلق عليه طبيعة العصر، فقد أسرعت الأحداث بتخمر الأفكار الجديدة فيما يختص بالقيم. حيث كانت أعمال الفلاسفة الأمريكيين محملة بأحداث العصر المتلاحقة. وعلى المستوى النظرى فإن نظرية القيمة كانت مثارة من قبل تبعثر التقيمات التقليدية نتيجة الحرب العالمية الأولى، وعلى المستوى العملى فقد شارك الفلاسفة فى ذلك. فلم تنشأ الفلسفة المتعلقة بالقيم من فراغ بل كانت متصلة بالسياقات المتغيرة للحياة. وعلى هذا كما يقول اندريا ريك فقد أصبح الماضى مسرحا لميلاد ونمو فرع جديدة من الفلسفة هو النظرية العامة للقيمة فى أعمال بيرى وباركر وايربان وذلك منذ أصبح المجال الكلى للخبرات وأحكام وتجارب القيمة الإنسانية موضوعا للبحث(١٦). وهذا يؤكد قول ايربان: «إن تطورعلم القيمة، أوالنظرية العامة للقيمة، أمر ذو دافع مزدوج حضارى وتكنيكى».(١٧)

وتلبى نظرية بيرى العامة فى القيمة هذا المطلب المعاصر بدافعيه «فقد كانت إحدى الإنجازات الجوهرية فى النزعة الواقعية الجديدة الأمريكية، والتى كانت قادر على أن تواجه مواجهة فعالة الأخلاق الثابتة المتعارف عليها»(١٨) وفى هذا

---

(15) Riseiri Frandzi. p.51.

(16) Andrew Reck, introduction.

(17) W.M.Urban, Axiology, in Twentieth country phil.

(١٨) هربرت شنيدر: تاريخ الفلسفة الأمريكية: ترجمة د. محمد فتحى الشنيطى، دار النهضة المصرية، القاهرة ص٤٢٥.

يقول جون ليرد «أن بيرى استطاع أن يظهر أن التحول التاريخى فى قيمنا يعتمد على تكون ونشوء وتغير الاهتمام وعلى تغير ونمو أهداف المجتمعات البشرية»[١٩] وعلى هذا تعد نظرية بيرى فى القيمة امتدادا لموقفه الواقعى الجديد وتجىء متسقة معه، فقد انتقل بيرى من واقعيته التكنيكية إلى واقعية عملية ونجد التقاء هذين النوعين فى نظريته العامة للقيمة[٢٠].

وإذا كان هناك من الشراح من يعتبرون نظرية بيرى فى القيمة هى الأساس لنظرية أكثر شمولا للحضارة الإنسانية ويستدلون على ذلك بأن بيرى فى الفقرة الختامية للنظرية العامة فى القيمة قد نظر وراء تعاريف القيمة الشاملة ومقاييس القيمة المقارنة، ووعد باستخدام هذه المبادىء لتصحيح الحدود وإقامة نظام بين مجالاتها الموثوق بها تاريخيا فإن هذه الخاتمة لم تظهر حتى عام ١٩٥٤ عندما نشر بيرى «آفاق القيمة»، وهى كما ينص عنوانها الرئيسى «دراسة نقدية للحضارة البشرية على ضوء نظرية الاهتمام» وفيها تبدو الحاجة عاجلة لدراسة نقدية للحضارة[٢١].

هذا التفسير لنظرية القيمة لدى بيرى، والذى يطابق بينها وبين مجالات الحضارة البشرية يؤكد مفهوم التكامل، الذى يتضح فى الوحدة العضويه بين كل من النظرية العامة وآفاق القيمة. ففى تقديمه للنظرية العامة يقول: «هذا العمل له امتداد فيما أسميته آفاق القيمة الذى تناولت فيه مختلف الأنماط للقيمة، أما هنا فقد حددت معنى القيمة،ووضعت مبادئها الأساسية»[٢٢] وتأكيدا للتكامل

---

(19) *J.Laird, Recont Philosophy, p.233.*

(20) *J.Blau, p.288.*

- انظر أيضاً مقدمة د. زكى نجيب محمود للترجمة العربية لآفاق القيمة التى قام بها د. عبدالمحسن عاطف سلام، دار النهضة العربية بالقاهرة.

(21) *Andrew Reck: p.35.*

(22) *R.B.Perry: General theory of value, p.694.*

بين هذين العملين قال فى مقدمة «آفاق القيمة»: «بعد أن ناقشت الطبيعة العامة للقيمة، وأوضحت المبادىء التى تحدد أنواعها وتغيراتها الفجائية فى عوالمها الحقيقة يكون الجهد الحالى الذى أقدمه الآن هو الجهد المتمم الصحيح لعملى هذا»[٢٣] وهذا ما جعل البعض يرى أن بيرى يؤكد مفهومه عن القيمة على أنها موضوع للاهتمام بعد ٢٨ عاما فى آفاق القيمة حيث عبر عن نفسه باصطلاحات أعاد فيها تأكيد صياغته السابقة[٢٤]. وبالتالى فنحن نستطيع من خلال كتاباته المختلفة فى القيم والتى جاءت تاريخيا بعد واقعيته الجديدة أن نحدد الخطوط العريضة للنظرية التكاملية فى القيمة لديه.

وكتابات بيرى فى فلسفة القيم متعددة فالإضافة إلى عمليه الأساسيين «النظرية العامة فى القيمة» ١٩٢٦، «وآفاق القيمة» ١٩٥٤ نجد أيضا عمله المبكر «الاقتصاد الأخلاقى» ١٩٠٩ وهو توسيع للموضوع الأساسى الموجود فى مقال له بعنوان «تصور الخير الأخلاقى» المنشور فى المجلة الفلسفية ١٩٠٧ وأيضا مقاليه «البحث عن الالتزام الأخلاقى» فى المجلة الدولية للأخلاق ١٩١١، و«وتعريف القيمة» فى مجلة الفلسفة وعلم النفس والمنهج العلمى ١٩١٤، اللذان يحملان نفس المفهوم الأساسى لنظرية القيمة الشائعة فى كتاباته كلها. وبالإضافة إلى هذه الأعمال المبكرة التى حدد فيها بين مفهومه للقيمة هناك مقالات أخرى مثل «القيمة الدينية»[٢٥] وأيضا «القيمة باعتبارها صفة موضوعية» مجلة الفلسفة ١٩٣١ و«القيمة من حيث هى قيمة»، ومقالته عن «أفكار وأخطاء الوعى» وأيضا القيمة الحقيقية والقيمة الظاهرة»[٢٦]، «القيمة الاقتصادية والقيمة الأخلاقية»[٢٧] وهذه الأعمال تحدد الخطوط العريضة لطبيعة عمل بيرى فى القيم.

---

(23) *R.B. perry: Realms of value, Introduction.*

(24) *Riseiri Frandzi, Ibid, p.53.*

(25) *R.B.Perry: Religfious value, the American Journal of theology vol. 1915. pp. 1 - 16.*

(26) *R.B.Perry: Real and Apparent value, philosophical review (1932) p.1 - 6.*

(27) *R.B.Perry: Economic value and Moral value,Journal of Economy Vol., 30, 1916.*

وإذا كان بيرى فى كل هذه الأعمال يكمل البناء العام لفلسفته فى القيم أو يقدم لنا نظرية عامة فى القيمة فهو يؤكد لنا من جهة ثانية سمة أساسية للطابع العام لفلسفته فى القيم، وهو التكامل بين جوانبها المختلفة. والتكامل لا يقتصر على جانب فقط من أعماله بل هو سمة نجدها تربط كتاباته فى القيمة بعضها ببعض وتربطها بفلسفته الواقعية.. فنحن نجد لديه ميلا نحو مواجهة الحقائق. كما يفهمها . يقع فى فلسفته الأخلاقية الاجتماعية كما فى نظريته للمعرفة. ومن هنا يمكن النظر إلى ميتافيزيقا بيرى وابستمولوجيته الواقعية على أنها مقدمة لفلسفة الحياة التى تحتوى على نظرية تختص بطبيعة القيمة ونظرية تختص بظروف وإمكانية تحقيقها، والنظرية الواقعية للحياة كما يقول ريك هى أمر تمهيدى للقيم(٢٨).

٢- المفهوم التكاملى للنظرية العامة فى القيمة :

يسعى بيرى إلى تقديم رؤية متكاملة للقيمة. فمحاولته التى يعرضها علينا هى نظرية عامة للقيمة، يتناولها بمعناها الشامل التكاملى كما يدل على ذلك اسم كتابه الأساسى الذى أصدره ١٩٢٦ بعنوان «النظرية العامة فى القيمة» *Genral theory of value* وهذا التكامل ليس صفة خارجية تعطى لهذه العمل بل هو صميمه وأساس بنائه الداخلى، فالنظرية العامة تقوم على تجميع نتائج مجموعة من العلوم المختلفة وتنتج من خلال توحيد وتكامل هذه العلوم. وهى تبحث القيمة من حيث هى قيمة عامة بصرف النظر عن أى قيمة نوعية. وفى تعريف القيمة بالاهتمام يقدم لنا بيرى هذا المصطلح على أنه مفهوم لأقسام الشعور المختلفة كما يقول ليرد، والخير أيضا هو توافق وتكامل مجموعة من الاهتمامات، وكذلك الخير الأقصى الذى هو انسجام مجموعة من الاهتمامات الخاصة بالأفراد، وكذلك مفهوم السعادة التوافقية.

---

(28) *Andrew Reck, p.21.*

ومنذ البداية يمكن القول إن كون نظرية بيرى عامة، يعنى أنها نظرية شاملة لشرح القيمة بصرف النظر عن أية مشكلة عن نوعية القيم التى نتحدث عنها أو ماهية القيمة الخاصة بالبحث. وقد كان بيرى على وعى بهذه الحقيقة فى الوقت الذى كان يمكن لأى شخص فى موضعه أن يعترف صراحة أن ما هو موضع تقيم يختلف من مكان إلى آخر، أو من شخص إلى آخر، وربما يقيم بطرق مختلفة حتى ولو كان الشخص القائم بعملية التقييم واحد. إلا أن ما يهتم به بيرى حقا فى نظريته ويريد توضيحه هو: ما هو متضمن فى موقف ما يكون فيه شىء ما له قيمة، بصرف النظر عن نوعية هذه القيمة أو عن سبب التقيم، وذلك بالنسبة إلى شخص ما أى كان هذا الشخص. وهذا الذى يسعى إليه هو قضية عامة جدا، ومقبولة جدا، ويمكن التحقيق منها بصفة مستمرة إلى درجة أنه يصعب تصور قيام نزاع حولها(٢٩).

ونظرية القيمة بمفهومها العام هذا برنامج جرىء ذو هدف سام لايمكن التصدى له دون التنبيه لما فيه من تعقيد، فهو يتطلب من الفيلسوف أن يدخل ميادين قد أدلى فيها المتخصصون بأقوالهم ويجد نفسه هاويا بين المحترفين لا يأمل أن يقوم بعملهم المتخصص أفضل مما فعلوه، لكنه يدمج نتائجهم مضيفا إليها بعض العلاقات مستخلصا منها النتائج. وحين يقوم بهذا الدور يكون أشد وعيا بصعوبته(٣٠).

وعلى الرغم من أن هناك كثيرا من العلوم الفلسفية والاجتماعية تناولت القيمة وعالجت مشكلاتها المختلفة كل من جانبه وانتهى كل منها إلى نتائجه الخاصة به والمحدودة، فإن هذه العلوم لم توسع نظرتها أو رؤيتها للمشكلة، كما أن نتائج هذه العلوم قد أوجدت نوعا من التفتيت للقيمة التى بحثها كل منهم. «لكن من الممكن مقابل ذلك أن تتناول هذه المشكلة ونعالجها من خارج هذه العلوم

(29) *Frank & Magill: Masterpieces of world phil., p.580.*
(30) *R.B.Perry: Realms of value, p.14.*

بضم فروعها فى نظريٌة عامة للقيمة»[٣١] فنحن فى حاجة إلى مثل هذه النظرية التى توحد بين العلوم من خلال الفلسفة العامة.

وعمومية نظرية بيرى تبدو فى كونها تضم فروعا شتى من مختلف العلوم الخاصة بالقيمة وعلى هذا فهى تعد حركة فى الاتجاه المضاد لفرقة العلوم وانعزالها. فالغرض منها هو استخلاص لب المشاكل التى تشترك فيها علوم القيمة المختلفة، وتدخل نظرية القيمة «الميادين المخصصة لفيلسوف العلوم الطبيعية والاجتماعية، وعلم الجمال وفلسفة التربية وفلسفة الدين من أجل إيجاد اتحاد بين هذه الميادين من خلال تعريف موحد للقيمة»[٣٢] فهذه العلوم بعبارة أخرى ينبغى أن نتعامل معها باعتبارها نظرية أو أجزاء من نظرية عامة فى القيمة والتقيم. وهذه النظرية لا تنتمى إلى علم معين من العلوم الجزئية بل هى فى الأصل فرع من فروع الفلسفة»[٣٣]. ونظرا إلى أن هناك نوعين من الفلسفة أحدهما تحاول تفتيت المعضلات، والثانية تحاول توحيدها فإن النظرية العامة تنتمى إلى النوع الثانى أكثر من انتمائها إلى النوع الأول، فهى تؤلف مجموعة متنوعة من العلوم الخاصة بالقيمة أولها علم الاقتصاد الذى نشأ بتأثير نتائج أبحاثه تحليل القيمة بمعناها الفلسفى العام. إلا أن محاولة الاقتصادى تحليل القيمة بمعناها الخاص (الاقتصادى) ناقصة وعليه أن يوسع مجاله بربط الاقتصاد بالأخلاق. فلقد أضاف التقدم الحديث فى الاقتصاد اعتبارات جديدة تفترض معالجته وجود نظرية عامة للقيمة «فلإعداد برنامج اقتصادى يجب بالضرورة استخدام المفاهيم الأخلاقية لأن الغاية من أى علاج اقتصادى هى مدى ملائمته للطبيعة البشرية، وهذا يعنى طرح أسئلة من قبيل على أى شىء يعيش الإنسان؟ وأى شىء ممكن أن يضحى من أجله؟ وتلك أسئلة عن قيم الإنسان بالمعنى الشامل»[٣٤].

---

(31) R.B.Perry: General theory of value, pp.9 - 10.

(32) R.B.Perry: Realms of value, Introduction.

(33) R.B.Perry: General theory of value, p.9.

(34) Ibid, p.8 - 9.

لكن هل معنى ذلك أن علم الأخلاق يعادل نظرية القيمة؟ أو أن نظرية القيمة تتجاوز الأخلاق بمعناها التقليدى؟ لن نستطيع الإجابة عن هذا السؤال إلا إذا ميزنا بين معنيين فى استعمال مفهوم القيمة؛ المعنى الأول هو المعنى الضيق الذى يقصر القيمة على الخير ويستخدم اللفظ ليشير إلى معنى الخير أو المرغوب فيه. والمعنى الثانى (المتسع) يفيد كل أنواع الخير والإلزام والفضيلة والجمال والحق والقداسة»[٣٥] أى النظرية العامة للقيمة.

وفى مقابل اهتمام الأخلاقيين بالقيم، نجد أن الاجتماعيين لم يولوا موضوع القيم إلا عناية جد محدودة، يدل عليها قلة ما كتب من صفحات أو أسطر قليلة متناثرة فى مؤلفاتهم، سواء فى علم الاجتماع أم فى ميادينه المتخصصة[٣٦]. إلا أن هناك مع هذا اهتماما معاصرا بالنظرية العامة للقيم. فالقيمة هنا تعنى اسما عاما لكل المحمولات النقدية، مقابل المحمولات الوصفية التى تتعامل مع الوجود، والواقع. والمعنى الأول الذى يقصرها على الخير فقط نجده لدى الفلاسفة الإنجليز الذين يعدون القيمة هى الأخلاق أو جزء من الأخلاق، بينما المعنى الثانى الخاص بالنظرية العامة للقيمة أشمل من الأخلاق: «فمهما اتسع مجال الأخلاق فالنظرية العامة أشمل حيث تعد الأخلاقية غاية، والأخلاق بداية لها، وكلمة خير التى تستخدم دائما فى علم الأخلاق سوف لا تكفى فى البحث الذى يهدف إلى اعتبار الأخلاق فرعا خاصا من اهتمام علماء الاجتماع بالقيم، ومن بين الدراسات الأنثربولوجية الاجتماعية المعاصرة، تحتل القيم الاجتماعية مكانة مركزية بينها. فهى تساير الاتجاه المعاصر الذى يدعو إلى التكامل، لأن الحقيقة الاجتماعية الكاملة لاتظهر إلا من خلال الدراسات المتكاملة. والقيم الاجتماعية تعد مدخلا إلى دراسات الأنثربولوجيا الاجتماعية، ففى دراسة بهذا

---

(35) *Ibid.*

(٣٦) د. فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، دار الكاتب العربى، ١٩٦٧، ص٦، ٧.

العنوان[٣٧] يقدم مؤلفها مجموعة تعريفات للقيمة الاجتماعية أهمها ذلك التعريف الذى يقترب من تعريف بيرى، والذى يعرض القيمة كموضوع للاهتمام الاجتماعى. وفى هذا التعريف يرى أن هناك ثلاث عناصر تلازم أى قيم اجتماعية هى: الموضوع قدرة الشىء على إشباع حاجات اجتماعية، تقدير الناس لهذا الشىء بسبب قدرته على إشباع حاجات حيوية بالنسبة إلى. فالقيمة بهذا المعنى مرادفة لكلمة *Interest* التى يترجمها على أنها (المصلحة)، على أساس ما جاء فى تعرييف قاموس العلوم الاجتماعية من أن *Interest* هى كل ما يستثير اهتمام الجماعة، وما يُعُد مفيدا لها أو مشبعا لحاجة اجتماعية[٣٨]. وتقترب الخصائص الاجتماعية للقيمة الى حد كبير مع مثيلتها عند بيرى، فهى مشركة بين عدد كبير من الناس. كما أنها تستثير اهتمام الفرد والجماعة. وتستهدف صالح الجماعة أو ما تعتقد أنه صالحها وهى (أى القيم) أخلاقية وترتبط بعضها ببعض[٣٩].

وبالإضافة إلى علوم الاقتصاد والأخلاق والاجتماع، فهناك أيضا علم النفس الذى يعد أساس دراسات بيرى فى القيمة، فعند بيرى نجد دراسة القيم بدأت بعلم نفس القيمة، فنظريته تعرف على أنها نظرية سيكولوجية مركزية[٤٠] حيث يواصل جهود علماء النفس ويصحصها ليصل إلى علم النفس الخاص به الذى يقيم عليه نظريته فى القيمة. وتؤكد دراسات علم النفس ضرورة وجود نظرية عامة للقيمة. إلا أن هناك فارقا بين دراسة علم النفس ودراسة (نظرية بيرى) فبينما تقوم نظرية الأخير على الاهتمام كمصدر للقيمة نجد أن الاتجاهات هى مصدر دراسة القيمة عند علماء النفس. ومما يدعم ذلك محاولة السيكولوجيين

---

(٣٧) د. محمد محمد الزلبانى: القيم الاجتماعية مدخل للدراسات الأنثربولوجيا والاجتماعية، النهضة المصرية ١٩٧٢.

(38) Cf: Dictionary of social p. 343 - 344.

(٣٩) نقلا عن المصدر السابق، ص١٢.

(40) Andrew Reck, p.23.

بيان أن للاتجاهات أو الحياة الوجدانية عموما نوعا من الثبات النسبى مثل أى عادة فكرية أو حركية.(٤١)

وبالإضافة إلى هذه العلوم الخاصة بالقيمة يضيف بيرى علوما أخرى معطيا الأولوية لنظرية المعرفة. وبعد أن يتحدث عن الأخلاق والسياسة والاقتصاد وعلم الجمال يتحدث عن فلسفة الدين. «أنه فى كل فروع المعرفة فإن فلسفة الدين هى أهم ما تعتمد عليه نظرية عامة للقيمة، فالدين يتعامل مع القيم سواسية، وهو فى هذا يتعامل مع القيم كقوة عليا مستمدة من الله وهى المرجع للوجود كله والدين ليس عنصرا خاصا منفردا للقيمة بل هو يعمل كإطار لكل القيم(٤٢)

وقد اختلف الباحثون بصدد القيمة الدينية، فمنهم من رآها نمطا فريدا من القيم مثل شليرماخر، وماكس أوتو (ت) ١٨٧٦، ومنهم من رآها مزجا منهما معا هوكنج (١٨٧٣ ـ ١٩٣٢) وفى النهاية هناك رأى أكثر الباحثين (ومنهم بيرى) الذى يرى أن وظيفة الدين هى المحافظة على القيم(٤٣) وهذا النوع من القيم بدأت دراسته مبكرا على يد اللاهوتى ريتشل فى مؤلفة «الدفاع عن المسيحية»، وتبعه فى ذلك كثيرون. حتى إننا نجد لدى بيرى فى نهاية الفصل الثانى والعشرين من النظرية العامة للقيمة حديثه عن الخير الأقصى يبدو فيه كأنه يقدم نظرية فى الدين أو (الألوهية).

وعلى رغم هذا التعدد فى علوم القيمة إلا أن نظرية القيمة فى النهاية ـ هى فرع من فروع الفلسفة، مهمتها التوحيد بين الفلسفة الخالصة والعلوم

---

(٤١) د. محيى الدين غنيم: القيم عند المبدعين: رسالة دكتوراة غير منشورة. إشراف د. مصطفى سويف، القاهرة ١٩٧٨ نشرت بعد ذلك فى دار المعارف بالقاهرة .

(42) *R.B.Perry: General theory of value, pp.8 - 9.*

(٤٣) د. يحيى هويدى: العلاقة بين الدين والفلسفة من زاوية حضارية. بحث من أعمال مؤتمر الفلسفة الإسلامية الأول بالقاهرة من ١٩ ـ ٢٢ نوفمبر ١٩٧٩، من مطبوعات كلية التربية بجامعة عين شمس. القاهرة.

(٤٣) انظر ازفلد كولبه، المدخل إلى الفلسفة، ص١٢٤ ـ ١٢٩. د. توفيق الطويل: أسس الفلسفة.. الفصل الرابع، القيم ص٢٨٣.

الاجتماعية فمهمة بيرى . كما يدعى . هو أن يصل بين العلم والحس العام (المشترك) فينبغى علينا إكمالا للدائرة تناول الجزء الآخر الذى يقدمه بيرى تحت عنوان (قيم الحياة اليومية) وذلك لبيان الحاجة إلى مفهوم عام شامل للقيمة. فنظرية القيمة لديه «يمكن أن تعرف على أنها موضوع حكم نقدى للحياة البشرية»[٤٤] وذلك بتطبيق مناهج العلم على مواقف الحس المشترك، ويضرب لنا بيرى مثلا ليبين وجه الحاجة إلى هذا المفهوم العام فيقول بالنسبة للكتاب فقد يكافأ أو يحكم عليه وعلى مؤلفه بالجهل، من حيث أسلوب كتابة المؤلف وثانيا قد يحكم بأن المؤلف يخدع أو يضلل، وقد يحكم عليه من الناحية القانونية، ورابعا قد يحكم عليه بأنه رخيص من شخص يمكنه أن يشتريه، وخامسا أنه ذو ذوق فاسد من رأى من يحكم عليه من خلال أسلوبه، وسادسا قد يحكم عليه من خلال تأثيره علىَّ كقارئ، وعلى القراء الآخرين بالتعاطف والرحمة.

هذه الأحكام المختلفة: الجاهل، الجيد، القانونى، المبتذل تختلف من ناحية المعالجة عن أحكام أخرى عن الكتاب مثل اللون والوزن والحجم. أن هذه المصطلحات التى يقيم بها الكتاب هى محمولات للأحكام النقدية التى تطلق عليه ومصطلح قيمة تتكامل فيه هذه المجموعة من المحمولات[٤٥] وهذه المعانى المختلفة للقيمة تظهر الحاجة إلى مفهوم أساسى جوهرى للقيمة يكون الأصل، ويجمع المعانى المختلفة حوله، أو تشتق منه، معنى هذا أننا يمكن أن نتحدث عن القيمة الأخلاقية للقيمة، والقيمة الدينية للقيمة، والقيمة السياسية للقيمة، والقيمة الاقتصادية للقيمة،والقيمة الجمالية للقيمة مجموعة مختلفة من القيم الأساسية (العامة) وهذا بالطبع لا يمكن أن يكون هدفا بأى حال لفرع من فروع المعرفة، على الأقل فى كل فروع الفلسفة فمن الشائع لمفهوم القيمة أنه يكمن فى سمة عامة، وتوجد فيه كل القيم الخاصة التى ترى كقيمة واحدة[٤٦]. وهذا ما تدور حوله النظرية العامة للقيمة.

---

(44) Ibid. p.10.

(45) R.B.Perry: General theory of value, p.10.

(46) Ibid. pp.10 - 11.

٣ - تعريف القيمة :

المهمة الأساسية بالنسبة إلى نظرية القيمة هى تعريف مفهوم القيمة. أى إعطاء تحديد عام يشمل كل أشكال وأنواع القيمة. فإذا كان هدف كل متخصص فى أى علم من العلوم هو أن السعى إلى لتحديد مصطلحات علمه الخاص بدقة. فإن الفيلسوف الذى يختص بالأكسيولوجى مهمته تحديد كلمة قيمة التى تعد المحور الأساسى لاهتمامه، أو هى المصطلح الذى ينبغى أن يحدد له معناه الدقيق. بشكل أكثر دقة من الاستخدام الشائع لدى غيرالمتخصصين. وقد أخلص بيرى لهذه المهمة، لقد أخذ كما يقول هربرت شنيدر وكأول مهمة للتحليل الموضوعى أن يبين أن السلوك الغرضى يمكن دراسته وتحديده من خلال مناهج الملاحظة العادية، وفى سلسلة من المقالات قام بتمييز سلوكى بين الوقائع الغرضية والوقائع غير الغرضية، وإذا فعل هذا تهيأ لبناء نظرية عامة فى القيم فى نطاق الاهتمامات الملاحظة[٤٧] وكان الشغل الشاغل له هو تحديد ماهية القيمة وتعريفها يبدو ذلك فى مقالته «مفهوم الخير الأخلاقى»، وتعريف القيمة والفصول الأولى من كتاب «آفاق القيمة»، وكذلك «النظرية العامة للقيمة» التى تعد كلها محاولة لتعريف القيمة بمعناها الكلى الشامل[٤٨].

وفيما يتعلق بطبيعة وتعريف القيمة فإن المسألة حقيقة صعبة، حين نحاول أن نقوم بعمل تحديد للإطار الذى ستدور فيه ومن خلاله نظرية القيمة فمثلنا كمن يقوم بعمل سور حول أرض تخصه فى صحراء ممتدة من جميع الجهات بدون وجود علامات تهديه، وسبب ذلك أن هناك خلطا بين سؤالين أساسيين عن القيمة، السؤال الأول وصياغته: «ما الذى تعنيه كلمة قيمة؟ وهو يختلف فى معناه عن السؤال القائل ما هى الأشياء ذات القيمة؟ ولكى تكون الإجابة عن السؤال الثانى واضحة ودقيقة ينبغى الاهتمام بالسؤال الأول. الذى يعد محور

(٤٧) هربرت شنبدر: تاريخ الفلسفة الأمريكية، ص٤٣٠.

(48) *Andrew Reck, p.21.*

اهتمام نظرية القيمة، حيث إن نظرية القيمة لا تنسب القيم الأشياء إلا فى ضوء معنى القيمة.

وكثير من الناس يتحدث عن معنى القيمة وكأنه شيء تم تحديده ولم يبق إلا توجيه النظر إليه، إلا أنه لايوجد مثل هذا المعنى الثابت للقيمة. لأن مختلف الناس يعنون - بها - أشياء مختلفة فى سياقات مختلفة. وعلى نظرية القيمة أن تعطى معنى دقيقا للقيمة فالمشكلة هى إعطاء معنى دقيق لإصلاح قيمة «وإعطاء مثل هذا المعنى ليس مسألة تعسفية بل ينبغى أن يكون هناك مقياس ضابط أو مجموعة من المعايير التى يخضع لها التعريف(٤٩).

ويقدم بيرى معايير ثلاثة يقبل أو يرفض على أساسها تعريف القيمة ثم يطبقها على تعريفه الخاص. وهذه المعايير لغوية الأصل. يقول: «حين يهاجم التعريف ينبغى أن يدافع عن وجوده من ثلاث نواح: من حيث استعماله للكلمات، ومن حيث الوضوح والدقة والتماسك، ومن حيث قدرته على وصف حقائق معينة فى الحياة يشير إليها ويمكن التحقق منها عن طريقه، وبمعنى آخر ينبغى على التعريف أن يكون فى نفس الوقت تعريفا اسميا وأوليا، وأن يكون تعريفا حقيقيا.

ويقترح بيرى تعريفا للقيمة بأن يربطها بالاهتمام. ويقدم تعريفه على الشكل الآتى: «أى شيء له قيمة، أو يعد قيما فى المعنى الأصلى الجوهرى الجامع حين يكون موضوع اهتمام ما. أى أن القيمة تعرف بالاهتمام، ويتوقف معناها على معنى الاهتمام، وكلما زاد الاهتمام زادت القيمة، فأى موضوع أيا كان يكتسب قيمة عندما يستوعب اهتماما ما أيا كان هذا الاهتمام. ويمكن صياغة ذلك فى شكل معادلة رياضية على النحو التالى س قيمة = هناك اهتمام بـ (س) (٥٠) أى أن القيمة هى العلاقة المحددة التى تكون فيها للأشياء ذات الوضع الأنطولوجى أيا كان حقيقيا أم خياليا ذات صلة مع المواضيع ذات الاهتمام. هذه هى القيمة

---

(49) R.B.Perry: Realms of value, p.2.

(50) R.B.Perry: General theory of value, p.116.

فى معناها الأولى الأساسى الجامع، وبالتالى فإن نظرية القيمة سوف تأخذ الاهتمام كنقطة بداية، وسوف تصف وتنظم القيم باصطلاحات الأشكال المختلفة للاهتمامات.

٤ - معايير القيمة :

سنتناول هذه المعايير المختلفة للتعريف، وخلال استعراضها قد تتكشف أبعادا جديدة تحدد طبيعة القيمة. وهذه النقطة ـ الخاصة بتعريف القيمة ـ من أهم النقاط التى تفجر كثيرا من القضايا لا يملك الباحث إلا أن يعرض لها مناقشا إياها وما تحمله من وجهات نظر قد تعصف بمجال القيم نفسه. وسيتبين ذلك من خلال الثلاثة معايير التى حددها بيرى وبخاصة المعيار الثانى.

(أ) المعيار اللغوى:

وبالنسبة إلى المعيار الأول الذى يقدمه بيرى ليكون ضابطا أو شرطا للتعريف، فهو المعيار اللغوى، فأهم شىء فى التعريف هو أن يخلق استعمالا لفظيا جديدا، وهذا الاستعمال ينبغى أن يأخذ فى اعتباره الاستعمال اللفظى الموجود بالفعل. ويخدم التعريف غرضا معينا هو توجيه الانتباه إلى الموضع المشار إليه فى محيط العقل وهذا يعنى أن التسمية اصطلاحية. أى لفظ جديد أو رمز اصطنع على الفور. وكلمتا «القيمة» وأيضا «الاهتمام» اللتان يستخدمان فى التعريف الحالى اسمان منقولان، وعلى رغم كونهما اتخذا هنا معنى أكثر تحديدا إلا أن لهما تاريخهما الطويل فى الاستخدام، ولهما أيضا قدرتهما على الإيحاء.

وقد ناقش بيرى مدى صلاحية هذين المصطلحين للإشارة إلى ميدان البحث؛ فكلمة قيمة اسم جيد، ذلك لأن تاريخها يشير إلى أن هناك شيئا مشتركا بين الواجب، التقوى، الثمن والفائدة، المثل والدساتير، وتشير فى الوقت نفسه إلى دلالات أخرى تستعير المعنى الجاذب لصفات مثل: «الخير» و «الأحسن و «الحق» و«الوجوب»، وجدير، جميل، مقدس، عادل وأيضا أسماء مثل: السعادة، الرفاهية،

الحضارة، وهى تشير إلى اسم مشترك لاتسميه هذه الكلمات أو إلى محاولة إيجاد اسم مشترك، وتعد كلمة قيمة أحسن كلمة تشير إلى هذا المعنى بتوسع ومرونة.

الأمر نفسه مع كلمة «اهتمام» إلا أن هناك صعوبات عديدة فى تحديد المقصود بهذا المصطلح، «الذى أصبح غامضا جدا بدرجة ميئوس منها حتى إنه سوف يصبح من الأفضل أن ننبذه كاصطلاح تكنيكى» يقول بيبر: «أنه منذ أن استعمل هذا الاصطلاح (الاهتمام) العديد من أهل الثقة بما فى ذلك بيرى وديوى فينبغى أن يحدد معناه بوضوح»(٥١).

وبتطبيق المعيار الأول على تعريف بيرى المقترح للقيمة نجد أن: كلمة قيمة مريحة لغويا وطيعة أيضا، إذ أن لها اشتقاقات الاسم والصفة والفعل فيمكن التحدث عن القيمة *Value*، وعن ما هو قيم *Valuable* وعن فعل التقيم *Valuing* رغم كل الالتباسات والغموض اللغوى الذى يحيط بهذه الاقتباسات، يحاول بيرى تجاوز الصعوبات الناتجة عن الاشتقاق من لفظ Value.

وبالنسبة إلى الاسم تشير الكلمة إلى الأشياء التى لها قيمة، وتستبعد ما يخالف ذلك مثل: الشر والظلم، أى أنها تتناول فقط الموضوعات الإيجابية وترفض السلبية وهى أشياء من الواضح أنها - تنتمى إلى الميدان نفسه من البحث. وبالتالى علينا أن نلجأ إلى التميز بين ما هو إيجابى وسلبى. ومن ثم نعطى معنى أوسع للصفة التى لا تتغير عندما نشير إليهما معا(٥٢) وفى هذا يقول ريزيه فرندز تعتبر القطبية ميزة أساسية للقيم. فبينما تكون الأشياء محايدة، فإن القيم تقدم نفسها كما لو كانت ذات مظهر مزدوج إيجابى وسلبى مثل: الخير والشر، الجمال والقبح، العدالة والظلم، ولا يجب أن نفهم أن سلب القيمة أو القيمة السالبة تتضمن نقصا لقيمة موجبة، فالقيم السلبية توجد بذواتها إيجابيا(٥٣).

---

(51) S.C.Pepper: The sources of value, p.119.
(52) R.B.Perry: Realms of value, p.5.
(53) Frandzi Risieri: What is value, p.10 - 11.

والصعوبة الثانية تأتى من الفعل «يقيم»، يقوم. ذلك لأن أكثر الاشتقاقات غموضا هو ذلك الذى يتعلق بالفعل يقيم فهو قد يعنى أن جعل الشىء قيما أو أن نحكم عليه بأن له قيمة ويعبر عن ذلك بقوله «إننا يمكن أن نقدر شيئا تقديرا عظيما فقد يكون معناه أننا نعنى به عناية فائقة مثل أن يعبد الإنسان المال، وقد يكون معناه أن يضيف له الإنسان قيمة نسبية بأن يحكم على المال أنه أثمن من النوم. ويبدو أن كثرة الاستخدامات الشائعة لمصطلح القيمة أو جدت صعوبة كبيرة فى تناول الموضوع»[٥٤]. وهذا ما يؤكده بوشنسكى الذى يرى أن مجال القيم يقدم صعوبات كبيرة، ربما تكون أعظم الصعوبات بالمقارنة بالمجالات الأخرى وعلى الرغم من أن القيم تبدو لنا بسيطة وواضحة إلا أنه يصبح الأمر معقدا حين نحاول فهمها فهما سليما، وذلك لاتساع مجال القيم بحيث لا يستطيع إنسان أن يستقصيه تماما ولا أن يدرك قيمة واحدة فقط من القيم»[٥٥].

ويحاول لابلى توضيح هذه الصعوبات اللغوية فى كتابه *The lnguage of Value* حيث يقول: «إنه فى المستهل الفعلى لنظرية القيمة يظهر سؤال مهم بخصوص دلالة الألفاظ وتطورها عند تحديد ما إذا كان مصطلح القيمة يشتق من معناها الاسمى أو من معناها الفعلى (المختص بالفعل)[٥٦] ويوضح ذلك قائلا : «إن القيمة يمكن أن تعين سمة أو صفة لموضوع ما، وهذا ما أسميه «المعنى الاسمى» ومن ناحية أخرى فإن القيمة يمكن أن تعين فعلا، وهذا ما أسميه «المعنى الفعلى» ويستخدم الاصطلاح بأى من الطريقتين، لكن يجب على النظرية أن تقوم بالاختيار بينهما. فكثير من مؤلفى نظريات القيمة يتناقشون حول المصطلح الذى قد يعنى بالنسبة لإحداهما صفة، وبالنسبة إلى الآخر فعل. فديوى مثلا وبصفة عامة يهتم بالجانب الفعلى أكثر من الاسمى حيث يغلب عليه تفضيل نظرية

(54) R.B.Perry: Ibid,p.5.

(55) Bochensk. philosophy, An introduction, Harpert, to torck Books, Trans by B.Reidel Doradrecht, London, 1972, pp. 64 - 70.

(56) Roy Lepley: the linguage of value, p. 180.

«التقييم» أكثر من نظرية «القيم» وإن كان ديوى نفسه لا يهتم بالمشكلة اللفظية، بينما بيرى يستخدم كلمة قيمة فى المقام الأول بالمعنى الاسمى. وإذا كانت نظرية القيمة ينبغى أن تكون واضحة بخصوص التمييز بين هذين المعينيين، إلا أنه المعنى الاسمى فيما يقول لابلى مازال أوليا وأساسيا.(٥٧) .

ويهتم بيرى بمشكلة المصطلح، ففى نهاية الفقرة الثالثة من الفصل الأول من النظرية العامة يبين لنا أسباب اختياره للفظ قيمة وتفضيله له على اللفظ الأقدم، خير، وهو يرى أن الاعتراض الرئيسى على اللفظ قيمة قد نشأ من استخدامها فى الاقتصاد حيث استخدمت لفترة طويلة بمعنى ضيق، إلا أن مفهومها الاقتصادى هو جزء متخصص لمعناها العام، ويجب علينا أن نجتهد فى عدم الخلط بين المعنيين، وتفضيلها على كلمة *Worth* من الألمانية *Wert* اعتبارها أكثر التصاقا بالمعنى الاقتصادى، بينما *Value* تستخدم بالمعنى العام، وهى من وجهة نظر بيرى قادرة على امداد علم المصطلحات بمشتقات متعددة من نفس المصدر(٥٨).

(ب) المعيار الثانى: المقتضيات المنطقية للتعريف

وهو معيار منطقى صورى فى الأساس يتعلق بتأكيد المعنى الفكرى مقابل المعنى الوجدانى. «فالتعريف لا يرتبط بالتسمية فقط ولكن بالإدراك أيضا، أى يعطى مفهوما، فهو يضم معانى قديمة لكى يخلق معانى جديدة، وهذا هو الشرط الذى ينبغى أن تحققه النظرية حتى تصبح نظرية. وهذا المعيار يتناول معقولية الأفكار المستخدمة فى التعريف، وكيفية ترجمة العبارات المتعلقة بالاهتمام إلى أقوال خاصة بالقيمة، ومدى اتساق هذه الترجمة أو تناقضها، أى هل تتفق مع القواعد المعرفية أو تتنافى مع المنطق؟ ويثير هذا المعيار كثير من القضايا التى تعترض مبحث القيم والتى تمتد إلى التشكيك فى إمكانية دراسته دراسة علمية، بل وتشكك فى إمكانية قيام هذا المبحث أصلا.

---

(57) Ibid, p. 181.

(58) R.B.Perry: General theory of value, p.21 - 22.

ولكى نفهم هذه الاعتراضات، أو بمعنى أدق وجهات النظر المختلفة المعارضة لمفهوم القيم ـ كما يعرضه بيرى ـ فإن تقديم تخطيط مبسط للاتجاهات المختلفة فى دراسة القيم يبين موقع نظرية بيرى من النظريات المعارضة وأيضا يقدم رده على هذه الاعتراضات والذى يؤكد فيه على المعيار الثانى من معاييره المقترحة أى المعنى الإدراكى مقابل المعنى الوجدانى.

هناك موقفان أساسيان متعارضان فى فلسفة القيم: الأول من يحدد للقيم علما معينا ويعترف بها كمجال للدراسة والبحث، والثانى من ينكر إمكانية هذه الدراسة «فالمعرفة الأخلاقية على مر العصور قد اتخذت موقفين متباينين، أحدهما موقف اليقين المتزمت (الدوجماطيقى) والثانى موقف الشك الجزافى»[٥٩] وهما ما يطلق عليهما بيرى موقف الإدراك، وموقف اللا إدراك. وهذان هما الموقفان الأساسيان وداخل كل منهما اتجاهات فرعية. ففى داخل «الموقف الإدراكى» هناك اتجاهان فرعيان هما:

أ ـ اتجاه التجريبين أو الطبيعيين من جهة.

ب ـ واتجاه الحدسيين، أو اللاطبيعيين من جهة ثانية.

ويرى أصحاب الاتجاه الأول ـ (الطبيعيين التجريبين) ـ وهو الاتجاه السائد فى فلسفة القيم فى الولايات المتحدة ، أن أحكام القيمة مع اختلافها فى وجوه عديدة عن الحقائق العلمية وذلك بالنسبة لموضوعاتها وأغراضها، إلا أنها تتفق مع هذا العلوم فى أنها تستند إلى الملاحظة والتجريب. «فالدعوة ملحة لتطبيق المنهج التجريبى على الموضوعات الأخلاقية بعد تطبيقه فى الموضوعات الطبيعية»[٦٠] وكما يقول فيليب بليررايس: «لقد جاء التجريبيون المحدثون أمثال بيرى وديوى وحاولوا أن يعطونا نظريات أكثر تقدما فى مجالات التجريبية بدون التضحية بالافتراضات الأساسية للتجريبية»[٦١].

---

(59) R.B.Perry: Realms of value, p.119.

(60) R.B.Perry: General theory of value.

(٦١) فيليب بليررايس: فى معرفتنا بالخير والشر. ترجمة د. عثمان عيسى شاهين، الأنجلو المصرية، القاهرة، ص٤١، ٤٣.

ويمثل الاتجاه الثانى الحدسيون، الذين يقبلون جانبا من المناهج التجريبية فى الأخلاق، ويؤمنون بأن هذه الدراسة يجب أن تتم بالالتجاء إلى الحدس الأولى السابق على التجربه. ويمثل هؤلاء الفلاسفة الإنجليز أمثال جورج ادوارد مور(٦٢) د. برود : أ. س . ايونج(٦٣) وديفيد روس.

ويقبل كل من التجريبين والحدسيين افتراض أن هناك علما للخير والحق، وإن كان نوعا خاصاً من العلم وعلى رغم الاختلافات التى بينهم، فالفريقين متفقان على وجود علم للأخلاق أو نظرية للقيم، بمعنى أن المبادىء العامة وأحكام القيم هى صور للمعرفة والإدراك ولهذا يوضع كل منهم تحت العنوان العام «الموقف الإدراكى».

٥ - عدم إمكانية تعريف القيمة :

ومقابل موقف الإدراكيين نجد كثيرا من الفلاسفة والمفكريين ينكرون إمكانية المعرفة الأخلاقية، وهم أيضا ينقسمون إلى عدة اتجاهات هى:

(أ) الوضعية المنطقية.

(ب) المدرسة الانفعالية.

(ج) فلاسفة اللغة العادية.

الاتجاه الأول يمثله فلاسفة الوضعية المنطقية، الذين يتفقون على أن قضايا الأخلاق لا توصف بالصدق أو الكذب، بل هى أوامر فى صيغ لغوية مضللة، ويمثلها كل من اير وشليك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦) وهربرت فايجل، وكارناب ويرتبط بهذا الاتجاه موقف المدرسة الانفعالية التى اتخذت اسمها من التفرقة بين الإدراك والانفعال ومن أهم المدافعين عن النظرية الانفعالية والوجدانية ريشنباخ.

---

(٦٢) انظر دراسة د. محمد محمد مدين: جورج مور.. دراسة فى فلسفته الأخلاقية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩.

(٦٣) د. محمد محمد مدين: الفرد إيونج مقال فى النقد الأخلاقى، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٩ وكذلك ترجمته لكتاب إيونج: مدخل إلى فلسفة الأخلاق، القاهرة د. ت.

واير وكارناب وفى مقدمتهم س. ل ستفنسون الذى جاء بصورة أكثر تقدما فى هذا الموضوع. ثم يأتى موقف فلاسفة اللغة العادية وهم يمثلون اتجاهاً أكثر ممن يمثلون مدرسة، ويتفقون على أن أهم وأخص وظائف تعبير مثل الجميل أو الخير هو أنه يسهل تأدية فعل من الأفعال وهم فى هذا متأثرون بفتجشتين(٦٤) وجورج مور أيضاً، ومعظمهم من اكسفورد وهم: تولمان، ر. م.هير. ستيورت هامبشير، وج. ل أوستن.

ويتفق هذا التقسيم (الإدراك واللاإدراك) للنظريات الفلسفية فى القيمة والتقيم مع تقسيمها إلى نظريات معيارية، ونظريات ما بعد المعيارية، الأولى هى التى تتناول أحكام القيمة والقيم وتطلعنا على ما هو خير وما له قيمة. والنظريات ما بعد المعيارية هى التى تأخذ على عاتقها مهمة تحليل القيمة والتقيم والخير، أى أنها لا تأخذ على عاتقها مهمة وضع أحكام القيمة ولا تخبرنا ماذا ينبغى أن يكون.

وإذا عدنا مرة ثانية إلى تعريف بيرى المقترح للقيمة فى علاقته بالمعايير المختلفة التى حددها سنجد أنه . على ضوء المعيار الثانى الذى يناقش الآن . يواجه مجموعة اعتراضات مختلفة تأتى من موقف الوضعية المنطقية، والمدرسة الانفعالية وفلاسفة اللغة العادية، وهو الموقف اللاإدراكى بالإضافة إلى موقف المدرسة الحدسية، والتى ينبغى على بيرى أن يحدد موقعه من كل منها.

وفى البداية تواجهنا اعتراضات الوضعية المنطقية التى تتخذ موقفا محددا من القيم والأخلاق والذى تتبعها فيه الانفعالية وهو اللاإدراك أو ما يطلق عليه «الشك الجزافى» الذى نجده لدى كل أعلامها على الرغم مما بينهم من فروق.

---

(٦٤) يتضح موقف فتجنشتين من القيم فيما ذكره فى الرسالة المنطقية الفلسفية حيث يقول: «ليس فى العالم قيمة، وإذا وجدت قيمة كانت غير ذات قيمة».

- *"In the world there is on value and if there is were it would be of No value"*.

هذه الجملة هى بقية القضية رقم «٦٤١» المبدوئة بـ «معنى العالم ينبغى أن يكون خارج العالم وكل شىء فى العالم موجود كما هو ويحدث على النحو الذى يحدث عليه».. انظر ترجمة د. عزمى إسلام، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦٨.

ويختلف أصحاب الوضعيه المنطقية اختلافا يسيرا فى فهم القضايا الأخلاقية فكارناب يرى أنها مجرد اوامر، فقولك إن الصدق فضيلة يشبه قولك التزم الصدق(٦٥) أما آير فيميز بين الأحكام الخلقية الفعلية والمواعظ الخلقية وهى الأوامر. فى رأيه. ويرى أن الأولى تعبير عن انفعال وفى كلتا الحالتين لا تعتبر قضايا الأخلاق قضايا علمية تجريبية يمكن التثبت منها بالتجربة. ومع أن آير قد تفادى الاتفاق مع كارناب فى القول بأن الأحكام الخلقية أوامر، الا أنه اتفق معه فى القول بأن جميع الأحكام تتميز بخاصتيين: أنها تعبر عن حالة عقلية، وأنها تؤكد أو تنفى شيئا ما، ولكن الأحكام الخلقية لاتقرر شيئا واقعيا. وهى مجرد تعبير عن حالة عقلية تشير حينا إلى نوع من السلوك مع رغبتنا فى أن يتبعه غيرنا من الناس. وعلى ذلك فهى فى النهاية أوامر فى صورة لغوية مضللة لاتوصف بالصدق والكذب، أى ليس لها معنى، وهو موقف الشك الجزافى أو اللاإدراك.

وإذا صح ما يقوله آير من أن الأحكام الخلقية مجرد تعبير عن وجدانات ومشاعر لكف الأخلاقيون عن كل جدل إذ ماذا يراد البرهنة عليه، هل يجادل فريق للتدليل على أنه يحب سلوكا معينا، ويجادله غيره ليدلل على أنه يمقت هذا السلوك؟ إن الأول لا يساوره الشك فى أن خصمه ينفر من هذا السلوك الذى يطربه، وهذا على يقين من أن خصمه يمتدح هذا السلوك ويميل إليه، وفى الحق أن المحاجة بينهم إنما تهدف إلى الكشف عن مبررات الميل أو النفور فى كل حالة وأن الفعل الذى تنصب عليه يتصف بصفة أو صفات تجعله موضوعا للحب أو مثار الكراهية، أى تجعله خيرا أو شرا(٦٦). ويرجع بيرى موقف الوضعية

(65) Carnap: Philosophy & logical syntax. p.24.

«نقلاً عن د. توفيق الطويل «العقليون والتجريبيون فى فلسفة الأخلاق»، مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، المجلد ١٤، جـ١ مايو ١٩٥٢ من ص١٩ - ٦٨. انظر أيضاً د. أميرة حلمى مطر: مقالات فلسفية فى القيم والحضارة، مكتبة مدبولى، القاهرة.

(٦٦) د. توفيق الطويل: العقليون والتجريبيون فى فلسفة الأخلاق، ص٦٢، ٦٣.

المنطقية من القيم إلى اتجاهها الفلسفى العام ويقول: «إن هذا الرأى (الشك الجزافى) يرجع إلى فكرة فلسفية معينة عن ماهية المعرفة مستمدة من العلوم الدقيقة تعرف بالوضعية المنطقية».(٦٧) ويرى أنه يتعين علينا أن نحدد بعض الاعتبارات قبل تقبل آراء الوضعين المناطقة أو هذا التفسير الدقيق للمنهج العلمى على أنه تعريف للمعرفة بوجه عام.

ويقدم بيرى كثيرا من التعليقات على هذا الاتجاه معظمها منهجية وذلك فى كثير من كتبه فهو فى إنسانية الإنسان ينتقد الفلسفة الوضعية خاصة والعلم عامة بأنه نقيض لروح الاستقصاء الحر «وذلك لضيق أفقها واعتقادها الخاطىء بأن الحقيقة الجزئية هى كل الحقيقة(٦٨). ويرى فى آفاق القيمة أن المنهج الذى تستخدمه الوضعية المنطقية والمستمد من الفيزياء يخلق مشكلات عديدة لا يستطيع هو نفسه أن يحلها. فالمبحث الرئيسى للوضعية المنطقية واحتكارها للقب العلم لا يبرهن عليه المنهج الوضعى المنطقى. بالإضافة إلى أنه لايوجد هناك علم غير الفيزياء يستخدم منهجها.(٦٩)

ويكشف صلاح قنصوة عن بعض التناقضات فى موقف الوضعين المناطقة من القيم. ففى الوقت الذى خرجوا فيه من باب أحكام القيمة، عادوا فتسللوا إليها من النافذة، فهم يسرفون فى إنكار المعنى واحتمال الصدق والكذب فى أحكام القيمة، ثم ما يلبث أن يحاول كل منهم وضع نسق خلقى يضمر اعترافا ضمنيا بالقيم وأحكامها بوصفها قضايا تحمل معنى وتقبل التحقيق وتجد ذلك واضحاً لدى معظم اعلامها.(٧٠) فشليك (١٨٨٢ ـ ١٩٣٦) مثلا يرتد فى كتابه «مشاكل الأخلاق»

(67) *R.B.Perry: Realms of value, p.119.*

(٦٨) رالف بارتون بيرى: إنسانية الإنسان، ص١٦، وص٢٠.

(٦٩) إنسانية الإنسان، ص٢٠.

(٧٠) انظر د. صلاح قنصوة: القيم بين الفلسفة والعلوم الاجتماعية، الفكر المعاصر ٥٩ يناير ١٩٧٠، ص٣٠ ـ ٣١ وأيضاً كتابه «نظرية القيمة»، دار الكلمة، القاهرة، ط٣ القسم الثانى من الفصل الأول. وقد بين د. يحيى هويدى تناقض موقفهم الفلسفى فى نطاق نظرية المعرفة، وذلك فى دراسته النقدية عنهم فى كتابه «الوضعية المنطقية فى الميزان».

إلى الاعتراف بأن الأخلاق علم، وأن القيم وضروب الإلزام وإذا كانت نسبية وفقا لرغبات الأشخاص فهى موضوعية بمعنى أن البشر يؤثرون بعض الأشياء على غيرها. أما هربرت فايجل فيختم مقالته عن الوضعية المنطقية بنظرية يتلمذ فيها على ديوى. فيعزو للقيم الوسيلية معنى واقعيا فهى التى تحدد الحاجات والمصالح التى تعزو ما يثبت بالتجربة من علاقات بين الوسائل والغايات ويحكم عليها بالصدق والكذب.(٧١) بل إن مبدأ التحقق *Verification* الذى يعد دعامة أساسية عندهم يعد التزاما قيميا، ففى قضيتهم الأساسية التى تصوغ محور منهجهم يتربص بهم ما حاولوا رفضه وإنكاره، ويتجلى هذا متى أبرزنا مبدأ التحقق عندهم على الوجه التالى: ينبغى علينا أن نتعرف على النحو الذى بمقتضاه «أن ما ينبغى» يكون صادقا هو ما يمكن التحقق منه فأينما تولوا فثمة ما ينبغى أن يكون هو جوهر القيم.(٧٢)

وتأتى بعد ذلك اعتراضات المدرسة الانفعالية التى غلبت المعنى الوجدانى العاطفى على المعنى التصورى الإدراكى. «فقد اعترض بأن الكلمات الخاصة بالقيمة والأخلاق مثل خير وشر ذات معنى عاطفى وليس لها معنى تصورى»(٧٣) وهذا هو موقف س . ل ستفنسون الذى يعد مؤسس المدرسة الانفعالية وواضع إنجيلها. وعند ستفنسون الطابع الانفعالى هو السمة المميزة لمعنى الألفاظ الخلقية، صحيح أن هناك معنى معرفياً، إلا أنه ثانوى بالنسبة للمعنى الذى يشير إلى قدرة اللفظ على التعبير عن المشاعر والاتجاهات عند المتكلم واستثارتها

---

(٧١) قنصوة، المصدر السابق، ص٣١.

(٧٢) لا مفر أمام الفلسفة من التصدى لموضوع القيم فهى بطبيعتها وموضوعها ومنهجها وغايتها يحتويها كلها إطار معيارى يغلب عليه طابع القيم. «فالطبيعة العامة للمعرفة الأخلاقية لا تختلف فى النهاية عن الطبيعة العامة لكافة نواحى المعرفة فهى تتمتع بنفس المميزات وتخضع لنفس النظام».*R.B.Perry: Realms of value, p.120.* وقنصوة، الموضع السابق.

(73) Ibid. p.

عند السامع على أساس تميزه بين التعبير والوصف «لقد اعترض على الكلمات مثل خير وشر على أساس أنها ذات معنى عاطفى فقط، أى أن القضايا التى تبدو فيها هذه الكلمات أفعالا ليست قضايا على الإطلاق وإنما هى مجرد ألفاظ غير موضوعية ليست صادقة ولا كاذبة، لكنها تعبير عن موقف المتكلم ورغبته فى تحويل الآخرين إلى موقف مماثل لموقفه.(٧٤)

وإذا كان بيرى يعترض على موقف المدرسة الانفعالية الأحادى الذى يقصر قضايا القيم على جانب واحد فقط هو الجانب الانفعالى. فهناك من يرجع هذا الموقف الانفعالى إلى بيرى نفسه الذى مارس تأثيره على ستفنسون من خلال نظريته العامة للقيمة(٧٥). فإذا كان بيرى قد عرف القيمة بالاهتمام والاهتمام ذو جانب انفعالى فقد أخذ ستفنسون كلمة الاهتمام ودلالاتها الانفعالية من النظرية العامة،وقد اعترف ستفنسون بدينه لبيرى فى قصر الحكم الأخلاقى على الجانب الانفعالى.(٧٦)

إلا أن بيرى لم يرض عن هذا المفهوم وكتب يقول: «وجه البعض الانتباه إلى النظرية التى تقول إن كلمات القاموس الأخلاقى ذات معنى انفعالى متميز عن معناها الموضوعى ونحن قد نبذنا هذه النظرية»(٧٧) ويتبين رفضه لهذا الموقف أثناء عرضه للدلالات والمعانى المختلفة للألفاظ الخلقية حين يقول: «إن الذى لا شك فيها أن كثيرا من الكلمات التى تستخدم بقصد المدح أو الذم لا تشبه نظرية رياضية أو قانونا علميا. ومع ذلك فإن معظم العبارات لها معنى موضوعى، ومعنى عاطفى معا، صحيح أن هناك كلمة لها معنى عاطفى مثل «عليك اللعنة»

---

(٧٤) انظر فى هذا كل من د. زكى نجيب محمود: موقف من الميتافيزيقا. الفصل الرابع صفحات ١١٠، ١١٢، ١٢٣، ١٢٧، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، وسحبان خليفات: الاتجاه اللغوى فى الميتا أخلاق، رسالة ماجستير غير منشورة. إشراف د. زكريا إبراهيم، آداب القاهرة، ص٧٦.

(75) M.Warnock,Ethics since 1900 (ed) Oxford uni, press 1967, pp. 80 -81.

(76) M.Warmock, p.75.

(77) R.B.Perry: Realms of value, p.111.

وهى ضد كلمة ذات معنى فكرى فقط مثل كلمة «القطع الناقص» *eilipse*(٧٨) إلا أن معظم كلمات البشر تقع بين هذين النقيضين، والتعبيرات التى تستخدم اصطلاحات مثل الخير والشر قد تنقل أو هى فى العادة تنقل أفكار موضوعية ذات معنى إما صراحة أو ضمنا(٧٩).

ويضرب بيرى مثالا على ذلك فيقول: «لنفرض أن «أ» من الناس قال مخاطبا «ب» أن «لنكولن» رجل خير، لكونه كره الحرب، وأفاض من رحمته على الجنود، وحرر العبيد فإن «أ» هذا لا يعبر عن إعجابه بشخص «لنكولن» فقط ولا رغبته فى أن يحس ب إحساسا مماثلاً، ولكنه يوحد بين فكرة الخير، وفكرة الإنسانية ويضيفهما إلى لنكولن بناء على الدليل الموضوعى من سلوك الأخير(٨٠) وعلى ذلك فإن قوة المناقشة الأخلاقية لا تأتى من عدم وجود المعانى الفكرية الموضوعية كما يدعى الانفعاليون، لكن من كثرتها وتنوعها. ويمكن تفصيل ذلك فيما يلى: أنه توجد معان موضوعية متنوعة لاصطلاحات مثل الخير والشر فى الاستعمال العادى، فهى تعنى شيئا معينا فى بعض الأحيان وقد تعنى شيئا آخر فى أحيان أخرى. وبالتالى فوظيفة نظرية القيمة أن تحدد مثل هذا المعنى الثابت، فلا يوجد سبب يدعى إلى قصر نظرية القيمة على معان سبق معرفتها، بمعنى آخر لا تقنع نظرية القيمة أن تكون تاريخا معاصرا لأفكار بدلا من أن تأخذ على عاتقها تنظيم الأفكار وهو العمل الجوهرى لها. يقول بيرى: «لا يتضمن رفضنا لما فى النظرية الانفعالية من إسراف وغلوا أن الأحكام التى تستعمل اصطلاحات القيمة لا تحتمل أن يضفى عليها معنى عاطفى بشكل خاص، ولا يمنع افتراضنا هذا أن الأحكام فى الغالب معبرة ومقنعة(٨١) وعلى

---

(٧٨) يقصد به القطع الذى ينتج عن قطع مخروط بمستوى، وهو أحد المصطلحات الهندسية التحليلية وتعريفه «هو المحل الهندسى لنقطة تتحرك بحيث تكون النسبة بين بعدها عن نقطة ثابتة «البؤرة» إلى مستقيم ثابت «الدليل» نسبة ثابتة أقل من الواحد الصحيح.

(79) R.B.Perry. Ibid,p.8.

(80) R.B.Perry: Realms of value, p.9.

(81) Ibid, p.9.

ذلك فبيرى دائم التأكيد على أن الطبيعة العامة للمعرفة الأخلاقية مثل ضروب المعرفة الأخرى على العكس من الانفعالية والوضعية. فالقيم عنده تتجاوز الجانب الانفعالى وتعبر عن تكامل القوى الشعورية فى الإنسان من انفعال ونزوع وإدراك.

ولم يتعرض بيرى لاعتراضات الوضعية المنطقية والمدرسة الانفعالية فقط بل أيضا لاعتراضات الاتجاه الحدسى لدى جورج مور، وديفيد روس بالإضافة إلى غيرهم من فلاسفة كمبرديج، وتتضح هذه الاعتراضات من خلال عرض موقف مور المتميز فى الأخلاق والقيم، فمور فيلسوف تحليلى يتبنى فلسفة واقعية هى ما يسمى بفلسفة الإدراك الفطرى من جهة، وموقفا حدسيا فى دراسته للقيم والأخلاق من جهة ثانية.

وقد قدم مور فلسفته الأخلاقية فى كتابيه «أصول الأخلاق» سنة ١٩٠٣ و«الأخلاق» ١٩١٢، وأيضا فى دراسته عن طبيعة الفلسفة الأخلاقية «وتصور القيمة الداخلية» اللذان نشرهما فيما بعد فى كتاب «دراسات فلسفية»، ثم بحثه هل الخيرية صفة ؟ المنشور فى المجلة الأرسطية سنة ١٩٣٢.

ويهاجم مور الاتجاهات المختلفة التى تجعل من الخير صنفة طبيعية يمكن إدراكها كأى صفة تجريبية، ويقدم نظرية فى «الخير اللامعرف» وطبقا لوجهة نظره فإن القيمة أو شيئا مساويا لها كالخير والحق، سمة خاصة لاتتغير وغير طبيعية لأنها ليست شيئا جسميا أو عقليا، وعلى هذا فهى لايمكن أن تلاحظ فى التجريب ولكنها تعرف بالحدس. وفى هذه الحالة فهى تبدوا وكأنها شىء فريد غير قابل للتحليل.(٨٢)

وهذا الرأى الذى عرضه مور فى أصول الأخلاق يتناوله بيرى فى مواضع عديدة من كتبه. فيخصص له الصفحات الطوال فى الفصل الخامس من

(82) *R.B.Perry: Realms of value, p.9.*

وانظر أيضا كل من: سحبان خليفات - الفصل الأول من ص١ - ٢٨، وأيضاً د. أحمد فؤاد كامل: جورج مور. دار الثقافة للطباعة والنشر، ص٢٣٢ - ٢٤٦.

النظرية العامة للقيمة، ويناقشه فى رده على تهمة النسبية التى قد توجه إلى تعريفه، وأيضا فى بداية آفاق القيمة تحت عنوان «العجز المزعوم عن تعريف القيمة» فالتحديد البسيط لمشكلة تعريف القيمة ـ هو موضوعنا ـ عند مور هو افتراض أنه ليست فى حاجة إلى تعريف أى أنها تدرك مباشر، فالخير هو خاصية لاتحتاج إلى تعريف موضوعى فهو كما يقول مور: انطباع بسيط مثل الأصفر. وكما لا يمكنك بأى وسيلة أن تشعر أى فرد ـ لايعرف عنه شيئا ـ ما هو الأصفر؟ كذلك لا يمكنك أن تشرح ما هو الخير، وعلى الرغم من أن الصفات كالأصفر تشير إلى كيفيات طبيعية تدرك بالحواس وتبحثها العلوم. فالألفاظ الخلقية لا تشير إلى كيفيات طبيعية، لكنها صفات بسيطة، غير قابلة للتحليل تدرك بالحدس، وتمتنع عن كل دراسة تجريبية، وقد استنتج مور من ذلك استحالة تعريف الألفاظ الخلقية وتحليل أحكامها فى حدود (واقعية) ذلك لانتقاء علاقة التكافؤ بين الطرفين وهذا يعنى تميز الأخلاق عن العلوم الطبيعية.

وعلى الرغم من كثرة الكتب التى كتبت دفاعا عن هذه الفكرة أو هجوما عليها إلا إنها لا تتطلب أية حجة. فإذا كانت القيمة التى لاتقبل التحليل موجودة داخل نطاق الرؤية العقلية فيلزم عن ذلك إمكانية وضعها فى بؤرة تمكن من إدراكها، ولا حيلة لشخص لا يستطيع أن يجدها إلا أن يستنتج أنه لا يوجد شىء كهذا وبخاصة إذا كان أنصار هذه الفكرة لا يتفقون على ما يجدونه.

ويحدد مورتن وايت فى كتابه «عصر التحليل» موقف بيرى من عدم اتفاق أخلاق مور مع فلسفته العامة بقوله: «لقد كانت وجهة نظر مور متصلة اتصالا وثيقا بواقعيته الابستمولوجية، ولكنها لم تكن نتيجة منطقية لها. لقد قاد مور الهجوم على المثالية ولكن هذا الهجوم لم يتضمن الأخلاق، بل إن كتابه أصول الأخلاق احتوى نقدا للأخلاق التجريبية لدى سبنسر ومل أشد من نقد أى مثالى فى القرن التاسع عشر، لذلك نجد بيرى صديق مور الواقعى فى أمريكا يقول «فى الاتجاهات الحالية فى الفلسفة» فى مناقشة طبيعة الخير أو القيمة أجد

نفسى غير متفق مع بعض الواقعيين الجدد، ممن كنت أتمنى أن أتفق معهم مثل مور ورسل حيث يتفقان على أن الخير صفة لا يمكن تعريفها تتصل بالأشياء، مستقلة عن الوعى(٨٣).

وفى «آفاق القيمة»، يتناول المعانى المختلفة لفكرة «عدم التحدد» فهناك مثلا المراحل السابقة للتجربة، وفيها يبدو الجهل بالشىء موضوع التعريف، وفى تاريخ المعرفة الإنسانية نجد نماذج متعددة لهذه الكلمات مثل: النفس، السببية، الجوهر، المادة، القوة التى ظهرت فى البداية على أنها لاتقبل التحديد ثم ما لبثت بعد بذل الجهد الإنسانى فى محاولة تعريفها أن أثبتت قدرتها على التحديد. والقيمة من الممكن بعد بذل المجهود المطلوب فى تحديدها أن تكون معرفة. وعلى هذا يرفض بيرى قول مور أن القيمة غير قابلة للتعريف، ويرى أن من الصواب القول أنها غير معرفة: «لقد أخطأ أ. مور عندما أكد ان كلمات معينة غير قابلة للتعريف، وقد كان من الممكن أن يقرر بشكل أكثر ملائمة أن هناك اصطلاحات معينة غير معرفة، وليست غير قابلة للتعريف» ويرى بيرى أن الدليل النهائى على إمكان وجود تعريف إدراكى للقيمة مقابل الاعتراضات السابقة هو أن يقدم ذلك التعريف»(٨٤).

وبعد الرد على هذه الاعتراضات يتم مواصلة الحديث عن بقية معايير التعريف.

وينبغى أن يفى التعريف . المقترح ببعض أغراض شكلية معينة من الناحيتين المنطقية والمعرفية. وهذه الأغراض ذات علاقة بتشكيل النظرية وتكوينها الداخلى وتحدد هذه الشروط فى:

---

(83) *Mortan White: The Age of analysis A Mentor look, published, by new smerican library. p.176.*

(84) *William S.Sahation: Systems Ethics and value theory, philosophical liberary, New York, 1963,p.382.*

(أ) معقولية الأفكار ووضوحها.

(ب) تسلسل وتنظيم الأحكام.

(ج) عدم اتهام التعريف بالتناقض أو الدور، أو النسبية[85]. ويعالج بيرى هذه المتطلبات التى ينبغى تواجدها ليكون التعريف صحيحا من الناحية الشكلية. ويفى بالمعيار الثانى الذى يقدمه فى «آفاق القيمة». وهو ينفى عن تعريفه الخاص تهمة الدور. وهو الحالة التى تعرف فيها خيرية الشىء لأنه موضوع اهتمام خير. وذلك بتفرقته بين الاهتمام السلبى والإيجابى. فالاعتراض بالدور يفقد قوته كلية عندما نتذكر أن اهتماما ما قد يكون ذا قيمة إيجابية أو سلبيه. فالتعريف لا يقرر أن شيئا ما خير عندما يكون هذا الشىء موضوع اهتمام خير فقط، ولكن عندما يكون ذا اهتمام ما سواء كان خيرا أم سيئا، حين يكون الاهتمام خيرا ترتفع قيمته فلا يكون هناك دور[86] وقد يؤدى هذا التحليل الأخير إلى أن يتهمه البعض بالتناقض. أليس التناقض القول إن الشىء خير وشرير فى الوقت نفسه».

وهنا يفرق بيرى بين مفهوم التناقض والتصارع. فالتناقض خاص بالأقوال والقضايا المنطقية بينما الاهتمامات (المصالح - المنافع) تتصارع ولا تتناقض. «إن القول بتناقض الاهتمامات خطأ فلا يمكن أن يكون نقيضان صحيحين، ولكن قوتين متصارعتين يمكن أن يوجدا جنبا إلى جنب»[87] إن تأكيد أن الشىء نفسه خير وشر يظهر على أنه متناقض لأن كلا القولين تقديرى، وذلك لحذف محور الإشارة، لكن حين تحدد الاهتمامات فلا تناقض على الإطلاق فى القول بأن الشىء نافع عمليا ولكنه قبيح جماليا وأن الفعل نفسه مفيد للشخص ولكن مضر اجتماعيا.

---

(85) *R.B.Perry: Realms of value, p.4.* «فينبغى أن يكون التعريف الحاضر قادرا على الدفاع عن نفسه ضد اتهامه بالدور أو التناقض أو الاتصاف بسمة النسبية الارتيابية».

(86) *Ibid, p.11, 12 + General theoryt of value pp. 128 - 131.*

(87) *R.B.Perry: Realms of value, p.12.*

لكن ألا يؤدى بنا تحليل بيرى الذى يحاول به تفادى التناقض إلى الوقوع فى النسبية؟ ان النسبية كلمة ذات وقع سيىء على الرغم من ارتباطها بأحدث نظريات العلم فهى توحى بخلخلة فلسفية. «وفى القول بنسبية القيم جانبا من الحق يخشى أن يؤدى الى ضلال. فالارتباط بالنسبية كثيراً ما رد الناس إلى الفوضى والتحلل وقوض المثل العليا الحية الكامنة فى أعماق نفوسهم[٨٨]. وإرجاع القيمة لأى موضوع خاص بأى اهتمام يعرضه لأن يتهم بالنسبية[٨٩]. أيا كان مبلغ نجاح هذا التعريف فى البرهنة على أغراض التعميم النسقى. ويستشهد بيرى بنصين مختلفين يشهر أحدهما بالنسبية ويبين الآخر احترام الأفكار المطلقة ليبين فى النهاية أننا لا نتعامل مع الأشياء إلا فى علاقاتها بنا. إن الصفة «نسبى» فيما يقول بيرى أسوأ فى الاستخدام من الاسم علاقة، ويرى أن ما اعتدنا أن نتعامل معه على أنه مطلق هو بالفعل علاقة، فكثير من الصفات العادية للأشياء نسبية، ومن ثم فتبعاً لنظرية الاهتمام، فنحن حين نصف شيئا بأنه خير أو شر كأننا نصفه حسب علاقته المباشرة أو غير المباشرة بشىء آخر (الاهتمام)، والاهتمام ليس خاصاً بالفرد، بل هو اهتمام عام. فقد افترض خطأ أنه حين تستمد الأشياء قيمتها الإيجابية والسلبية من الاهتمام فهذا يعنى أن اهتمام الشخص هو الذى يعرف أو يحكم، وهذا خطأ. فحين تحدد القيمة على أنها اهتمام فعندئذ يرضى أى اهتمام التعريف. فإذا اهتم أى إنسان بشىء فينبغى التزاما بالتعريف أن أحكم بأنه خير. والدليل على خيره أو شره هو الحقيقة المشاهدة للاهتمام وهى حقيقة موضوعية متفق عليها كأى حقيقة أخرى فى الحياة والتاريخ.

(جـ) المعيار الثالث (التجريبى):

والمعيار الثالث الذى يقدمه بيرى هو المعيار التجريبى. فالتعريف هنا ينبغى

---

(٨٨) د. توفيق الطويل. أسس الفلسفة، ط٤، دار النهضة ١٩٦٤، ص٣٨٦.

(89) R.B.Perry: General theory of value, p.127 - 128.

أن يكون وصفيا، وينبغى أن يتطابق مع مجموعة مختارة من الحقائق. وقد تحدث بيرى فى مقالته «القيمة من حيث هى قيمة» عن أن التعريف المقترح للقيمة لا يقدم على أنه تعريف شكلى صورى، ولكن على أنه أيضا حقيقى وصفى. أى أنه لايكتفى بالدقة فى الاستخدام اللفظى (المعيار الأول) ولا أن تؤدى أفكاره إلى أحكام متحررة من الدور والتناقض والنسبية (المعيار الثانى) فتك بديهيات أولية. ولكن ينبغى أن يكون التعريف تعريفا وصفيا، أى أن يكون افتراض له القدرة على إظهار بناء منظم من الحقيقة يصدق عليها وهذا البناء يمكن دراسته ووصفه.

ولما كانت القيمة بمعناها الأساسى تتوقف على الاهتمام، فإن الاهتمامات المختلفة مثل اهتمام البخيل بالذهب، أو المثقف بالكتب وحب المؤمن لله، والطموح نحو الحرية تكون حقائق ملموسة وبالتالى يمكن تناولها بالدراسة التجريبية. ويرى بيرى أنه يقدم نظرية تصورية كما يفعل العالم تماما. ومنذ البداية ينادى بنوع من الصلاحية التجريبية لتعريفاته، وهو يناقش أن مثل هذه التعريفات حقيقية أو وصفية بالمعنى الذى تعكس فيه بأفضل صورة طبيعة وتركيب الحقائق. ولما كانت مهمة النظرية العامة للقيمة تعرف على أنها موضوع حكم نقدى لقيم الحياة اليومية، «فقد عدت جزءا من الحركة العلمية الحديثة تقاسمها مبادئها ومجهوداتها، وهى تستعير كل النتائج والمناهج من كل العلوم الخاصة بالإنسان»[٩٠]. ومحاولة بيرى دراسة القيم دراسة علمية تتم باستخدام المنهج التجريبى الوصفى، الذى يمكن عن طريقه التمييز بين القيم العليا والدنيا، الصادقة والكاذبة، الحقيقية والزائفة، وسوف يعتمد هذا التمييز على الاختلافات المعطاة والتى يمكن وصفها. إلا أن ذلك ليس بالأمر اليسير، فهناك صعوبات ترجع إلى تحديد المعطى، ويبدو موقف بيرى التجريبى الواقعى فى مواجهته لهذه الصعوبة عندما يقول: «إننا لن نبدأ بمقولات جاهزة ثم نحاول أن

---

(90) R.B.Perry: General theory of value, p.9.

نجد لها أمثلة، لكن على العكس من هذا الاتجاه،نجمع الأمثلة ثم نحللها، ونستخلص خصائصها العامة من أجل تحديد الموضوع»[91] والطريقة التى يستخدمها يصفها شراحه على أنها «تجريبية بشكل عام لذا تعرف نظريته بالطبيعية الأخلاقية أو التجريبية، ونظرية بيرى تسمى الطبيعيةالأخلاقية بسبب ردها القيمة إلى البنية الطبيعية والنفسية للفرد أى الاهتمام[92]. ويعرف الاهتمام بطريقة رحبة ليشمل الرغبة، الموافقة، الميل، والحب وهكذا، وحيث إن الأمر مسألة تجريبية بخصوص إذا كان الشىء المعطى له اهتمام مستوعب فيه بهذه المعانى، فهى أيضا تجريبية فيما إذا كان أى شىء معلوم له قيمة. ومن ثم فإن أحكام القيمة هى معطيات تجريبية قابلة للتأكيد أو التفنيد من حيث المبدأ أو الوسيلة التى تعامل بها المعطيات العلمية.[93]

(91) *R.B.Perry: General theory of value, p.22.*

(92) *W.S.sahakian: Systems Ethios and value theory, New York 1963, p.32.*

(93) *Lewis Whitebeck & Robertl Hannes, philosophical Inquiry, an introduction to philosophy (2ed) preutice Hall Inc. Englewood cliffs, New York 1952, p.423.*

الفصل الثانى

محاولات تعريف القيمة بالاهتمام

١ - المعانى المختلفة لعلاقة القيمة بالاهتمام

تستطيع أن تقول إن هناك أربع علاقات ممكنة تربط القيمة بالاهتمام: فهناك **أولا**: النظريات البديلة لعلاقة القيمة بالاهتمام، أى تلك التى تعرف القيمة فى طبيعتها الجوهرية بأنها غير مناسبة تماما للاهتمام. **وثانياً**: فإنه يمكن التمسك بالقيمة على أنها تلك السمة الخاصة بالموضوع والتى تؤهله لأن يكون غاية، أو بمعنى آخر تلك ا لتى تتضمن أو تستثير أو تنظم اهتماما. **وفى المقام الثالث** فإن القيمة يمكن أن تحدد لموضوعات ذات اهتمامات سامية أو جديرة بالاعتبار. **وأخيرا** فإن هناك الرأى الأكثر بساطة والأكثر شمولا والذى يقول بأن القيمة بمعناها الشامل ترتبط بطريقة غير مميزة بكل الموضوعات الخاصة بالاهتمام الكلى.

وبعد استبعاد النظريات البديلة لعلاقة القيمة بالاهتمام، فإن تحليل بيرى أدى إلى أكثر الآراء بساطة وهو الرأى الذى يتمسك بأن الاهتمام هو المصدر الأصلى والسمة الدائمة لكل قيمة.

وقبل عرض تعريف بيرى نتناول الآراء التى ترى أن القيمة موضوع اهتمام محدد «مؤهل» *qualified* فالشىء الخير، أو المرغوب فيه هو الذى يكون موضوعا للرغبة المشروعة *Validity* فالقيمة هنا ينظر إليها على أنها وظيفة للإرادة، وتظهر الصياغة الكاملة لهذه الفكرة فى مذهب برنتانو، وهى تبدو فى هذه القضية «نحن نسمى الشىء خيرا عندما يكون الحب المتعلق به صوابا» والشىء الجدير بالحب يكون خيرا بالمعنى الواسع لهذه الكلمة[٩٤] إلا أن الآراء التى تجعل من إرادة الحق أو الحب الشكل الوحيد للإرادة تقصر القيمة على

---

(94) R.B.Perry: General theory of value, p.82, Reck, p.82, Reck, p.21.

معنى السمو، وهذا الفهم يختلف تماما عن المعنى العام الشامل الذى يبحث عنه بيرى. «فالمدى الذى يمكن أن تعتبر فيه إرادة الحق أوالحب حالة خاصة للإرادة أو الحب، فإن المواضيع الخاصة بهما يمكن أن تكون قيمة بمعنى (سام) لكن ليس بالمعنى الشامل الذى نبحث عنه هنا[٩٥] وهنا يطرح التساؤل عن ماهية هذه الإرادة المعيارية التى تعد القيمة دالة أو وظيفة لها. ولا يستطيع أحد من القائلين بذلك تحديد المقصود من هذا المفهوم.

وقد يكون استقراءا تاريخيا لمختلف الآراء الفلسفية عاملا مساعدا فى الإشارة إلى هذه الإرادة المعيارية. ويتناول بيرى الآراء التى تحاول تعريف هذه المواقف المعيارية على الشكل الآتى: هناك أولا مفهوم الإرادة القصوى أو الحب الضمنى لله، بوصفه الشكل الأعلى للتصاعد الطبيعى للرغبات ويرتبط بهذا المفهوم، مفهوم آخر هو الإرادة التوافقية، أو الرغبة التى تتفق مع الطبيعة، وعن هذين المفهومبن نشأ مفهوم المثالية للإرادة المطلقة «فقد استوعبت المثالية الحديثة هذه الأفكار، فى مفهوم الإرادة المطلقة المفترض مسبقا بخصوص نسبية التجربة الإنسانية» وعلاوة على هذه المفاهيم الميتافيزيقية، والإبستمولوجية هناك أيضا المفهوم الأخلاقى للإرادة.

وفى تحليل هذه المعايير المختلفة للإرادة، نرى حوارا قيميا مُهما على امتداد تاريخ الفلسفة بين بيرى وكل من أفلاطون، وأرسطو، وأفلوطين، والإكوينى، وأيضا مع المثاليين المحدثين، ت. هـ . جريين، ف . برادلى، وشوبنهور وكانط. ويتسع الحوار ويتشعب مع اللاحقين على كانط: فندلباند، وريكرت، ومنستربرج، ولا يكتفى بيرى بهذا النقاش بل يمتد الحوار ليشمل النظريات المعاصرة فى القيمة لدى: ايريان، وجورج مور، والكسندر وديوى، وسانتيانا.. وغيرهم . وأيضا مع علماء النفس على مختلف مدارسهم: الاستبطانية، والحركية الدينامية (التحليل النفسى) والسلوكية والفسيولوجيا[٩٦] وفى هذا الجدل يوظف مفاهيم

(95) R.B.Perry: Ibid, p.82.

(96) Ibid, pp.6 - 10, + Rlams of value, pp.15 - 33 + conceptions and Misconceptions of conciouness, psychological Reviw Vol. 11, 1904.

الإرادة الميتافيزيقية والابستمولوجية، والأخلاقية، لكى يحدد لنا فى النهاية مفهوم القيمة الشاملة التى يربطها بالاهتمام وفى هذا تأكيد موقفه الواعى فى القيم مقابل كل الاتجاهات المخالفة له.

(أ) **المفهوم الأول**: «الإرادة القصوى أو الحب الضمنى لله» *The will, or Implicit Love of Cod* وهو ذلك الرأى الذى ساد تاريخ الفلسفة الأوروبية عن طريق أفلاطون (٤٢٨ ـ ٣٤٨ ق. م) الذى أدرك الخير أو القيمة على أنه ذروة العالم المثالى، وأنه المبدأ الاسمى الذى سوف يوجد وينظم كل الأشكال الأخرى، فهو فى الحقيقة كان يضع القيم فوق الوجود مدركا إياها على أنها المبدأ الأعلى فهو يرى أن كل الغايات تنتمى إلى درجة واحدة تصاعدية بخصوص حب موضوع سام «الخير الأقصى» أو مثال المثل كما يطلق عليه أفلاطون. وكما يتضح من محاورة المأدبة[٩٧] «فالحب إله عظيم تمتد قدرته إلى كل مكان، ويطوى تحت جناحيه كل شىء، وهو ذو سلطان شامل متعدد الجوانب تسمو غاياته فى السماء والأرض، وسلطانه فوق كل سلطان، وقوته فوق كل قوة هو منبع كل سعادة ومصدر كل خير. وهو الذى يسر لنا أن نحيا مع غيرنا فى ود وانسجام ومع الآلهة كذلك.

ويفرق سد جويك فى كتابه «المجمل فى علم الأخلاق» بين مستويين للخير عند أفلاطون «الخير الأقصى» مثال الخير، والخير الإنسانى[٩٨] الأول:

---

(97) R.B.Perry: General theory of value, pp. 82 - 83.

أفلاطون: المأدبة أو فلسفة الحب ترجمة وليم الميرى مطبعة الاعتماد بمصر ١٩٥٤، ص٤٢ ـ ٤٦. والنص الإنجليزى ترجمة جويت، ص٢١١. انظر النظرية العامة للقيمة، ص٨٣. ويجب الإشارة هنا إلى أنه لم يكن لدى الإغريق اصطلاح القيمة بمفهومه الحالى، ولكن على ضوء البحث الحديث يمكن إدراك أن المبدأ أو الفكرة كانت لديهم، ويرد البحث الفلسفى فى القيم إلى سقراط، وإن دارت أحاديثه كلها حول فكرة الخير حيث يعد بذلك مؤسس البحث الأخلاقى فى القيم.. *Cff. Kohler: The place of value in the world of fact p.59.*

(٩٨) كما يتضح من هذه الفقرة: «عندما اكتملت نهائيا نظرية المثل الأفلاطونية فى عقله وأصبح يتحدد بالخير فى ذاته غاية العالم المنظم كله وجوهره، أخذ فى البحث فى الخير الأقصى للفرد ينفصل بالضرورة عن البحث الميتافيزيقى العميق الذى حاول عن طريقه=

ميتافيزيقى كونى، والآخر إنسانى واقعى. وإن كان معظم مؤرخى الفلسفة يعدون أن نواة الاكسيولوجى وجدت فى نظرية المثل لدى أفلاطون. إلا أنه بهذا الفهم يجعل من الخير مثالا مفارقا لايتفق مع مفهوم القيمة الشاملة لدى بيرى، بسبب تجاهل أفلاطون للخير المحسوس الذى ينتمى إلى عالم الوجود والذات الإنسانية. ويطلق على موقف أفلاطون اصطلاح «النظرية الموضوعية» التى تجعل مصدر القيم الإنسانية يوجد خارج عالم الحس المتغير والخبرة الشخصية للإنسان. ويضعها فى عالم أبدى مطلق غير متغير. وقد انتقد بيرى، هذا الموقف الموضوعى للقيم عند أفلاطون. وسيتضح هذا النقد فى نهاية هذه الفقرة بعد تناول الصور المختلفة التى ظهر فيها مفهوم «الإرادة القصوى أو الحب الضمنى لله» ومايجب التأكيد عليه هو أن بيرى فى رفضه لهذا الرأى الأفلاطونى الذى يجعل من الخير قمة عالم المثل يؤسس موقفه الواقعى ويطوره. ونستطيع أن نتبين ذلك فى ثنايا حديثه عن علاقة الواقعية الجديدة بالواقعية الأفلاطونية(99)ونجد هذا المفهوم عن الإرادة الغائية أيضا لدى أفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٨م) الذى يقول فى التاسوعات طبيعيا ما يكون للروح حب لله ورغبة فى أن تتحد معه بنفس الحب الذى تكنه عذراء لوالد نبيل. ومع بعض الاختلافات المهمة نجد هذا المفهوم التصاعدى يظهر أيضا لدى أرسطو (٣٨٤ . ٣٢٢ ق م) «فأرسطو فى محاولته رؤية غائية الأشياء وأن يجعل علاقة الشىء بنهايته أو قيمته ضرورية لمجرد وجوده، فهو لا يؤكد فقط الحقيقة الموضوعية لكل أنواع

=التغلغل إلى سر الكون. وإذا سلمنا بأن الخير فى ذاته، أو الخير المطلق هوالأساس الأقصى للأشياء كان من المسلم به أن الخير الذى أثار الجدل بشأنه الكلبيون والقورينائيون . والذى كان أفلاطون فى محاورة فيليبوس مستعدا لمناقشة معهم من المسلم به أنه هذا الخير شىء محسوس، شىء ينتمى إلى مجال الوجود الحسى الذى يكتنف حياة الإنسان الواقعية. سدجويك: «المجمل فى تاريخ علم الأخلاق» ترجمة وتعليق د. توفيق الطويل، عبدالحميد حمدى، دار نشر الثقافة بالإسكندرية ١٩٤٩، ص١٢٧.

(99) R.B.Perry: present conflicat of Ideals.

حيث يوضح فى «الصراع الراهن للأفكار» أن الواقعية الجديدة وإن كانت تقبل الكليات الرياضية الأفلاطونية، فهى ترفض تضمنيات هذا الرأى الجمالية والأخلاقية أى أنها لا تقبل واقعية أفلاطون إلا فى مجال الرياضة والمنطق وترفض فهمه (الموضوعى) للخير.

القيمة بل تفوقها أيضا على كل الروابط الأخرى للأشياء»(١٠٠) كما تشير بذلك مؤلفاته فى المنطق والأخلاق والسياسة. وعلى هذا يصدق قول سدجويك فيما يتعلق بالتشابه بين أفلاطون وأرسطو فى القول بالخير الأقصى «ومع أن اختلاف أرسطو عن أفلاطون يبدو واضحا جليا عندما ندرس فكرته العامة عن علاقة علم الأخلاق بالدراسات الأخرى أو نلاحظ تفصيلات مذهبه فى الفضائل، فإن اتفاقه مع أستاذه يكاد يكون تاماً فيما يتعلق بالمجمل الرئيسى لنظريته فى الخير الإنسانى، ويختفى من الناحية العملية الخلاف بينهما عندما ينظر إليهما متصلين بالمناقشات الأخيرة إلى ثارت بين الرواقية الأبيقورية. بل الاختلاف التام بينهما. حتى فى النقطة الرئيسية التى دخل أرسطو مع أفلاطون فى مناقشة بصددها. ويلوح أنه أقل مما يظهر لأول وهلة(١٠١) وهذا يتفق مع قول انتيوجون الذى تزعم الأكاديمية بعد أفلاطون بقرنين من الزمان وادعى تطابق كل من أفلاطون وأرسطو فى الموقف الأخلاقى الذى التزماه، ويؤكد سدجويك أن البحث الدقيق يعطى مبررات قوية لهذا الرأى.

ويوجد هذا الرأى أيضا لدى القديس توما الإكوينى (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) الذى يعتقد أن كل عمل أو حركة لكافة الكائنات الناطقة واللاناطقة على السواء موجهة نحو غاية أو خير ما. ويتمثل هذا الخير عند الكائنات الناطقة فى التفكير الذى يمكن له الانتباه وتقصد إليه الإرادة تحت تأثير العقل العملى. والله وحده هو السبب الأساسى والعلة الأولى لكل موجود والمبدأ الثابت لكل حركة ونحوه تتجه كل الموجودات جاهدة بحق وهى تنشد الخير، ولكن هذا الجد فى طلب الله الذى هو بالضرورة معقول يتجلى فى أسمى صورة فى الكائنات الناطقة كرغبة فى اكتساب معرفة الله. وعلى هذا فالخير الأقصى للإنسان هو الله نظريا، ومن حيث الشعور الذاتى هو السعادة التى تستمد من حب الإنسان لرؤية كمال الله(١٠٢) ومما لاشك فيه أن الإنسان الذى يرغب فى الخير فى

---

(100) *Ch. R.B.Perry: General theory, p.83.*

(١٠١) سدجويك: المجمل فى تاريخ علم الأخلاق، ص١٣٠.

(١٠٢) عن سدجويك: المرجع السابق، ص٢٤٥.

حالته الكاملة لا يدرك فى الحال أن الله وحده هو الذى يستطيع أن يشبع تماما أمنيات عقله وقلبه. ويصل عقله إلى هذه النتيجة بالاستبعاد التدريجى للأشياء الأخرى عدا الله. وحتى يتم أداء هذه العملية من التفكير فإن الإنسان يبحث عن السعادة غير مدرك أن الله هو سعادته(١٠٣).

ومن هذا يتضح مدى متابعة الفلسفة فى العصور الوسطى الفلسفة اليونانية فى ربطها الخير الأقصى بالوجود. إلا أن ذلك تم بصيغة دينية، بالتوحيد بين القيمة العليا والعلة الأولى. أى الله باعتباره كائنا أزليا حيا. ومن الضرورى تبعا لهذا الرأى فهم النهاية القصوى لعملية تصاعد الرغبات كموجه لكل مراحلها، وإلا فسوف يكون هناك تتابع من الرغبات والأغراض بدلا من رغبة واحدة أو غرض واحد شاملين للكل. فكل الحب هو حب الله، وهذا الرأى الذى يعرضه أفلاطون وأرسطو والإكوينى. رغم الاختلاف بينهم. لا يوافق عليه بيرى. ويوجه إليه العديد من الانتقادات. ويرى أنه على الرغم مما يوجد فى هذا الرأى أوالمشهد الكونى من سمو يجعله يفحم أى نقد إلا أنه يحوى الكثير من الأخطاء النفسية الخطيرة يظهرها بيرى هكذا:

(١) إن الاهتمامات ليست سامية أو متعالية بالشكل الذى يعرض هنا، لكنها متطورة فالإنسان يكرس نفسه بعد إشباع حاجاته البيولوجية للغاية الأخلاقية أو الثقافية فتطور الرغبات يتم بشكل تدريجى بحيث تكون ثمرة الرغبة القديمة هى بذرة الرغبة الجديدة. فالرغبة تراكمية، بمعنى أن كل مستوى من الإشباع يصبح بدوره أساس طموح جديد، ويكمل الطموحات القديمة. وهى متصلة بمعنى أن الإشباعات التى ترتبط بها تنمى اهتمامات جديدة.

(٢) وهناك خطأ آخر يكمن فى تأكيد أمنية مطلقة فى موضوع ما متضمن فى كل الرغبة ويصبح مفهوم الكمال فارغا بمجرد انتزاعه من الاهتمامات الخاصة للمخلوقات الحية. فالخير الأفلاطونى أو الأرسطى مفهوم يمكن

---

(103) R.B.Perry: General theory, p.48.

التعرف عليه طالما أنه متصل بالبنية الإنسانية «لكن حين ينتقل من مستوى الرغبات الفعلية والممكنة فإننا سنصل إلى صيغ فارغة[١٠٤].

(ب) الإرادة المتوافقة، أو الرغبة فى تطابقها مع الطبيعة

وفى هذا الرأى أيضا تظهر أخطاء الرأى السابق الخاص بالإرادة القصوى. لكن هذا الرأى أكثر ذيوعا ويتبدى فى مفهوم الرواقية للرغبة المتفقة مع الطبيعة. والرواقية فى صميمها مذهب أخلاقى، وأول ما يبدأ به نظرهم فى الأخلاق هو أن يبحثوا عن الميول الطبيعية، فكل موجود حى إنما يملك فى الأصل بنيته الخاصة، وله شعور بها، من أجل ذلك كان دائم البحث ما يلائمها والبعد عما لا يلائمها. فالحياة هى الملائمة للطبيعة. وموافقة الطبيعة عبارة عن الحياة وفقاً للعقل. لكن الإنسان حين يحيا وفقا للعقل لا يكون موافقا لنفسه فحسب بل يكون موافقا لمجموع الأشياء أى الكون بأسره: لأن العقل لا يختص بالإنسان وحده بل هو أيضا من خصائص الموجود الكلى أى من خصائص الكون فبالعقل نحيا على وئام مع أنفسنا كما نحيا فى وئام مع العالم أجمع وهذا هو معنى العبارة المشهورة التى قالها زينون «الحياة وفقا للطبيعة[١٠٥] ومعناها أولا أن الإنسان ينبغى عليه أن يعيش على وفاق مع الطبيعة، أى على وفاق مع العقل، ولكن هذه العبارة لها بالإضافة إلى هذا المعنى، معنى آخر هو أن الإنسان حين يحيا وفقا للعقل إنما يحيا وفقا للقانون الكبير الذى يحكم العالم. «فشعار الرواقية ذو وجهين أحدهما يرتبط بالطبيعة بمعناها الواسع أى قوانين الوجود، والآخر الطبيعة بمعناها الضيق أى العقل وكلا الأمرين واحد بالنسبة لهم، والإنسان يطيع هذه القوانين عن وعى وتعمد وإدراك ابتغاء تحقيق سعادته»[١٠٦].

---

(104) *Ibid, pp.85 - 86.*

(١٠٥) د. عثمان أمين: الفلسفة الرواقية. النهضة المصرية. القاهرة، ط٢، ١٩٥٩، ص٢٠٢ - ٢٠٥.

(١٠٦) د. توفيق الطويل: فلسفة الأخلاق، نشأتها وتطورها، ص٨٧.

ونستطيع أيضا أن نتبين امتداد هذه الفكرة التى يذكرها بيرى فى المذهب الرواقى عند الرومان لدى «سنيكا» و«ابيكتيوس» و«ماركوس أوريليوس» وسوف نستشهد بنص للأخير يعطى دلالة على ذلك. يقول ماركوس أوريليوس (١٢٠ - ١٨٠م): «أيها الكون، إن كل شىء يتسق معك يتسق معى أيضا لاشىء يكون بالنسبة لى مسرفا فى التبكير أو ممعنا فى التأخير متى جاء فى الوقت المناسب بالنسبة لك. كل شىء تجىء به فصولك أيتها الطبيعة فهو ثمرلى. منك خرج كل شىء وفيك يقوم كل شىء وإليك يعود كل شىء»(١٠٧) هذا التأكيد بأن كل الرغبات تتوافق أصلا مثل الأجزاء المتوافقة لسيمفونية واحدة ينظر إليه بيرى على أنه ادعاء بالإيمان، أو تخيل شعرى تماما مثل التأكيد على أن كل الرغبات أطوار متسلسلة لحب الله. فالحياة بها بالإضافة إلى التوافق اللاتوافق والاختلاف، فالعقل بما يقوم به من أجل حياة أكثر توافقا عن تلك المؤسسة على الغريزة فإنه يكثر من إمكانات الشقاق، فالعقل ليس ضمانا. كما يقول بيرى لكنه مغامرة محفوفة بالمخاطر.

وهنا نعجب كيف يرفض بيرى هذا الرأى المتعلق بتوافق الإنسان والطبيعة ومذهبه يقوم فى الأساس على فكرة التوافق هذه !ألا يقع هنا فى تناقض مع نفسه؟! ربما يبدو هذا صحيحا لأول وهلة. ولكن هذا التناقض لا أساس له فنحن هنا بإزاء موقفين مختلفين: موقف الرواقية الذى يقوم على التوافق بين العقل (الإنسان) كعالم أصغر وبين والطبيعة كعقل أو كعالم أكبر. فهذا توافق شكلى يتم على مستوى ميتافيزيقى، بينما التوافق عند بيرى توافق بين الرغبات أو الاهتمامات الإنسانية المتصارعة التى تتم داخل الأشخاص، أو بين الأشخاص بعضهم وبعض فى نطاق ما يطلق عليه الحياة الوجدانية الحركية *Motor effective life* وذلك على المستويين النفسى والاجتماعى وفرق كبير بينهما وبين التطابق لدى الرواقية.

---

(١٠٧) سدجويك، المجمل فى تاريخ علم الأخلاق، ص١٦٢ - ١٦٣.

(جـ) الإرادة المطلقة كافتراض ضرورى

وفى هذا الموقف الأحدث تاريخيا يتناول بيرى آراد عديدة للإرادة، أولها ما يطلق عليه اسم وجهة النظر المثالية أو الابستمولوجيا. ويقصد المثالية المطلقة، إلا أن النقد الذى يوجه إليها ينطبق أيضا على المثالية الشخصية، أو الشكل الشخصى للإرادة، الذى تقابل فيه مجموعة الإرادات، الإرادة الكونية الواحدة(١٠٨).

وقد تطور هذا الرأى بشكل محكم عن الصورة الساذجة نسبيا فى كتابات الرواقية ويعطينا جرين (١٨٣٦ . ١٨٨٢م) عرضا مميزا لهذا الرأى حيث يؤكد على «المبدأ الواحد» الذى يظهر نفسه فى كل الرغبات الخاصة بالإنسان، بالإضافة إلى كل أفعاله الخاصة بالفهم والإرادة(١٠٩). ويفرق بيرى فى هذا الرأى بين فهم الرواقية والمثالية الحديثة فعند الرواقية لايمكن التطابق مع الكون ما لم تتفق الإرادة الفردية مع الرغبات والإرادات الأخرى، أو مع مجرى الطبيعة المادية. والخلاف بين الرواقية والمثالية الحديثة يبدو فى أن الإرادة الكونية فى المثالية الحديثة تتقدم ليس كتعميم تجريبى. وهو ما يمكن أن يوافق عليه بيرى. ولكن كدلالة يزعم أنها ضرورية وقائمة على أرضية إبستمولوجية.

ونقطة التحول من التصور القديم إلى التصور المثالى الحديث جاءت من النقد الكانطى للمعرفة، والذى بمقتضاه تكون الطبيعة المادية من إبداع العقل. وإذا كانت هناك طبيعة مادية واحدة كما هو متضمن فى العلم فيجب أن يكون هناك عقل واحد هو الذى ينظر إليه نتيجة نشاطه وإبداعه الضروريين على أنه الرغبة أو الإرادة. وحين ينظر إليه هكذا ستكون مبادئه ملائمة للرغبة أو والارادة، أى المبادىء الأخلاقية. نجد هذا الرأى فى كتاب كانط «نقد العقل العملى» حيث تدرك فيه الإرادة على أنها الطبيعة الشكلية فى الطاعة لقواعد الواجب، وفى مثل هذا النظام تكون الطبيعة أخلاقية. وقد تطور هذا الرأى عند

---

(108) R.B.Perry General theory, p.88.

(109) T.H.Green: Prolegomena to Ethics 1890, p.122 in R.B.Perry General theory of value, p.89.

فشته Fichtl (١٧٦٢ - ١٨١٤) وفى هذه المفاهيم، والمفاهيم المماثلة تتلاقى الميتافيزيقا مع نظرية القيمة. فالعالم هو ما يريده العقل فى أعمق أمانيه وطموحاته والإنسان هو النتاج الكامل للروح.(١١٠)

ويحلل بيرى الرأى الخاص بالإرادة المطلقة فى ميدان القيمة، كما تناوله من قبل فى نظرية المعرفة فى فلسفته الواقعية. ويرى أنه من الضرورى إدراك المعنى المحدد الذى تكون فيه الإرادة نظرية عامة فى القيمة. فما ينطوى عليه هذا الرأى ببساطه أنه توجد هناك إرادة كونية تستحق الأسبقية على النزوعات الإنسانية الخاصة، وهذا يعنى أنه بينما تكون كل موضوعات النزوع خيرة فى ذاتها، وكل موضوعات النفور شريرة فى حد ذاتها فإن موضوعات الإرادة الكونية تكون خيرة وشريرة بدرجة متفاوتة. ولكن حينئذ فإن الإرادة الكونية لا تستحضر لتعريف القيمة بمعناها العام، لكن تستحضر لتحديد درجة عالية من القيمة. فمحاولة بيرى وجهده ينصب على تحديد القيمة فى معناها الشامل بينما ربط القيمة بالإرادة المطلقة يؤكد فقط على أنه لايوجد سوى القيمة الأعلى. وعلى العكس من ذلك يرى بيرى أن التجربة الإنسانية التى يبدأ منها تعرض لدورب متعددة الإرادات - تكون ممكنة - وهذه الإمكانية تقف فى طريق تبنى مثل تلك الإرادة المطلقة الفريدة(١١١).

ويتناول بيرى الأشكال المختلفة للإرادة المطلقة. فهناك ما يطلق عليه «افتراض الإرادة المطلقة فى الحق» وهو الرأى الإبستمولوجى فى الأساس، والذى تكمن قوته فى القول بأن التناقض حتمى داخل الرغبة (الإرادة - الشعور) كما فى الإدراك، فإذا كان المظهر مقابلا للوجود الحقيقى (الوجود - فى - ذاته) فى الإدراك، ففى مجال الحياة الوجدانية الحركية يجب أن نميز بين القيمة الظاهرة مقابل القيمة الحقيقية، وبمعنى آخر فإن القيم الحقيقية الوحيدة هى القيم الظاهرة مقابل

---

(110) R.B.Perry: General, p.90, present conflicat of Ideals, ph 17 present philosophical Tendencis, p. ch 8.

(111) R.B.Perry General, p.91.

القيمة الحقيقية. وبمعنى أخر فان القيم الحقيقية الوحيدة هى القيم المطلقة أو (القيم فى ذاتها) وهذا هو موقف فندلباند (١٨٤٨ ـ ١٩١٥) الذى يرى أنه علينا أن نبحث عن (قيمة فى ذاتها) تماما مثلما يجب أن نبحث عن (شىء فى ذاته) تكون وراء نسبية التذوق الفعلى.

ونظرا لأن هناك قيمة واحدة فقط فيما يتعلق بالوعى المقيم، فإن القيمة فى حد ذاتها تشير إلى الشىء فى ذاته. أى أن الشىء فى ذاته لدى فندلباند ومدرسته قابل للتحويل إلى القيمة فى حد ذاتها. «وبالنسبة له تتحقق القيم الخالدة المنطقية والخلقية فى التاريخ عندما يدب الشعور بها فى النفوس الإنسانية فتتخذها قوانين أو مبادئ ترشدها فى سلوكها ولا يتناقض اتباع هذه المثل العليا مع القوانين النظرية فى العقل، فى شىء، فإن قوانين المثل العليا تؤثر فينا تأثير نفسيا عميقا بمجرد إدراكنا لصدقها وقيمتها»[١١٢]. وهذا الرأى فيما يقول ريمون رويه «يميل إلى تعريف القيم كمعايير أكثر من اعتبارها مواضيع مثالية فمن القول إن الخير هو ما ينبغى فعله وإن الحقيقى هو ما ينبغى أن نفكر فيه. ينتهى إلى أن القيم وجوبية، لا نسبية، مستقلة تكون أساس الواجب والصحة»[١١٣].

ثم يعرض بيرى لرأى هوجو منستر برج الذى يعد امتدادا وتطويرا لرأى فندلباند وهو ما يطلق عليه اصطلاح توازى الحق والخير والجمال؛ أى استقلال وتماثل هذه العوالم الثلاثة، والاعتماد المتداخل بينهم. «فالخطوة النهائية الأكثر حسماً هى الإصرار على أن الأفعال المعيارية العديدة للروح يجب أن تكون فى اتفاق متبادل ويؤكد منستربرج أن إنجازات الأخلاق والجمال والسعادة والعلاقات الخاصة بالصدق، يجب أن تكون مدركة فى النهاية على أنها ذاتية»[١١٤]. ويناقش برادلى مستخدما بعض أفكاره ليصل إلى الفصل بين

(١١٢) وولف: فلسفة المحدثين والمعاصرين. ترجمة د. أبوالعلا عفيفى. لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ص١٣٤.

(١١٣) ريمون رويه: فلسفة القيم، ص٢٥٥.

(114) R.B.Perry, General, pp.94 - 96.

الوجود والقيم 2 فبرادلى «يعترف بأن أحكامنا الخاصة بالوجود لا تلبى مطالبنا الأخلاقية» أى أن الإرضاءات الإدراكية تكون مستقلة عن الإرضاءات الأخلاقية والجمالية»(١١٥).

وبعد مناقشة الإرادة فى شكلها الميتافيزيقى القديم وشكلها الإبستمولوجى لدى المثالية الحديثة يناقش الشكل الأحدث لها (الشكل الأخلاقى) أو ما يطلق عليه «الإرادة الملزمه أو الإجبارية» تحت عنوان «الشكل النهائى للإرادة وهو الواجب».

إن الإرادة المطلقة، وإن كانت فى الأساس مفهوما إبستمولوجيا فإن بعض أنصارها من المدرسة الكانطية للجديدة قد استخدم مفهوم الواجب للهرب من أخطاء كل من الميتافيزيقا وعلم النفس. كما نجد ذلك على سبيل من المثال لدى فندلباند، الذى يؤكد «أن الشىء الوحيد إلى نستطيع عمله هو القول بأن الحقيقة تكون فى الحالات التى يجب أن تؤكد فيها»(١١٦) فإذا ترجمت «يجب» الإبستمولوجية، فإنها فى الحال تأخذ مظهراً من الألفة. فالواجب صفة مؤهلة ذاتية للإرادة وهى واحدة من المعطيات الجوهرية للحياة الأخلاقية.

ومناقشة بيرى لهذا الرأى تؤدى إلى غرض مزدوج فهى تشير إلى واحد من الأشياء التى يبدو أن الإرادة المطلقة تعينها. وهى أيضا تساعد على تحديد ضرب آخر مستقل عن ذلك النمط الخاص بالإرادة. وربما يكون هذا الاهتمام المعدل المستخدم لتعريف القيمة هو الاهتمام الذى يجب مراعاته. وهكذا فإن الخير يمكن تحديده على أنه المرغوب فيه بمعنى فى ماذا يرغب الإنسان عندما يرغب، مثلما يجب على الإنسان أن يرغب فى الحق كشىء يجب عمله، أو استحسانه بهذا المعنى. وفى الجمال كشىء يجب أن يستمتع به. والصدق كشىء يجب أن تعتقد فيه.

وهو يستخدم مفهوم الإرادة الملزمة أو الضرورية بقصد تحديد جامع للقيمة بإظهار الشكل النهائى للإرادة وهو الواجب الذى يعد شكلا خاصاً مشتقا من

(115) Ibid, p. 97.
(116) R.B.Perry General, p.100.

الإرادة، وان كان لا يحتوى القيمة بالمعنى الشامل: ويحدد بيرى فى مناقشته التجريبية للواجب خمسة أشكال من الإرادة الملزمة أو الإجبارية هى:

١ - الإرادة الآمرة أو المستبدة وتتمثل فى «الإحساس الداخلى بالسلطة».

٢ - الإرادة الشخصية فى سلطتها على الدوافع الخاصة.

٣ - الإرادة الملهمة للرهبة التى تؤدى إلى احترام السلطة.

٤ - الإرادة الجماعية فى سلطتها على الأفراد.

٥ - الإرادة العاقلة فى أسبقيتها على الإرادة الجاهلة أو الزائفة(١١٧).

وبعد أن يعرض لهذه الأشكال المختلفة من الإرادة سواء منها الميتافيزيقى أم الابستمولوجى أو الأخلاقى، وهى التى تكون ما يطلق عليه الاهتمام المؤهل الذى تعرف به القيمة يرى أنها محاولات ناقصة ولا تفى بالمطلوب. «فالاهتمامات يمكن أن تكون نهائية غائية، متوافقة، سلطوية، بطريقة ذاتية، أو موضوعية، تركيبية، شخصية أو اجتماعية عقلية، إجبارية أو إلزامية. وهذا التعدد يحدد ضروبا من القيمة لكن لا يحدد القيمة فى ذاتها»(١١٨). أى القيمة بمعناها الشامل الذى تنسب إلى اهتمام ما بشىء ما .

وإذا كانت مناقشة الآراء السابقة لم توصلنا إلى القيمة بمعناها العام فقد أصبح واضحا بشكل ضمنى أن التعريف الجامع للقيمة يكون ممكنا عن طريق المفهوم الجامع للاهتمام وأن الوصول إلى ذلك يتم بعملية استبعاد منهجى. وقد قام بيرى أولا باستبعاد الآراء - السابقة - التى تعرف القيمة باهتمام مؤهل. وكانت النتيجة عرض نوع من القيمة لها السمة العامة لكونها موضوع للاهتمام، يقول بيرى: «وهكذا فقد وجدنا أنفسنا مقودين إلى تحديد القيمة على أنها العلاقة الخاصة بين أى اهتمام وموضوعه، أو تلك السمة الخاصة للموضوع المتضمن للاهتمام، وتبرير ذلك أنه البديل المتبقى. وهناك افتراض أكبر فى صالح هذا الخير المتبقى، أنه يرتبط بالحس المشترك، بالإضافة إلى أن كل

(117) *Ibid, General, pp.102 - 108.*
(118) *Ibid, p . 114.*

التعريفات السابقة تفترضه ضمنا»[119]. فالاهتمام هو المصدر الأصلى، والسمة الثابتة لكل قيمة.

وهذه الفكرة التى تربط القيمة بالاهتمام نادرا ما وجدت تعبير واضحا عنها، أى أنها لم تعرف فى تاريخ الفلسفة، ونادرا أيضا ما جاهر بها الفلاسفة. ويدهش بيرى من أن فكرة بهذا الوضوح ليس لها سوى هذا التأييد الضئيل.. فالندرة هى أخر شىء يمكن أن نتوقعه منها سواء أقام بذلك المدافعون عن هذه الفكرة وينظرون إليها على أنها حس عام سليم، أم المعادون لها ويعتبرونها خطأ سوقياً. ويأسف بيرى لهذه الحقيقة التى تقول إنه نادرا ما جاهر الفلاسفة بهذا الفهم للقيمة باعتبارها خاصة بين اهتمام وموضوعه. وربما ترجع أسباب قلة التأييد لهذه الفكرة إلى فهم ناقص للمشكلة ذاتها. «فنظرية القيمة فى المعنى المعاصر قد وجهت سؤالا جديد يختلف فى الأساس عما طرحته المذاهب الفلسفية التقليدية، هذا السؤال هو: على أى شىء تتوقف القيمة فى المعنى الأساسى الشامل؟»[120].

وفى الحقيقة أنه لا الفلسفة، ولا الحس المشترك كان مهتما بهذا السؤال بشكل واضح، وعلى ذلك فنحن لا نجد إلا قليلاً من الإجابات الواضحة، لأن معظم النظريات لم تعن أساسا بهذا السؤال. لكن عنايتها كانت موجهة نحو وضع أسئلة أخرى مختلفة والإجابة عليها مثل: ما هى القيم بطريقة فريدة؟ ما هى القيم بطريقة سامية؟ ما هى القيم بطريقة تأملية، أو واعية؟ وإذا كان تاريخ الفكر يزخر بآراء تعرف القيمة بالاهتمام فإن هذه الآراء مصاغة باصطلاحات أحد الأسئلة السابقة، وبالتالى لا يمكن اعتبارها تعريفات جامعة للقيمة بالمعنى الذى يقترحه بيرى.

وأول الإجابات التى تقابلنا وأقدمها هى التى يقدمها لنا أصحاب مذهب اللذة الذى يفسر الخير باصطلاحات السرور، والشر باصطلاحات الألم. إلا أن

---

(119) Ibid, p. 115.
(120) R.B.Perry General, p.119.

بيرى لا يتخذ من أصحاب هذا الرأى مؤيدين له. لأنهم كانوا معنين أساسا بإظهار تملك اللذة والألم للقيمة. فعند جيرمى بنتام (١٧٤٨ ـ ١٨٣٢) «نجد أن الطبيعة قد وضعت الجنس البشرى تحت حكم سيدين حاكمين، الألم والسرور. كما جاء فى كتابه «مبادئ الأخلاق التشريع» [١٢١] ويبدأ جون ستيورات مل (١٨٠٦ ـ ١٨٧٣) بتأكيد أن السؤال المختص بالغايات هو سؤال بخصوص الأشياء المرغوبة. ويضيف أن الدليل الوحيد الممكن أن ينتج أى شىء مرغوب فيه هو أن الناس بالفعل ترغب فيه «ويستنتج من ذلك أنه لاشىء مرغوب فى الحقيقة عدا السعادة»[١٢٢] وبينما يؤكد بنتام أن اللذة والألم هما فقط الدوافع المتحكمة فى الفعل الإنسانى. يؤكد مل أن السعادة هى المرغوبة، وكلاهما معنى بإظهار أن اللذة والألم هما الموضوعات الفريدة للاهتمام، ومما هو مشكوك فى صحته كما يقول بيرى: أن كليهما يفترض مبدأ أكثر جوهرية للنتيجة التى تقول بأن القيمة هى القوة المحركة أو موضوع الرغبة والتجنب. وعلى الرغم من أن المدرسة النفعية تجاهر ضمنيا بهذه القضية فإن أفراد هذه المدرسة لايتفق معهم بيرى.

وهذا الموقف الذى يرفض فيه بيرى الاعتماد على بنتام ومل غير مقنع من فيلسوف يعد هو نفسه امتدادا وتطويرا لمذهب المنفعة العامة، فقد قصر بيرى هذا المذهب على مفهوم اللذة فقط. ونحن نتعجب كيف أهمل بيرى القضية الأساسية لهذا المذهب والمتمثلة فى النتيجة التى توصلوا إليها وهى «أكبر قدر من المنفعة لأكثر عدد من الناس» لكن هذا العجب يزول حين نتناول نظرية بيرى الثانية المتعلقة بقياس القيمة وتحديد معنى الأفضل «حيث تقوم هذه النظرية فى معظمها على الموقف النفعى الإنسانى»[١٢٣].

وعلى الرغم من أن الفلاسفة السابقين والمعاصرين لبيرى لم يطرحوا السؤال

---

(121) Benthan (Jermy): Principles of Morals and legialation ch I. in Perry: General theory, p. 118.

(122) R.B.Perry: Ibid, pp. 118 - 119.

(123) Ibid, p.615.

الخاص بالقيمة كما طرحه هو، فهناك بعض المحاولات التى تقترب من فكرته ومنها فلسفة صمويل الكسندر (١٨٥٨ ـ ١٩٣٨) فى القيم. والكسندر من الواقعيين الإنجليز الجدد، أسس مذهبا ميتافيزيقيا ضخما على أساس من نظرية التطور المفاجىء، وذلك فى كتابه «الزمان والمكان والألوهية»[١٢٤] يسهم الكسندر بعض الإسهام فى مناقشة فكرة بيرى عن القيمة ويكاد يقترب تماما من بيرى حين يقول فى الزمان والمكان والألوهية. فى كل قيمة هناك جانبان موضوع التقييم، والذات المقيمة، وتبقى القيمة فى العلاقة بين الطرفين، ولا توجد فيما عداها. والقيمة ليست مجرد السرور أو القدرة على إعطائه، ولكن إشباع رغبةالمقيم، فهى تشبع الحب للمعرفة أو العمل أو الإنتاج حتى الصدر يكون قيما للطفل لأنه يشبع رغبته للطعام. فالقيم تنبع مما نحبه ونشبعه»[١٢٥] وهو هنا يتفق تماما مع بيرى. إلا أنه يعود فيتراجع عن هذه الفكرة ويعدل أراءه، فالقيمة تشعر بالسرور، لكى بعد طريقة معينة، وما أظهر هذا الشكل من السرور أن يكون اجتماعيا، فالقيمة ترجع إلى نمط وتتصل بالفرد فقط إلى المدى الذى يمثل فيه نمطا[١٢٦] فهو هنا يغدر بالقضية التى تقول بأنه بالفعل مهتم بالقيمة بالمناسبة أوالموضوعية، أى القيمة بمعناها الشامل. وعند بيرى ليس هناك أدنى اعتراض على دراسة القيم النمطية، لكن القول بأنها «القيم الوحيدة الحقيقية» هو ما يأسف له بيرى تماما وبالتالى يجب أن نتخلى عن أملنا الأول لتأييده (أى الكسندر)[١٢٧].

وتناول كتابات ونصوص ألكسندر الأصلية يبين نقاط الاتفاق والاختلاف بينه وبين بيرى. فالكسندر فى «الجمال وأشكال أخرى من القيمة» يبين أن القيم كونية. أى أنها لا تنتمى فقط إلى عالم الإنسان، بل يمدها لتشمل نواحى الكون

---

(١٢٤) وهناك كتابات متعددة لألكسندر منها «الفن والمادة» سنة ١٩٢٥، «والجمال وأشكال أخرى للقيمة» سنة ١٩٣٣، وكان للدكتور يحيى هويدى فضل توجيه الأنظار إلى أهمية ألكسندر فى كتابه دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة ودراساته العديدة.

(125) S.Alexander Space Time and Deity, Vol, 2.p.303.

(126) Ibid, p.304 - 307.

(127) R.B.Perry: General p.121.

العضوية وغير العضوية كافة، فالغذاء قيم للحيوان، والندى للنبات، صحيح أن كلا من النبات والحيوان لا يعد هذه الأشياء قيم، لكنه يتصرف كما لو كانت كذلك[١٢٨]. ويمكن أن نمضى معه ونقول إن هناك قيمة تبدأ من الحياة العضوية، وأن كل شىء له قيمة بالنسبة للآخر. فبرادة الحديد تكون قيمة بالنسبة للمغناطيس، ويستشهد الكسندر بقول جون ليرد «إن المغناطيس له اختيار طبيعى للبرادة». ويعتقد الكسندر أن هناك عقلا وحياة فى كل شىء «إن قولنا أن كل شىء له عقل وحياة سوف يكون اكتشافا حقيقيا» ومعنى ذلك أن الكسندر يؤكد على أن هناك قيمة فى كل مكان. يقول: «إن ليرد فى فكرة القيمة يحاول أن يجد القيمة فى الانتخاب الطبيعى حيث كل شىء فى الكون له شىء آخر ينجذب نحوه متجاوزا رأى بيرى الذى يمد مفهوم القيمة ليشمل أى نوع من الاهتمام حيث أى شىء مهم بالنسبة لكائن واعى. ويذهب ليرد أبعد من هذا، ويمد معنى القيمة وراء الكائنات الواعية إلى كل الكائنات، وأنا من جانبى (الكسندر) لا أرى سببا يدعونا للوقوف عند الكائنات الواعى فقط كما يفعل بيرى»[١٢٩]وسوف تصبح القيمة على هذا الأساس سمة مهمة جدا فى الكون، وتصبح طريقة للتعبير عن حقيقة أن كل شىء مباشرة أو غير مباشرة عن قرب أو عن بعد مرتبط بجميع الأشياء».[١٣٠]

ونستطيع أن نقابل بين هذا الرأى ورأى بيرى الذى يربط القيمة بالاهتمام فالقيمة عند بيرى مقصورة على مملكة الإنسان فقط يقول: «لخلق قيم لم توجد من قبل فانه يبدو كافيا أن تقدم اهتماما، فصمت الصحراء عديم القيمة إلى أن يجده البعض من الرحالة موحشا مرعبا، وكذلك الأمر بالنسبة للشلال إلى أن يجده أحدهم شيئا ساميا، أو عند إقامة الجسور لإشباع الحاجات الإنسانية.

---

(128) S. Alexander, Beauty and other form's of value, London Micmillian 1933, p.1 - 2

(129) S. Alexander: Collected writing a Momer by. J. Laird, p.288.

يذكر ليرى فى الهامش أن الكسندر نفسه سبق إلى هذا الرأى الذى ينسبه إلى ليرد ويحيلنا ليرد إلى رأى الكسندر فى نفس الكتاب، صفحات ٢٧٦، ٢٨٦.

(130) Ibid, p.288.

فالمواد الطبيعية ومنتجات الصناعة تكون عديمة القيمة حتى تجد استخداما لها. وتزداد قيمتها حسب الشغف بها فلا يوجد كيان لا يكون له قيمة معينة من خلال الحقيقة التى تقول إنه تم اختياره عن طريق الغرض الإدراكى للعقل المهتم»(١٣١) ويضيف بيرى عبارة ذات مغزى مُهم فى نهاية هذه الفقرة فيقول: «وحيث إن الاهتمامات تنمو وتتكاثر فى العدد وتمد أشعتها عبر التجربة والتخيل فإن المخزون من القيم الكونية يمكن إثراؤه وتشكيله».(١٣٢)

مما سبق يتبين الفارق الأساسى بين بيرى والكسندر. فبالنسبة للأول فالقيم لا تسرى على أى شىء فى الكون فهى مقصورة فقط على عالم الإنسان، بينما الكون بمعزل عن الإنسان خال من القيمة، وبالنسبة لألكسندر وليرد فالقيمة كلية كونية تنطبق على كل شىء فى الوجود.

وهناك اختلاف آخر يتمثل فى نقطة بداية كل منهما فى دراسته للقيمة. فالكسندر يبدأ من القيم العليا ثم يهبط منها إلى القيم الدنيا، وهكذا فعل ليرد فى «فكرة القيمة» التى أرجعها إلى الانتخاب الطبيعى. يبدأ بيرى من القيمة البسيطة المتمثلة فى الاهتمام العادى ويصعد منها للقيم الأعلى الحق والخير والجمال. وفى هذا يقول الكسندر «بالنسبة لدراسة القيمة هناك طريقتان أساسيتان اما أن نقصر أنفسنا على القيمة الإنسانية ونبدأ بقضية مثلما فعل بيرى فى النظرية العامة للقيمة - بأن عرف القيمة بأنها ما يهمنا ثم نتقدم بعدئذ إلى القيم للأعلى، والطريقة الأخرى هى أن نفحص القيم الأعلى أولا، ثم نبحث بعد ذلك عما إذا كانت سماتها موجودة بطريقة أقل فى بقية القيم عموما وإلى أى مدى يكون ذلك»(١٣٣) ويتبع الكسندر الطريقة الثانية حيث يبحث فى القيم فى شكلها الأعلى فيعالج الجمال أولا وبإسهاب ثم يعالج بعد ذلك الحق والأخلاق، لأن المعرفة والأخلاق نوع من الفن، وإن كانا ليسا من الفنون الجميلة، ثم يتدرج من ذلك للقيم الأدنى التى تشمل كل الكون.

---

(131) R.B.Perry: General p.125.

(132) Ibid, p.129.

(133) S. Alexander, Beauty and other form's of value, p.3.

وهذا الفارق هو ما جعل ريمون رويه فى تصنيفه لنظريات القيمة يضع ألكسندر داخل نطاق النظريات الواقعية فى القيم، والتى تقترب من نظرية أفلاطون، بينما يضع بيرى فى النظريات السيكولوجية «نظريات فاعلية الفاعل»(١٣٤) ومعنى تصنيف رويه وتقريبه بين نظرية الكسندر وأفلاطون. إن نظرية الكسندر والتى ترتبط فى النهاية بنسقه الميتافيزيقى الواقعى كما بينه فى «الزمان والمكان والألوهية» ذات طابع مثالى(١٣٥) ذلك لأنه خلع على الكون ككل قيمة، فهو ينظر للطبيعة على أنها مجال لتجريب غير متوقف له مراتب عديدة، يمكن اقتفاء أثرها بداية من التجربة الواعية، ومن خلال المحاولة والخطأ التى تتمكن بها الأنماط الحية خصوصا الواعية من أن تتنوع داخل حدود معينة ونحن فى طريقنا للعملية الأكثر بساطة نحو استئصال غير الصالح(١٣٦) فالطبيعة وبالتالى هى الوسط الذى تسعى فيه كل كينونة نحو حالات أكثر تحملا وأكثر قناعة من التمسك وتشارك النزعة الطبيعية فى مسعى الكون نحو القيمة. وهنا توجد المثالية فى أكبر صورها الروحية. وأن ألكسندر قد عمم القيمة(١٣٧) لأنه جعل من القيمة شيئا سيكولوجيا محضا، وأن القيم الأعلى تعتبر حالات خاصة لهذا الاهتمام. ففى رفضه للمعالجة للسيكولوجية للقيمة يرفض التقليد الأكسيولوجى السائد للواقعية الجديدة ويستبعد إصرار الواقعية على أولوية المعرفة الحسية للاهتمامات السيكولوجية من مجال الحديث الفلسفى».

وعند بيرى تنقل المعطيات الأكسيولوجية من منطقة الروح إلى منطقة المادة لكى تتفق مع الميل الابستمولوجى الخاص بالواقعية. وإذا ما استخدمنا اصطلاحات مادية فإن الخواص الروحية هى ظواهر ثانوية تتطلب تفسيرا فسيولوجيا، وبالتالى فإنه يمكن رد المعطيات المرنة «الرقيقة» لعلم القيم إلى

(١٣٤) ريمون رويه: فلسفة القيم.. عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق ١٩٦٠.

(135) Bertron D.Brettschneider, The philosophy of S. Alexander, New York, Humanities press, 1964, p.107.

(136) Ibid, p.107.

(137) B.D.Brettachmeider, Ibid, p.107.

المعطيات الصلبة للنظم المركزية، فالذاتية كما تظهر فى نظرية بيرى العامة للقيمة التى تعرف القيم على أنها مواضيع الاهتمام، وفيها وصف الاهتمام بلغة السلوك حيث يتم إرجاع الأفعال السلوكية لعلم وظائف الأعضاء والتكيف الاجتماعى. وهذا التفسير لنظرية بيرى ينقلنا إلى قضية مهمة تتعلق بطبيعة نظريته العامة.

٢- تفسير طبيعة الاهتمام

لقد ذاعت نظرية بيرى وانتشرت كواحدة من أهم النظريات الطبيعية فى القيمة فلا يكاد يخلو منها كتاب معاصر فى القيمة. وقد تناولها الباحثون بالعرض والتعليق والتحوير والإكمال. وقد اختلف المفسرون والشراح اختلافا بينا فى تفسيرهم لطبيعتها. فالبعض يجعل منها نظرية ذاتية اعتمادا على أن الاهتمام مصدره الذات، والبعض الآخر يجعلها موضوعية خالصة، لا تعتمد على الذات بحال من الأحوال، وكل من هذين الموقفين يدعم حججه بنصوص وتحليلات مستمدة من النظرية العامة نفسها. وإن كان كل من هذين الموقفين قد تطرف فى تأويله لطبيعة القيمة فنحن لا نعدم بعض الدراسات الجادة التى استطاعت أن تتعمق موقف بيرى الواقعى فى نظرية القيمة؛ الذى يتوسط بين تطرف كل من الموقف الذاتى والموضوعى وقد تكون الإشارة التالية إلى هذه التفسيرات سبيلا للوصول إلى الفهم الصحيح لطبيعة نظرية القيمة عند بيرى.

أولا - التفسير الذاتى:

ونجده لدى ريزيه فرندز الذى يرى أن بيرى قد صاغ النظرية الذاتية الأكثر وضوحا فى مجال علم القيم الأمريكى «ففى مقابل الموضوعية المتطرفة لدى هارتمان «١٨٨٢ ـ ١٩٥٠» فى أخلاقه الشهيرة المنشور ١٩٢٦ نجد بيرى فى نفس العام قدم النظرية العامة للقيمة التى دافع فيها عن موقف ذاتى مازال يتمتع بمقام عظيم فى الولايات المتحدة الأمريكية فهو يتجاهل النظرية الموضوعية، ويتطلع إلى مصدر أساسى للقيمة فى التجربة الذاتية وسرعان ما يجد أن

الاهتمام هو العامل الرئيسى فى القيمة فبيرى ينحى جانبا صفات الموضوع ذاته وهى القادرة على استدعاء الاهتمام الذى يجعل الموضوع قيمنا داخلنا(١٣٨) ويستشهد ريزيه بقول بيرى إن صمت الصحراء بدون قيمة حتى يجد متجول ما أنه شىء وحيد مرعب، وكذلك الأمر بالنسبة للشلال إلى أن تجد الحساسية الإنسانية أنه رفيع وسام» ويعلق على ذلك قائلا: لم يجد المسافر أن الصحراء وحيدة ومرعبة، وأن الشلال سام؟ الا يرجع هذا إلى أن الصحراء لديها صفات تختلف عن تلك التى لدى الشلال، وأنه فى حالة وجودها لا نستطيع أن نحقق فى أن يكون لدينا رد فعل بطريقة مختلفة؟ وبالطبع فإن الصحراء لن تكون مرعبة إذا لم يكن هناك أية أشخاص قادرين أن يكونوا مفزوعين. ولكننا لا نستطيع أن نستنتج من هذه القضية أننا نضفى هذه السمة على الصحراء عندما نكون مفزوعين وهناك لدى بيرى كما «لدى ذاتيين آخرين كثير من المبالغة فى تصوير خطأ النظريات الموضوعية فى القيمة لصالح مذهبه. والتأكيد الصحيح بأن لا شىء يمكن أن يكون مرعبا إذا لم يكن هناك ذات تقيمه»(١٣٩).

ويتفق كوهلر مع هذا التفسير الذاتى وذلك فى كتابه The place Of value in the'Vorld of fact حيث يعتبر بيرى الممثل البارز لهذه النظرية بين المحدثين، ذلك لأنه يأخذ الاهتمام على أنه اصطلاح يمكن أن يصبح معناه عاما بسهولة بدرجة كافية ليشمل كل الحالات الخاصة(١٤٠). وبيرى لا يميل إلى أن يقبل المظهر الموضوعى للاهتمام كمظهر أصيل للقيمة، والشىء الذى يجب أن يؤكد هو أن سمتا القبول والرفض الخاصة بمواقف الاهتمام بوجهى الاحتمال الخاصيين بها هى التى تعطى النظرية الذاتية للقيمة معقوليتها «فالشعور يقوم بصبغة موضوعه بطريقة ما»(١٤١) وهذا فيما يرى حقيقة لا تتكر.(١٤٢)

---

(138) Frandzi (Risieri): What is value, p. 51 - 54.

(139) Frandzi (Risieri), p.55.

(140) Kohler: The place of value in the world of fact, pp. 60 - 61.

(141) Ibid, p.80.

(١٤٢) د. فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية. دار الكتاب العربى، القاهرة ١٩٦٦، ص٢٨، ٣٩، ٤٢.

إن نظرية بيرى تركز كل القيم فى الذات؛ لأنها ترى أن القيم تعبير من الشعور الذاتى إزاء شىء ما، أو عن اهتمام الشخص بشىء ما.

ثانيا: التفسير الموضوعى:

وفى مقابل التفسير الذاتى الذى يرجع القيمة إلى خبرات وأحوال الشخص بل يجعل من الذات خالقة للقيمة، نجد التفسير الآخر الذى يرفض هذا الموقف تماما ويقف فى الطرف المضاد له. وعند أصحاب هذا الرأى فإن للقيم أساس موضوعى.

يقول سوهاكيان *W. S. S hakian* فى كتابه النظم الأخلاقية ونظرية القيمة «القيمة موضوعية أساسا وليس صاحب الاهتمام هو الذى يمنح له القيمة»[١٤٣] أى أنه ليس الشخص العارف وصاحب الحكم على الاهتمام هو الذى يغلف الاهتمام بالقيمة فكل اهتمام مرغوب فيه ومحبوب وميال إليه فى ذاته ولذاته بمفرده، وعند تعريف القيمة باصطلاحات الاهتمامات فإن أى اهتمام سوف يشبع التعريف، وإذا ما لاحظنا أن أى شخص آخر يحب أو يرغب، أو يهتم بـ أو يريد شيئا ما، فإننى مفيد بهذا وطبعاً لم أحكم عليه بأنه خير، والدليل على أنه خير أو شرير هو حقيقة الاهتمام الذى يمكنه ملاحظتها، والتى هى موضوعية تماما ومعرضة للإتفاق مثل أى حقيقة أخرى فى الحياة والتاريخ[١٤٤].

هذا الموقف الثانى يتطرف - كما نرى - مثل التفسير الذاتى فى تحديد طبيعة نظرية بيرى، لكن فى الناحية المقابلة، أى نحو الموضوعية. وبين هذه التفسيرين يقع التفسير الصحيح لنظرية بيرى. فإذا كانت التأويلات المختلفة السابقة من ذاتية وموضوعية تنطلق أساسا من تعريف القيمة بالاهتمام، فهذا يبين مدى عمق وخصوبة هذا المفهوم لدى بيرى ويبين شموليته أيضا حيث يجد أنصار كل تفسير داخل هذا المفهوم ما يدعم وجهة نظرهم، وبالتالى تتعدد التفسيرات

---

(143) *Willian S. Sohakian: Systems Ethios and value theory Philosophical library, New York, 1963. p. 43.*

(144) *W. Schakian: Ibid, pp.384 - 385.*

الجزئية للمفهوم العام. وللوصول إلى التفسير الدقيق والأقرب إلى فهم بيرى يجب التعرض أولا لمفهوم الاهتمام وبيان طبيعته حتى يتبين أذاتى هو أم موضوعى؟ أم يقع بين هذه الموقفين؟ وهذا هو موضوع بحثنا الآن الذى يتناول الاهتمام كأساس واقعى للقيمة.

٣- مفهوم الاهتمام الواقعى

عرفت نظرية بيرى فى القيمة على أنها نظرية فى الاهتمام. فالاهتمام هو المصدر الأساسى والسمة الدائمة لكل قيمة، فأى موضوع يكتسب قيمة عندما يستوعب أى اهتمام أى كان هذا الاهتمام. فمهما كان الاهتمام فهو فى حقيقته قيمة فى الحالة التى يعبر فيها الشخص عن الاهتمام به. وهو يحدد تعريفه على الشكل التالى:

«الشىء، أى شىء له قيمة أو يعد قيما فى المعنى الأساسى الشامل، عندما يكون موضوع اهتمام. وأى موضوع للاهتمام فهو بالتالى قيم بذاته، ويمكن صياغة هذا التعريف فى المعادلة الرياضية التالية س لها قيمة = هناك اهتمام بـ س. فإذا كان أى موضوع يكتسب قيمة حينما يكون لنا اهتماما به بصرف النظر عن نوع هذا الاهتمام، فهذا يعنى ازدياد القيمة بازدياد الاهتمام، فعندما تكون هناك موضوعات أكثر قيمة من غيرها فمرجع هذا إلى أن الاهتمام الموجه إليها أكثر من ذلك الموجه إلى غيرها[١٤٥]. وتعريف بيرى للقيمة يقتضى فحص الاهتمام، ذلك المفهوم الذى يعد أساس القيمة فما هو الاهتمام؟ وما معناه وطبيعته ؟ وما هى مكوناته وخصائصه؟

يعرف بيرى الاهتمام كالآتى: «الاهتمام هو سلسلة من الأحداث يتحكم فيها توقع نتيجتها أى أن الشىء يكون موضوعا للاهتمام عندما يؤدى هذا التوقع إلى القيام بأفعال تمكن أو لا تمكن من تحقيقه»[١٤٦].

(145) Frank Magill: Masterpiees of world phil., vp.875 - 876.
(146) R.B.Perry: Realms of value, pp. 3 - 4.

ونظرا لأن الاهتمام مكون للقيمة فى معناها الأساسى فإن نظرية القيمة سوف تتخذ منه نقطة بدايتها، وسوف تصنف القيم المختلفة باصطلاحات الأشكال المختلفة للاهتمامات وموضوعاتها. والحقيقة أن عزو بيرى القيمة إلى الاهتمام له ما يبرره فى حقيقة أن حياة الإنسانية الوجدانية - الحركية والتى ينطبق عليها اصطلاح الاهتمام تقوم بالعمل فى كل المواقف الخاصة بالقيمة. فالقيم تعتبر وظائف معينة خاصة بالكائن الحى، وهو مايطلق عليه اسم الاهتمام.

وتعريف الاهتمام بدوره يخضع لنفس مقتضيات التعريف التى تخضع لها كلمة قيمة فكل مفردات اللغة والتركيب النحوية تعطينا لفظ اهتمام **«فهناك شىء فى عالمنا نسميه اهتماما، ويمكن أن نتوصل إليه مثل أى حقيقة أخرى»**[١٤٧] ويبرر بيرى اختياره لهذا المصطلح على الشكل التالى:

«لقد اخترت كلمة الاهتمام لأنها أحسن كلمة من بين الكمات القديمة، فهى تحل محل مجموعة من الكلمات مثل: «إعجاب»، «رغبة» ، «إرادة»، «وحب»، و«أمل» وامتداد هذه الكلمات بالإضافة إلى معنى عام يخالف مجموعة من الكلمات تشمل الاحساس والإدراك والتفكير والحكم» وكلمة اهتمام من أقل الأسماء تضليلا لمجموعة من الأفعال أو الحالات التى تشترك فى الصفة أنها «توافق» أو «تعارض»، «مع» أو «ضد» وأن التعبيرين المواقف الوجدانية الحركية «أو» مواقف الرضى والسخط هما أحسن شرح لها[١٤٨].

وتفصيل ذلك أن من مميزات العقل الحى أن يكون مع أشياء وضد أشياء أخرى، وهذه القطبية تتجاوز ثنائية «نعم» و «لا» بالمعنى المنطقى أو الإدراكى المحض، فالفرد يستطيع أن يقول نعم وهو متردد، أو يكون مبتهجا لأن يقول «لا» فإن تكون مع أو ضد هو أن تبدى رأيا بالرضى أو عدم الرضى وهو ترجيح الذات نحو شىء أو بعيد عنه وتظهر هذه الثنائية فى أشكال عديدة مثل: الحب والبغض، الرغبة والنفور، الإرادة والرفض، البحث والتجنب، وهذه الميزة الشاملة كلية للحياة الوجدانية - الحركية يعطيها بيرى اصطلاح الاهتمام.

---

(147) R.B.Perry: Realms of value, pp. 6 - 7.
(148) Ibid, p.7 + General theory, p. 115.

ونظرًا لهذا الفهم السيكولوجى للاصطلاح *Interest* (١٤٩) فقد ترجم إلى الاهتمام، وليس أى معنى آخر لهذا اللفظ، الذى يمكن أن يقابل فى اللغة العربية معانى متعددة مثل: «مصلحة»، «منفعة»، «فائدة»، «جدوى»، «عناية» «شوق» «ولوع»، «تأثير» «إثارة» و«انتباه»... الخ. وبيرى قد استبعد معظم هذه المعانى التى لا تعطى الدلالة الكاملة لما يعنيه. فالاهتمام أكثر من مجرد إثارة الانتباه الذى يعطى دلالة فضفاضة لمعناه، وهو أيضا يتجاوز لفظ مصلحة، لأنه خلو من المصلحة الضيقة الذاتية، ويمكن أن يطلق عليه «**مجموعة المصالح الكلية والعامة**» وكلمة منفعة وفائدة تقصر المصطلح على جوانب محددة، والذى يريده بيرى معنى عاما وشاملا، كما أنها توحى عن طريق التداعى بمدارس اقتصادية وفلسفية يتجاوزها مفهوم القيمة عند بيرى، وقصر الاهتمام على العناية يرتبط بفهم خاص كما عند هيدجر (١٥٠). والشوق والرغبة وغيرها تعد ألفاظ تخصصية وضروب مشتقة من المعنى العام، ويمكن استخدامها كبدائل أكثر تخصيصا للاهتمام.

وتعريف بيرى للاهتمام فى إطار مواقف الحياة الوجدانية الحركية يقترب من رأى برال *D. W. Pnail* فى كتابه «دراسة فى نظرية القيمة»، والذى يقول:

---

(١٤٩) الاهتمام *Interest*، بالفرنسية *Interet* من اللاتينية *Interes* أى «**الموقف المميز للعقل تجاه أى موضوع يجذب انتباهه**».. *D.D.Run's Dictionary of phil., p.148.*

وفى المعجم الفلسفى يعنى: «أ» التأثير الوجدانى المصاحب للانتباه، «ب» اتجاه نفسى إلى تركيز الانتباه حول موضوع «ج» نظرية الاهتمام التى نادى بها روسو للدلالة على القاعدة الرئيسة فى تعليم الأطفال وفحواها أن التعليم يجب أن يكون سلبياً فيقتصر على تلقين الطفل المعلومات التى يحس برغبة تلقائية فى معرفتها، «د» قانون الاهتمام هو الذى يستند إليه تداعى المعانى وينص على أن الفكرة لا تراودنا إلا إذا كانت متجاوبة مع اهتماماتنا الراهنة «لالاند» وانظر يوسف كرم، د. مراد وهبه، المعجم الفلسفى الطبعة الثانية، مكتبة يوليو، ص٢٨، والاهتمام هو التوجيه الفرضى للتفكير والفعل الذى يعكس الحاجات المادية والروحية للإنسان.

M.Rosenthal & P.Y udiu: Philasophical Dictionary. progress. publisrers, Moscow, 1967, p.219.

ولتوضيح هذا المعنى للاهتمام انظر أيضاً: *H.B.English & A.C.English*

(١٥٠) مارتن هيدجر: نداء الحقيقة ومقالات أخرى. ترجمة د. عبدالقادر مكاوى. انظر الفقرة القادمة من هذا البحث.

«يقال للشيء إن لديه قيمة حقا في حالة إذا ما كان موضوعا للاستجابة «الوجدانية - المحركة» التي نسميها كائنا مهتما به إيجابيا أو سلبيا»(١٥١). ويؤكد بيري أن هذا الفهم الأكثر حداثة ووضوحا يتفق مع تعريفه للقيمة مما حدا بجون ليرد في كتابه «فكرة القيمة» إلى الحديث عنهما باعتبارهما ممثلان لنظرية واحدة تعرف بنظرية بيري. برال «وهو يقترب أيضا من رأي سانتيانا. والذي ربما يكون مصدرا لفكرة بيري. حيث يقول **«ما عدا أنفسنا وأغراضنا الإنسانية فإننا لا نستطيع أن نرى في هذا العالم الآلي أي عنصر للقيمة»** فالعالم خال من القيمة، وهي مقصورة على المواقف الوجدانية - الحركية، أي الاهتمام، فلتحديد معنى القيمة يتم التعامل مباشرة مع الدافع الحركي للحياة «المواقف الوجدانية - الحركية» فهذا المصطلح مناسب بما فيه الكفاية كما يقول ليرد ليستوعب تعريفات الحياة - العقل.

ويتفق تعريف بيري في صياغته وكما يؤكد هو ذلك، وكل شراحه أيضا مع قضية اسبينوزا التي تقول: **«نحن لانسعى في أية حالة من الأحوال من أجل شيء، أو نتمناه، أو نشتاق إليه، أو نرغب فيه، لأننا نعتقد أنه خير، ولكن نعتقد أنه خير لأننا نسعى إليه أو نتمناه، أونشتاق إليه، أو نرغب فيه»**(١٥٢) ويتفق أيضا مع كل من هوبز (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩) وفون أهرنفلس ومينونيج الذي يقول: **«نحن لا نرغب في الأشياء لأننا نتعرف فيها على ذلك العنصر الغامض المستعصي على الفهم المسمى (قيمة) بل إننا ننسب القيمة للأشياء التي ترغب فيها»**(١٥٣) معنى هذا أن أي شيء أيا كان يكتسب قيمة ما دام هناك اهتمام به من أي نوع كان. تماما كما يحدث أن يصبح أي شيء أيا كان هدفا لأن شخصا ما قد اتجه نحوه. ومن الممكن بالطبع أن نرغب في شيء لأنه خير، حيث تتوقف صلاحيته على

---

(151) R.B.Perry: General theory of value, p.119.

(152) Spinoza: Ethics, part 111, proposition IX, tr. by R.H.Elwis, 1901, R.B.Perry: General theory of value, p.116, W.S. Shakian, p. 381, W.Kohler, p.92.

(153) R.B.Perry: General theory, p.116.

كونه مرغوبا عن طريق ذوات أخرى، أو عن طريق اهتمام ما آخر لنفس الذات، وعلى ذلك «**فالخير أو القيمة ينبع فى التحليل النهائى من الرغبة ولا تتبع الرغبة من الخير**»[١٥٤] يقول بيبر: «يصف بيرى وهو مدرك تماما الموضوع كهدف، ويعطى هذا الهدف وصفا أنطولوجيا خاصا من الوجود الضمنى»[١٥٥] وهو يماثل بين موضوع القيمة وموضوع الهدف عن قصد وبوضوح.

وعند هذه النقطة يسعى كل من ستفنس ببيبر وادوار س. تولمان فى تتبع بيرى فى توحيده بين الهدف والاهتمام من أجل تحديد القيمة باصطلاحات أكثر سلوكية. وهذا التحليل السيكولوجى الذى قام به بيبير، وتولمان فى متابعة بيرى إلى نحو أبعد يجب أن يعد بالتأكيد واحدا من إسهاماته وفى مقدمة آفاق القيمة يذكر بيرى كثيريين من الذين يتفقون معه فى هذا الفهم مثل بيبر، تولمان وجوردن البورت *Gordan W. Hafport* وهنرى أ. مورى وهنرى أيكن ودافيد برول وباركر ويظهر الاتفاق بين كل منهم على الشكل الآتى:

فدويت باركر مثل بيرى يسلم نفسه دائما إلى «وجهة نظر القيمة فى الأخلاق ويناقش من أجل موقف غائى «غرضى» يجعل معايير الصواب والخطأ معتمدة على القيمة التى تقوم بتحديدها. ويعرف القيمة على أنها إشباع الرغبة بدلا من تعريفها على أنها موضوع الرغبة، على أساس أن موضوع الرغبة يمكن أن ينقلب ولا يصبح خيرا عندما يتم إدراكه ويمكن أن يكون إشباع الرغبة سيئا كما بين باركر ذلك، لكن ذلك يتم فقط عندما يستلزم إحباط رغبات أخرى أكثر أساسية وشمولا. ورغبة المرء الأساسية أو الشمولية هى خطة حياة المرء وقيمه النهائية. وقد عرض برال هذا الرأى فى «القيم الإنسانية» عام ١٩٣١ و «فلسفة القيم» ١٩٥٧، وإن كان فى كتابه الأخير قد وقع تحت تأثير ستفنسون (تشارلز ليزلى) حيث يمتزج عمله بنظرية لا إدراكية ومع ذلك «لم يسعد أحد من الطبيعين مثل ما سعد باركر بسلوكية بيرى»[١٥٦].

---

(154) Ibid, p.116.

(155) S.C.Pepper: The Source of value, uni of laifornie, p.373.

(156) W.K.Frankena: Ethical Naturalism, pv.355 - 370, in Raderik M.Chishalm: Philosophical Shalarship in the U.S.A.

وقد هاجم البعض مثل سنبس، ورايس وايكن الفكرة التى عرضها بيرى وباركر التى تعرف القيمة باصطلاحات الاهتمام وقدموا بدلا منها نظرية انفعالية، وقد اقترح البعض مزج النظريتين معا، ومع ذلك فان بعض النقاد كانوا غير راضيين بتفسيرات الالتزام الأخلاقى التى تقدمها نظريات الاهتمام، على أساس أن أصحابها لا يعالجون بدرجة ملائمة أساس التزاماتنا نحو الآخرين أو يتكفلون بذلك عندما تتصارع هذه الاهتمامات الخاصة بنا. ويبدو هذا اللاتوافق فى نظرية باركر، لأنه يعترف بل يصر على أن المطالب الأخلاقية ليست سامية ويمكن للمطالب الشخصية أن تحل محلها. وقد يقال أيضا مثل هذا الرأى على موقف بيرى لأنه من الواضح أنه لايستطيع أن يبرهن على مبدئه الأول والخاص بالسعادة التوافقية للكل على أنه الغاية الأخلاقية.

وعند هذه النقطة يسهم بيبر فى المناقشة لأنه يحمل نظرية الاهتمام والسلوكية الى أبعد مدى ممكن كما يتمثل ذلك فى «المختار من القيم الغائية» *A Digest of Purposive Values* سنة ١٩٤٧، ومصادر القيمة The Ources of *Value* ١٩٥٨، ويمثل عمله هذا مع عمل بيرى التطور بأقصى درجاته لكل من نظرية القيمة والطبيعية الأخلاقية، وينطلق بيبير من كتاب النظرية العامة للقيمة الذى يعتبر من وجهة نظره أكثر المحاولات التجريبية شمولا، الخاصةبهذا الموضوع، ويقدم نظريته على أساس أنها نظرية غرضية فى القيمة.(١٥٧)

وعند بيرى يبدو أن الإشباع يتوقف فعلا على إدراك موضوع الهدف، فإذا كنت تريد منزلا أو وظيفة، أو مركز سياسيا، أو درجة دراسية، فإن إدراك مواضيع الهدف يبدو أنه يشكل إشباع، فالعنصر الضرورى فى تعريف الغرض هو إدراك موضوع هدف متوقع(١٥٨). ويؤكد بيبر أن بيرى يتمسك أكثر من تولمان

(١٥٧) يقول بيبر: «يمكن أن نجد عروضا متطورة للنظرية الغرضية فى كتاب النظرية العامة للقيمة وكتاب أ.س تولمان «السلوك الغرضى عند الحيوانات والإنسان» ويكمل هذان الكتابان بعضهما البعض» ويركز بيبر على جهود هذين العملين خاصة تحليلية للقيمة الغرضية.
S.AC.Perrer: The Sources of value, p.2.

(158) S.C.Pepper,p.70.

بالقيمة الغرضية لذلك نجده فى كتابه مصادر القيمة يتابع فى فقرات عديدة تحليلات بيرى للهدف على المستويين البيولوجى والسيكولوجى[١٥٩].

ومن الاستشهادات السابقة من كل من سانتيانا الذى يرى أن القيم تنبع من رد الفعل الذاتى وأنه لا توجد قيمة بعيدة عن تذوق ما لها فالقيم تنبع ليس من الوعى فقط لكن من الوعى الانفعالى حيث تنبع القيم من رد الفعل المباشر غير القابل للتغير ومن الجزء غير العقلى لطبيعتنا. وباركر الذى يرى أن القيمة تنتمى كلية إلى العالم الداخلى عالم العقل (الوعى)، فإشباع الرغبة وهو القيمة الحقيقية «فنحن نرى القيمة داخل العالم الخارجى مرجعين إياها إلى الأشياء التى تخدم الرغبة». وبيرال وغيرهم يتأكد أن بيرى يقصر القيم على عالم الإنسان فقط وردها إلى مواقف الرضى والسخط، أو المواقف الوجدانية الحركية، وهذا يؤكد بدوره ارتباط مفهوم الاهتمام بعلم النفس. وعلى ذلك ينبغى بيان العلاقة بين فكرة الاهتمام وبين النتائج التى وصل إليها علم النفس الذى يعد وصفا للطبيعة البشرية. فما هو موقف علم النفس من الاهتمام ومن نظرية بيرى؟

لقد استخدم العديد من علماء النفس اصطلاح الاهتمام لأغراض فنية متعددة لكن ليس هناك بينهم على ما يبدو من استخدمه بنفس المعنى الذى لدى بيرى. ففى هذه الدراسات يستخدم الاهتمام على أنه يعنى «شعورنا نحو» موضوع، أو كيف يلفت نظرنا، أو يؤثر فينا الموضوع، كما نجد ذلك لدى ميتشل *W.Mitchell* فى كتابه «تركيب ونمو العقل» بينما يستخدم ستوت *C. F. Stout* الاصطلاح للدلالة على الأشكال المنظمة والثابتة للحياة العاطفية مثل العواطف، كما جاء فى «أساس علم النفس» سنة ١٩٠٣ أى أن الاهتمام فى علم النفس يستخدم بطريقة أكثر عمومية ليدل على الانتباه[١٦٠] فبالنسبة إلى علماء النفس أنفسهم فإن مصطلح الاهتمام صعب التحديد وهو غامض بدرجة ميئوس منها حتى أنه قد يصبح من الأفضل أن ننبذه كلية كاصطلاح تكنيكى. وعلى رغم ذلك

---

(159) Ibid, p.171, 174, 182, 183, 185.
(160) Ibid, p.15.

فهذا الاصطلاح له أهميته الكبرى بالنسبة لدراسات القيمة كما يتبين من الاستشهادات السابقة وهو من المفاهيم المهمة التى يستخدمها علماء النفس تفترض وجود نظرية للقيمة، فموضوع القيم يعتبر من الموضوعات التى تحتاج فى معالجتها إلى بناء نظرى متكامل» ويرجع علماء النفس غموض مصطلح القيمة إلى تناوله لفترة طويلة فى إطار بحث غير منهجى، لذلك فمهمة الباحث هى تناول التعريفات المختلفة من أجل تحديد المقصود بهذا المصطلح. وما يهم الباحث هنا من التعريفات[١٦١] هى التى تتعامل مع القيم كاتجاهات. فهذا المنظور (الاتجاهات) قد احتضنه عدد كبير من علماء النفس حيث القيم بالنسبة لهم ما هى إلا اهتمامات، أو اتجاهات عامة معينة حيال أشياء أو مواقف أو أشخاص.وهاتشنسون يعرف القيم كمفهوم مكافىء للاهتمام، ويتعامل مع هذين المفهومين كبديلين عن بعضهما البعض لكى يشير بهما إلى الجانب الوجدانى الحركى من الشخصية الذى يقود إلى الفعل، فالقيمة، استنادا إلى منظوره ما هى إلا شىء أو موضوع يسعى إليه الفرد بجدية نظر لما يمثله هذا الشىء من قيمة بالنسبة إليه.

والحقيقة أن هذا التعريف الذى ارتكز فيه هاتشنسون على الاهتمامات كتعبير عن القيم أو أنها هى القيم ذاتها ينتهى به إلى أن يضمنه كل المحددات الأساسية الخاصة بالتعامل مع مختلف جوانب الحياة سواء أكانت تلك المحددات ممثلة فى الاهتمامات أم الاتجاهات أو السلوك فضلا عن تعامله مع القيم فى إطار هذا التعريف تارة على أنها كامنة فى الأشياء وتارة أخرى على أنها ذات هوية رمزية تملى على الفرد نوعا من القداسة، ومن ثم فقد أحالها بحكم هذا المعنى الأخير إلى نوع من القيم المطلقة[١٦٢] وبناء على هذا الفهم يمكن القول إن دراسة علم النفس التجريبية للقيمة وتعريفها بالاتجاهات أو الاهتمامات ليست ببعيدة عن مجال الفلسفة.

---

(١٦١) د. محيى الدين غنيم: القيم عند المبدعين، ص٣٩..

(١٦٢) المرجع السابق، ص٤٤.

مـفـهـوم الاهتـمـام إذن يتـضح على أنه «**صـور للنشـاط المعبـر عن النفس**» فالاهتمـام كما يقول ديوى هـو عملية خـلاقة موضـوعيـة وشـخصيـة، والاهتمام الطبيعى الخلاق يتخذ دائما وجهة معينة حيث ترى النفس ترغب باستمرار فى الوصول إلى غاية معينة، وثانية فهى تربط اهتماما بهذا الشىء أو ذلك، وثالثا تجد رضا عاطفيا فى قيامها بذلك. ويبدو أن الفكرة الأساسية للفظ اهتمام «**هى فكرة الاشتباك أو الانشغال أو الاستغراق كلية فى نشاط لما له من قيمة ممتازة، واللفظة فى اشتقاقها اللاتينى *Inter - esse* أى (الوجود بين) تدل على نفس الاتجاه، فالاهتمام يدل على إلغاء المسافة بين الشخص والأشياء**»[١٦٣].

وفى محاولة فهم المقصود بمفهوم الاهتمام كما قدمه بيرى هناك نظرية أخرى تعرف القيمة بالاهتمام أيضا لدى جون ديوى. وبتتبع العلاقة بين كل منهم نتبين كثيرا من الاختلافات وهناك صعوبات عديدة تقابل الباحث فى ذلك، بسبب العلاقات الوثيقة بين فلسفة كل منهما التى تجعل مفهوم الاهتمام لدى كل منهما مسألة شائكة. خاصة وأن غالبية الباحثين فى مجال القيم يوحدون بين نظرياتهما فى القيمة وتوضعان معا تحت عنوان واحد، انظر مثلا «المذهب النفسى الذرائعى» لدى ريمون رويه.[١٦٤]

---

(١٦٣) جون ديوى: المبادىء الأخلاقية فى التربية. ترجمة عبدالفتاح السيد هلال، الدار المصرية للتأليف، القاهراة، ص٧٧.

(١٦٤) الذى يقول: «إن الاهتمام يعرف القيمة بغض النظر عن الحكم الواعى الذى يطلقه الإنسان، المهم هو الموقف الذرائعى. إن الاهتمام لا يسبغ على الشىء نتيجة حكم كالحكم الآتى: «أن هذا يهمنى» ولكنه يسبغ كالفاعلية المهتمة ذاتها بالموقف الذى يستقطب حول الشخص ومن هنا فان نظرية ديوى تقترب قربا شديدا من نظرية بيرى وأن كانت تتصف بصبغة ذرائعية أوضح» ويضع الدكتور يحيى هويدى النظريتين تحت عنوان واحد هو «النظريات البراجماتية فى القيمة» وهى نظريات اهتمت بالفعل أوالسلوك حقا لكنها رأت مصدر السلوك عند الإنسان قائما فى شعوره بالمصلحة والنفع الذى سيحققه السلوك فى المستقبل. كما نجد ذلك عند بيرى أحد الواقعيين الجدد ذوى النزعات البراجماتية». ريمون رويه: فلسفة القيم، ص٢١٦. ود. يحيى هويدى: مقدمة فى الفلسفة العامة. الطبعة الخامسة، ص٢٨٠ . ٢٨١.

وقد يكون مرجع هذا التوحيد بينهما هو تعريفهما للقيمة بالرغبة واستخدامهما لفظ اهتمام وربما يعطى عرضا موجزا لمفهوم الاهتمام البرجماتى عند ديوى صورة دقيقة للفرق بينه وبين الاهتمام التكاملى لدى بيرى.

يقدم لنا ديوى نظرية براجماتية فى القيمة تقوم على فكرة الاهتمام وهو فى هذا يستكمل جهود جيمس وينقل آراءه من الدين إلى الأخلاق. وهذا الموقف متأرجح يبين وجهة نظر مور فى الخير اللامعروف وفكرة بيرى التى ترى أن وجود القيمة يعنى وجود موضوع الاهتمام(١٦٥). وللاهتمام أهميته فى موضوع التقييم فهو يشير إلى الارتباط الحى بين الفاعلية الشخصية والظروف المحيطة بهذه الفاعلية، والاشتقاق اللغوى له يؤكد هذا المعنى، لأن الاهتمام إنما يكون اهتماما بشىء ما. فهو لا يتولد من فراغ ولا يأتى من عدم، فكلمة اهتمام إنما تشير إلى الفاعلية التى تقوم بدورها من خلال توسط الظروف الخارجية(١٦٦). يقول ديوى فى نظرية التقييم: «حين يكون التقييم محددا، معرفا فى اصطلاحات الرغبة، فإن الرغبة يجب أن تعامل فى اصطلاحات البيئة الوجودية التى تنشأ فيها وتؤدى عملها»(١٦٧) فالرغبة بمعناها الواسع لا تؤخذ بدون محتوى محدد وارتباط بظروف البيئة. وعلى ذلك يمكن فهم اعتراض ديوى على النظريات السيكولوجية، ومنها نظرية بيرى التى تعرف القيمة (بالرغبة) أو الاهتمام فديوى يرى أن ربط القيمة بالرغبة ليس هو كل شىء بل هو مجرد بداية فقط وعلينا بالتالى إعطاء تحديد دقيق لمعنى ومفهوم الرغبة «فالقول بأن القيمة هى موضوع للاهتمام قول جرىء جدا بالنسبة لديوى. إذ يجب أن تكون العبارة مقروؤة هكذا: «أن القيمة هى موضوع معين محدد لبعض الاهتمام المحددة(١٦٨). ولا يكتفى

---

(165) Mortan white: The Age of Analysis, American liberery, 1953.

(١٦٦) محمد محمد مدين: القيم فى الفلسفة جون ديوى: رسالة ماجستير غير منشورة تحت إشراف الأستاذ الدكتور يحيى هويدى، ص٢٢٢.

(167) Johnn Boydston (ed): Guide to the works of J.Dewey southern Vlinois uni. press, 1972, p.189.

(168) Johnm Boydston: Ibid, p.189.

ديوى بذلك بل يتناول نظرية بيرى بالنقد، ويعترض على أنها تضع كل الاهتمام على مستوى واحد بالنسبة لوظيفتها فى عملية التقيم، وهذه النظرية تتناقض مع الملاحظة حتى على مستوى الحياة العادية. وينتهى ديوى إلى الرأى الذى يقول نظرا لأن الاهتمامات تحدث فى سياقات وجودية محددة ولا تحدث فى فراغ، وطالما كانت هذه السياقات عبارة عن مواقف تحدث فى مجرى الحياة سواء كانت حياة فرد أم جماعة فإن هذه الاهتمامات والرغبات متداخلة متصلة ببعضها البعض، ومن ثم تكون دالة لمجموعة الاهتمامات التى يكون بينها هذا الاهتمام. بالإضافة إلى ذلك يرى ديوى أن نظرية بيرى كان من الممكن الاعتراف بها فقط إذا كانت الاهتمامات تنفصل كل منها عن الآخر، ولكن الحقيقة هى أن هناك متصلا من الاهتمامات تشهد به الوقائع الملاحظة على مستوى الحياة اليومية، فانفصال الاهتمامات إنما يمكن تفسيره فقط كنتيجة لاستبطان سيكولوجى يرى أن الرغبات ليست إلا مشاعر بدلا من اعتبارها أنماطا للسلوك(١٦٩).

وخير رد على انتقادات ديوى هو ما أورده فيليب بليررايس الذى قال: «توجد فى التقدم الذى عرضته نظرية بيرى نقلة من التصورات المعيارية البسيطة إلى ما هو أكثر تعقيدا، توجد نقلة بعيدة من تصور الخير الذى يستدعى مصلحة إلى معناه الذى يرضى (يشبع) مصلحة(١٧٠) ونظرة واحدة إلى تصنيف بيرى للاهتمامات توضع اختلافاتها وعلاقاتها وترتيبها وتبين أن الاهتمامات ليست على مسنوى واحد، وبالتالى فانتقادات ديوى لا محل لها من الصحة؛ لأن نظرية بيرى على رغم أنها عامة وشاملة فهى تقوم على أساس تجريبى بمعنى أنها تتخذ موقف نقدى من قيم الحياة اليومية لتعبر الهوة الفاصلة بينهما بين الحس المشترك ونتائج العلم. أن جدل ديوى - بيرى لا ينتهى، فالنقد والرد بينهما يملأن صفحات المجلات الفلسفية والنفسية، تعليقا على صدور كتاب جديد، أو نقدا

---

(169) *J.Dewey: Theory of valuation, p.19.*

(١٧٠) فيليب بليررايس - فى معرفتنا بالخير والشر، ص٥٩.

لفكرة. ومن الأمثلة المتعددة يمكن الإشارة إلى واحدة من هذه المعارك الفلسفية الخاصة بالقيمة. فقد نشر ديوى فى جريدة الفلسفة العدد ٧ فى مايو ١٩١٨ مقالا بعنوان «موضوع التقييم» ردا على مقال بيرى «ديوى وايربان وأحكام القيمة» المنشور فى العدد الأسبق بنفس المجلة. إلا أن هذا النقد لم يكن مبرأ من جانب ديوى كما يعلن ذلك أحد شرحه» فديوى الذى نشر نظرية التقييم ١٩٣٩ (أى بعد نشر نظرية بيرى بثلاثة عشر عاما) أخذ الكثير من نصوص النظرية العامة للقيمة دون أن يذكر ذلك صراحة، وحين يذكر بيرى أو بعض نصوصه يترك الأفكار لينقد الأشخاص[١٧١]. وتعد نظرية التقيم من أكثر أعمال ديوى إثارة للسخط لانها تمثل الحالة المثلى لخطأ فادح، حيث ضلل ديوى القراء، فهو يعرض لأجزاء من نظرية بيرى ويهمل أجزاء أخرى، انتقده بيرى فيها، وديوى حين يقتبس نصا معينا يتجاهل ذكر مصادره، لأنه يريد أن ينتقد ليس النظرية ولكن الشخص.. ومع هذا فإن النقد الذى يواجهه ديوى ليس ذا قيمة بالنسبة للقارىء»[١٧٢].

وهذا الجدل بين بيرى وديوى يبين الفارق بين موقف كل منهما، فديوى يترجم القيمة إلى الاهتمام العملى البراجماتى ذى النتائج الملموسة متسقا مع منطقه الخاص بينما نظرية بيرى ذات صبغة إدراكية واضحة، الأول صاحب اهتمام ذرائعى والثانى يدعو إلى اهتمام تكاملى شامل. يقول بيرى: «يبتعد جون ديوى عن الفكرة إلى ندافع عنها، والخاصة بتعريف القيمة بالاهتمام، وذلك فى رجوعه إلى نوع القيمة الفريدة فى الخبرة غير القابلة للتحديد، ولا يمكن للاهتمام أو الحكم أن يكون هذا النوع من القيمة»[١٧٣].

وعلى الرغم من اختلاف بيرى عن ديوى إلا إنه من الإنصاف ذكر ميزة إيجابية لنظرية ديوى تتمثل فى استخدامه الاهتمام فى مجال التربية كما فى

---

(171) Jo Ann Boydston, Ibid, p.9 - 198.
(172) Ibid, p.318.
(173) R.B.Perry: General theory,p.124.

دراسته (الاهتمام وعلاقته بتدريب الإرادة) ذلك البحث الذى قدمة للجمعية الوطنية للدراسات العليا فى التربية.(١٧٤)

وهناك تصور آخر مغاير للاهتمام. هو الاهتمام الإنطولوجى الذى قدمه هيدجر فى كتابه (الوجود والزمان) من خلال تصوره للإنسان، الذى يطلق عليه لفظ الآنية *Desein* هذا المصطلح الذى يعنى المتواجد، أو الموجود - هناك - فى العالم، الموجود مع الآخرين، فالإنسان منذ البداية منفتح على العالم، وأهم ما يميزه هو التعامل. ويميز هيدجر بين نوعين من التعامل أو ما يطلق عليه العلاقة:

١ - التعامل مع الأدوات والأشياء وهى عنده انشغال أو اهتمام *Besorgen*

٢ - التعامل من الآخرين وهو الاهتمام ويعطيه هيدجر لفظ رعاية *Fursorge* بحيث تفهم هذه الكلمة بأوسع معانيها الوجودية فتشمل كل أساليب الوجود - مع - الآخرين من: الحب، والتضحية، إلى عدم الاكتراث، واللامبالاة، والرؤية، أو النظر المتعلق بالرعاية هو الاعتبار أو التسامح. والعناصر التى يتركب منها وجود الآنية *Desein* الموجود الإنسانى المشخص هى:

(أ) التأثير الوجدانى «الوجدانية» *Defindlichteit* الوجود عندما يجد ذاته.

(ب) الفهم *Verstehen*

(ج) الكلام *Rede*

وهيدجر يتدارك الجانب الشعورى الذى طالما أهمله الفلاسفة حين يقول بالوجدانية باعتبارها ظاهرة أصيلة فى الإنسان وانفتاحا على الآخر، فهى تؤلف من الناحية الوجودية انفتاح الآتية على العالم. وهى تنطوى على الفهم: «إن الفهم فى صميمه انفتاح يتعلق بتكوين الوجود - فى - العالم، فى مجموعه، ولما كان الأصل فى الفهم أنه بصر، أمكن للآنية أن تنمى مختلف أساليب التبصر

---

(١٧٤) جون ديوى، المبادىء الأخلاقية فى التربية، ص٦٢، ومابعدها.

عند اهتمامها بالأشياء والأدوات، والاعتبار (الرعاية) *Fursorge* عند رعايتها للآخرين».[١٧٥] وعلى ذلك فالاهتمام أو الرعاية عند هيدجر. وهو تلميذ هوسرل فى ذلك. يقترب من معنى الاهتمام عند بيرى وإن كان الاهتمام عند الأخير سيكولوجى يتجاوز الفرد إلى المجتمع (مجموع الأفراد) بينما عند هيدجر الاهتمام انطولوجى ميتافيزيقى.

وتوضيحا لمعنى الاهتمام عند بيرى يجب أن تحدد السمات المختلفة التى تكونه، أى عرض خصائص الاهتمام وذلك للوصول إلى إجابة عن السؤال الأساسى عن الاهتمام أهو ذاتى أم موضوعى؟ ففى الإجابة على هذا السؤال يتضح مدى اتساق نظرية بيرى فى القيم مع فلسفته العامة.

٤ - خصائص الاهتمام

(أ) الخاصية السيكولوجية:

يتكون الاهتمام عند بيرى من مجموعة من الخصائص تمثل الوعى بمظاهره المختلفة: الإدراك والنزوع والوجدان. وهى تقابل الشعور والجهد والمعرفة. أولاها الخاصية السيكولوجية، ويقصد بها اهتمام نظرية بيرى بجانب الوجدان والشعور (لدى الكائن البشرى) مقابل النظريات المعاصرة الأخرى التى تمد مفهوم التيمة ليشمل الكائنات فى الكون كما نجد ذلك لدى الكسندر وليرد.

لقد خص بيرى القيمة على مملكة الإنسان فقط. لذا فهو يستحدث مفهوما

---

(١٧٥) مارتن هيدجر: نداء الحقيقة وأعمال أخرى، ترجمة وتقديم وتعليق د. عبدالغفار مكاوى، سلسلة نصوص فلسفية، دار الثقافة للطباعة والنشر، ص٦٤، ٦٨، ٧٣، ٧٤.
وانظر أيضاً كتاب محمود فهمى زيدان «فى النفس والجسد». بحث فى الفلسفة المعاصرة «الذى يناقش فيه الحياة النفسية وطبيعتها. انظر الفصل الرابع، والخامس حيث يتعرض لموضوع وحدة النفس الحلول المختلفة لهذه المشكلة والفصل الثامن حيث يناقش العلاقة بين النفس والبدن والنظريات المختلفة التى تفسرها، ص١٨٤، ١٩٧ «فى النفس والجسد» دار الجامعات المصرية، الإسكندرية ١٩٧٩، ط١.

نفسيا جديدا يطلق عليه «الوجدان - المحرك»، ويعنى به تكامل كل من الشعور والوجدان والنزوع وقد اضطر بيرى أمام تضارب وتعدد وجهات نظر المدارس النفسية المختلفة التى لم تتناول هذه الناحية من الحياة البشرية إلى أن يحدد «علم النفس الخاص به» ويتقدم بفكرته التكاملية بين النفس والبدن، الإدراك والشعور وذلك مقابل تلك الثنائية التى تسيطر على علم النفس وأمام الصعوبات المنهجية التى يعانى منها وهى:

١ - الثنائية التى مزقت الإنسان إلى قسمين روح وجسد، ويحاول بيرى بيان أن الإنسان وحدة متكاملة، وأن كل من الفلسفة وعلم النفس على بينة من هذه الوحدة، فالفلاسفة يتحدثون عنه بالقياس إلى الصدور والاستمرار والحيادية وقد اتجه علم النفس نفس الاتجاه والاصطلاح وظيفى أوسع اسم يعبر عن هذا الاتجاه.

٢ - تعدد مدارس علم النفس وهى: المدرس الاستبطانية والديناميكية (التحليل النفسى) والسلوكية وعلم النفس يلح دائما على الغائية والقيم. ومن هنا فعلم النفس ينبغى أن يكون وظيفيا «فالتكيف هو المشكلة المركزية فى علم البيولوجيا والنفس وعالم الكائن الحى هو دوما عالم قيم»(١٧٦).

٣ - مغالطة الارتكاس أو خطأ الارتداء الرجعى *Atavistic Fallacy Rlgressive* ويعنى هذا الخطأ أنه فى سلسلة من الأسباب يؤثر كل سبب قريب على الأقرب منه مباشرة والخطأ هنا يأتى من الافتراض بأن الابعد يؤثر تأثيرا مباشرا وأنه يستمد قوة إضافية من بعده. ويتبدى هذا الخطأ بوضوح لدى مدرسة التحليل النفسى ولدى الماركسية، الأولى فى تعليلها السلوك بأسباب لا واعية قديمة فى الطفولة الباكرة والثانية فى تفسيرها لظهور العقل عن المادة.(١٧٧)

---

(١٧٦) هذه الفكرة فى التوحيد بين مجالات علم النفس مطروحة الآن على نطاق واسع. انظر فى ذلك دانييل لاجاش وحدة علم النفس، ترجمة صلاح مخيمر، مكتبة الأنجلو المصرية وأيضاً انظر هذا فى كتاب د. صلاح مخيمر، فى علم النفس العام، مكتبة سعيد رأفت، م، ص٣ حتى ٤١. *R.B.Perry: Realms of value, p.7.*

(177) R.B.Perry: Realms of value, p.20.

واستعراض بيرى لنتائج علم النفس يؤكد أن الاهتمام نشاط سابق على كل التحديدات والثنائيات «وأن الإنسان فى جوهره حيوان مهتم ومن ثم فإن الاهتمام مفهوم موحد جامع يعطى معنى مشتركا يجمع بين الغريزة والدافع واللذة والألم، الشعور الانفعال، وغيرها من تقسيمات الحياة الشعورية الحركية التى لولا هذا المفهوم لظلت أشتاتا متناثرة. هناك إذن تكامل بين مظاهر الوعى والسلوك فى الإنسان يتمثل فى تلك العلاقة العضوية بين العقل والعاطفة حيث تمدنا العاطفة بالقوة الدافعة للحياة أى بالطاقة، والعقل بالتوجيه، فالعقل هو الحارس والقائد أما العاطفة فهى الآلة ومولد الطاقة». والقيم تكون أشكالا من أفعال العقل الحى التى تعطيها اسم الاهتمام(١٧٨)

ويلاحظ العالمان «كهلر» و «هول» أن بيرى يستعمل كلمة الاهتمام استعمالا سلوكيا، لأن الاهتمام فى رأيه يشير إلى نوع العمل أو إلى نمط سلوكى بدليل قوله إنه أساس حركى أو نزوعى. ويرى كهلر أن الالتجاء إلى تفسير القيمة بمفهوم الاهتمام وما يتضمنه من نزوع وسعى وميل هو الذى سيوصلنا إلى مشكلة القيمة. فلكى يتضح مفهوم القيمة يجب أن نؤكد أن الاهتمام لا يمكن تفسيره إلا إذا راعينا المجال السلوكى(١٧٩).

(ب) الخاصية النزوعية:

إن تعريف بيرى للاهتمام والذى يتفق فيه مع اسبينوزا ومينونج وهوبز يوضح

---

(178) Rosenthal & p. yudin: A Dictionary of philosophy, p.214.

«الاهتمام هو التوجيه الغرضى للتفكير والفعل» كما جاء فى القاموس الفلسفى لروزنتال وهذا التعريف يوضح أن السمة السيكولوجية تضم الغرضية والتفكير والسلوك، كما أنه يضيف مؤكدا . أن هذا التعريف يعكس الحاجات المادية والروحية للأفراد، وأيضا المصالح العامة التى تتطابق مع الحاجات والاتجاهات الموضوعية للتطور الاجتماعى هى التى تشكل مصالح المجتمع، معنى ذلك الاهتمام يتضمن إلى جانب العناصر الذاتية عناصر موضوعية. الترجمة العربية باسم «الموسوعة الفلسفية»، سمير كرم، دار الطليعة، بيروت ١٩٧٤، ص٤٤٢.

(١٧٩) د. فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، ص٣٧ . ٣٨.

خاصية أساسية وهى النزوع. فهذا التعريف يظهر فكرة السعى أو المجهود الحركى الذى يبذل لبلوغ هدف معين، حيث تمثل القيم وظيفة للسعى والكفاح. فهو ينطلق مع فاعلية الفاعل، وهى ظاهرة طبيعية ونفسية واجتماعية. والنظريات النزوعية التى تدرج داخلها نظرية بيرى يحدد سماتها العامة ريمون رويه على الوجه التالى «ليست القيمة صفة خاصة بالأشياء «الحقيقية أو المثالية» تنبعث فى أنا الفاعل اهتماما أو ميلا أو رغبة أو تعاطفا واستحسانا أو تحبيذا بل القيمة هى نزعتى أو عاطفتى، إنها ظاهرة أولية تتيح لنا الكلام على قيمة الشىء الذى تتطلع إليه هذه النزعة أو العاطفة(١٨٠).

وبناء على ذلك فإن التعبير الأساسى فى تحليل الخير يمكن أن يؤخذ بأنه يتضمن تصور كفاح الفرد فى امتلاك شىء أو الهروب منه كما يشير بيرى، لقد حاولت الأقوال الحديثة للنظرية النزوعية أن تحدد فى شىء من الدقة معنى تكوينيا جوهريا للقيمة، ذلك الذى يعبر عما تشترك فيه التصورات المعيارية العامة. وقد قدم بيرى قولا أكثر تفصيلا وأقوى تأثيرا لهذه النظرية. فالاهتمام يخصص كدافع أو كميل لعمل شىء ما أو عدم عمله، هو نشاط ذو أثر فى وجود أو عدم وجود موضوعه أن شيئا ما قد يكون خيرا فى أقل معنى ممكن له وذلك خلال كفاح فرد أو كائن حتى يحصل عليه أو يمتلكه.

وتعبر فلسفة مين دى بيران ١٧٦٦٠ . ١٨) عن فكرة النزوع والجهد فقد انطلق من الجهد جاعلا منه الواقعة الأولى للحس الباطنى «فالجهد والتوتر الدائم حاضر فينا على الدوام وليس الجهد نفسه شيئا بسيطا إذ أنه فى جوهره علاقة. لذلك فقد جعل منه بداية لنظريته . الوجود والمعرفة. وعلى رغم أن الجهد أوالفاعلية فكرة أساسية لديه ولدى بيرى إلا أنه فى الوقت الذى ينتهى فيه بيران إلى بناء ميتافيزيقى فهى عند بيرى أساس لنظريته فى الأخلاق والقيمة ومع هذا فهناك بعض الاتفاق بينهما فكلاهما يرى أن الإنسان وحدة واحدة فمين دى بيران يعجب من الميتافيزيقيين الذين يفصلوا بين العقل

(١٨٠) ريمون رويه: فلسفة القيم، ص١٩٤ . ١٩٥.

والإرادة، أو بين الميدان الذهنى والميدان الاخلاقى ويقرر أنهما ليسا إلا نظاما واحدا فالفعل الإرادى ليس مجرد فعل عضوى بل هو فعل له اتجاه وهدف ويحركه عزم وتصميم. وهو يمثل عنده الواقعة الأولى. حيث الذات والموضوع قد أصبحا شيئا واحداً[١٨١]. وهذا ما عبر عنه فى تحليلاته للوعى والاهتمام وتبنيه للاتجاه الوظيفى فى علم النفس.

والفعل الإرادى عند بيران مثل الاهتمام عند بيرى فهو غرضى وهادف أى أنه فعل ذو مقصد واتجاه وغاية محددة. وكل من الفعلين هو اختيارى حر[١٨٢].

(جـ) الخاصية الإدراكية:

يؤكد بيرى أن السمة الأساسية فى الاهتمام وبالتالى القيمة هى السمة الإدراكية فتفسير القيمة بالاهتمام يتطلب أن يكون للاهتمام هدف أو مقصد، لأن موضوع الاهتمام هو الذى يحكم عليه بأن له قيمة، وحتى يتضح ذلك ينبغى البحث فى دور الإدراك فى الاهتمام، «إن الادراك هو الذى يعطى الاهتمام موضوعه» وعند بيرى «صفة موضوع الاهتمام هى فى جوهرها صفة موضوع المعرفة نفسها»[١٨٣] والارتباط بينهما يجعل من المستحيل تناول أحدهما دون الآخر: «وتوضح الحقيقة الظاهرية لاعتماد الاهتمام على المعرفة استحالة مناقشة إحداهما دون الأخر»[١٨٤].

(١٨١) د. يحيى هويدى: دراسات فى الفلسفة الحديثة والمعاصرة. النهضة المصرية، ص٧٤-٧٥.

(١٨٢) يقول مين دى بيران فى كتابه «مقال فى أسس علم النفس»، «لا يتحقق شعورى بأن لى ذاتا وبأننى موجود حقا إلا من حيث إننى أحس وأشعر بأننى ابذل عن إرادة مجهودا معينا فى عمل ما، أو فى حالة قيامى بحركة ما، أحس بأن مصدرها ذاتى، وهذا الشعور بذلك الفعل الحر غير منفصل عن شعورى بوجودى وأنيتى ولا يختلف عنه».
المرجع السابق، ص٧٨.

(183) R.B.Perry: Realms of value, p.34.

(184) R.B.Perry: General theory of value, p.300.

ويخصص بيرى الكثير من الفصول لبيان عناصر الاهتمام، خاصة ما يتعلق بدور المعرفة فى الاهتمام «لقد أصبح من الضرورى أن نبحث عن دور المعرفة فى الاهتمام ثم نبحث فى المعرفة نفسها بالقدر الذى يكشف عن طابع موضوعها»(١٨٥) فالعقل المدرك، له دوره المهم فى تجاوز الإحباط وتعارض المصالح التى يمكن علاجها فى العقل المدرك وفعل الاهتمام يؤثر على المعرفة فى نواحى عديدة إما بتوجيهها إلى موضوع معين، ومصاحبتها بمواقف الرعاية أو عدم الرعاية، ومن ناحية ثانية تؤثر على الاهتمام بتحديدها الأشكال التى تعبر فيها عن نفسها»(١٨٦) فالعلاقة بينهما مسألة ذات أهمية أساسية للنظرية العامة للقيمة. فما هو حقيقى بالنسبة للاهتمام، حقيقى بالنسبة للمعرفة.

والذى يجب التأكيد عليه أن هذا الارتباط القوى بين كل من الاهتمام والمعرفة لا ينفى التمايز والاختلاف بينهما. ولفهم العلاقات والأفعال المتداخلة لهما ينبغى توافر بعض الفهم الأولى لاصطلاحات كل من المعرفة والاهتمام ذاتهما. ولتوضيح هذا التمايز نستعين بنص لهوسرل لبيان أن القصدية التى تتجه إلى الأشياء الخاصة بالمعرفة تختلف عن تلك التى نتطلع بها إلى القيم» يقول هوسرل: «من الحقائق أننا لانجد أمامنا إلا طريقا احدا نلتفت به نحو الأشياء الا وهو طريق إدراكنا لها. والأمر نفسه بالنسبة لجميع أنواع الموضوعات التى نتصورها لو (تصورا بسيطا) : إن الالتفات نحوها حتى ولو كان ذلك بالتخيل وهو فى الوقت ذاته (إدراكها) و (ملاحظتها) ولكننا فى فعل التقيم نلتفت شطر القيمة فى فعل الفرح المتجه شطر ما يسرنا. وفى فعل حب ما هو محبوب، ويقول أيضا: عندما التفت نحو شىء لاقيمة فلا ريب أن ذلك يتضمن أننى أدرك الشىء ولكننى لا أدرك الشىء وحده بل الشىء من حيث إنه موضع تقدير أو تقيم، وعندما تتجه شطر شىء فعل تقييم فإن اتجاهنا نحو القيمة، بيد أن اتجاهنا ليس من أجل إدراكها فقط»(١٨٧) والعلاقة بين الاهتمام وبالتالى

---

(185) R.B.Perry: Realms of value, p.34.

(186) R.B.Perry: General theory of value, pp.308 - 309.

(١٨٧) يوسف كومبز: القيمة والحرية، ترجمة د. عادل العوا، دار الفكر، دمشق ١٩٧٥، ص١٦، ١٧ نقلا عن هوسرل، أفكار موجهة نحو فينومنولوجيا.

القيمة من جهة والمعرفة من جهة ثانية والتداخل بينهما يقتضى تحليل عناصر كل منهما على حدة لبيان هذه العلاقة ومكوناتها من ناحية ولتحديد عناصر وتركيب القيمة. وبالتحديد الخاصية الإدراكية موضوع هذه الفقرة».

ويتضح من تحليل بيرى لعلاقة الاهتمام والإدراك عدة نتائج هى:

١ -أن فعل الاهتمام يجب أن يكون موضوعا للمعرفة.

٢ - أفعال المعرفة تكون موضوعات الاهتمام. وهى الحالة التى تعطى فيها المعرفة قيمة.

٣ - المعرفة والاهتمام يفسران بعضهما البعض، وأن أحدهما قد يكون شرطا أو يكون جزءا من الآخر(١٨٨).

ويحلل بيرى الأنواع المختلفة من المعرفة ابتداء من المعرفة الحسية والمعنى والحكم بمستوياته ليبين دور المعرفة فى الاهتمام «أن دراسة ترتيب الأحكام ستكون مفيدة لفهم دور المعرفة فى الاهتمام»(١٨٩) فأحكام القيمة لا تختلف شكليا عن الأحكام الأخرى. وقد يكون أكثر الأجزاء معاونة فى دفاع بيرى عن نظريته هو ذلك الجزء ببيانه أحكام القيمة، فهى مشابهة لأنماط أخرى من الأحكام، ولها الأسس والمواضع نفسهما، ولكن الاختلاف يكمن فقط فى محتوى الحكم. إن كل اهتمام يتميز بالتوقع ولكنه يتضمن بالإضافة إلى التوقع الادراكى، إمكانية كونه «مع» أو «ضد» الشىء المتوقع ولديه استعداد لأن يتعاطف مع الشىء المتوقع. وهو يشير إلى المستقبل. فهو نظرة إلى الأمام، وكشف عن نفسه عبر سلسلة من الأحداث المتتابعة ونحن لا نستطيع وصف التوقع عن طريقة نظرية الاستبطان فذلك يقضى على زمانيته. فالتوقع ليس حركة واحدة هو مجموعة من الحركات، بمعنى أنه حركة مختارة ومنظمة تشير إلى نقطة الوصول، أنه اتجاه نحو مكان ما. ولكى نكتشف الى أين يذهب ينبغى أن نتركه يتحرك مسافة كافية تتيح لنا أن نحدد معالم طريقه، وأن تحدد نقطة وصوله، ولكن نكتشف موضوع التوقع ينبغى أن نتتبعه ونتمثل الخطة التى يشير إليها(١٩٠).

---

(188) R.B.Perry: General theory of value, p.308.

(189) Ibid, pp. 322 - 336.

(190) R.B.Perry: Realms of value, p.39.

ونحن لا نستطيع تفسير ما هو متوقع من شيء موجود بالفعل وينبغي علينا أن نلاحظ أن الإدراك فى كل مرحلة له موضوعه، وموضوعه هو : هنا والآن. فالمعرفة إشارة مستقبلية فهى «تتطلع للمستقبل» يؤكد ليرد «أن وجهة النظر القائلة بأن كل شيء عقلى إنما يشير إلى المستقبل إنما تعبر عن البقايا البراجماتية لبيرى الذى يريدنا أن نعتقد أن الذاكرة هى نظرة إلى الأمام تسبق أداءها طالما أنها محاولة للاستفادة يقوم بها العقل لأشياء ليست حاضرة»[١٩١].

وموضوع الإدراك يمكن تسميته الموضوع المشكل، وهذه الإشكالية المحددة للإدراك تعكسها صفة الإشكالية التى نجدها فى الاهتمام، فموضوع الاهتمام هو شيء متوقع ويتسم بسمة الإشكالية المميزة للتوقع، وقد ينتهى بالتحقق أو المفاجأة، بيد أنه فى حين أن الاهتمام يتضمن التوقع إلا أنه شيء أكثر من التوقع، إنه التوقع وضده.

وبعد أن ميز بيرى بين الاهتمام والإدراك، قام بتتبع اعتماد كل منهما على الآخر ليبين أن الاهتمام أكثر تعقيدا من الناحية الوظيفية من الإدراك. وبيرى «يدرك عاملا ديناميكيا مميزا فى الاهتمام يعلو على التوقع الإدراكى للمجموعة التوقعية، وهو فى عزوه لهذا العامل الديناميكى القوة الدافعة التى توجه الاهتمام من خلال المجموعة التوقعية إلى موضوع الهدف» وهو بهذا يتخلى عن النظرة الآلية ويؤيد نظرية للدافع خاصة بالاهتمام[١٩٢]. إن دور العقل ليعظم بالنسبة للأهداف البعيدة التى يضعها الإنسان لنفسه «فالهدف يتشكل على هيئة غايات مثالية، ويمتد الطريق إليها عبر خطوات متعددة كل خطوة منه نتيجة لسابقتها، وعلى ذلك فإن تحقيق غالبية الرغبات وبلوغ المثل الأعلى يحتاجان إلى ممارسة الفكر كشرط ضرورى للنجاح. فالعقل إذن شرط لكل دافعية، لأنه يزود الاهتمامات بموضوعاتها. أى أن للإدراك دوره المهم فى الاهتمام فهو يوجه ويقوى التصرف والسلوك الإنسانى، وهنا تبرز الخاصية الأساسية للاهتمام،

(191) J.Larid, the Idea of value, p.108.
(192) S.C.Pepper: Sources of value, p.185.

وهى تميزه بالعنصر المعرفى (الإدراكى)[١٩٣] فلا يوجد اهتمام دون تنظيم واتجاه وغاية وهدف. وعلى هذا فالقيمة وعى له الدوام نسبيا فهى انفعال بخصوص شىء أو فكرة أو شخص، فالقيمة لا تكون قيمة بالنسبة للفرد إلا إذا توفرت شروط ثلاثة هى:

(أ) أن يكون عنده وعى يتبلور حول وجود شىء أو فكرة أو شخص.

(ب) أن وعيه هذا يخصه ويهمه، أى يحدث عنده اتجاها انفعاليا، أى لا يقف منه موقف عدم اهتمام أو لا مبالاة.

(جـ) أن وعيه واتجاهه الانفعالى يكون أكثر من حالة وقتية عابرة أى يدومان بعض الوقت ،فالقيمة على ذلك تتضمن الوعى بمظاهره الثلاثة السابقة: الوجدان والنزوع والإدراك[١٩٤].

وبعد هذا العرض لخصائص الاهتمام يتبقى السؤال الخاص بتفسير طبيعة الاهتمام فهل الاهتمام ذاتى كما فسره ريزيه وكوهلر ومن تابعهما فى هذا التأويل أو هو ذو نزعة موضوعية كما لدى سوهاكيان؟

وفى محاولة بيان طبيعة الاهتمام يبدو أن بيرى أول من أوضح مأزق التمركز حول الذات (ابستمولوجيا) وأول من عزف على هذا الزيف المثالى. والذى يجب أن يكون حساسا بدرجة كبيرة للفوارق الذاتية الدقيقة. كان فى كتابه المبكر «الاقتصاد الأخلاقى» سريع التأثر بدرجة كبيرة بالمثالية الخاصة بالقيم أو بالذاتية. وقد حدد بلا حذر الخير على أنه تحقيق الاهتمام[١٩٥] وعمم ذلك

---

(١٩٣) الاستمام دلالة عقلية، فالقواميس اللاتينية تمدنا بأن الاهتمام فعل غير شخصى والاهتمامات تعنى الإفادات الضمنية، فمن بين مجموعة كبيرة من الاقتباسات مجموعة من النماذج مأخوذة من شيشرون تبين أن المصطلح دلالة عقلية، فهو يعنى من حيث الاشتقاق عدم المبالاة *Non - Indifferenee* وأغلب السيكولوجين فى تفسيرهم للعقل الإنسانى يشيرون إلى الاهتمام الذى له معنى منطقى.

J.Larid, the Idea of value, p.109.

(١٩٤) د. فوزية دياب، المرجع السابق، ص٢٩.

(195) R.B.Perry: Moral Economy, p.11.

قـائلا: «إن القـيمـة الأصليـة التى تتـركب منهـا كل القـيم الأخـلاقـيـة الأعلى هـى تحقيق أو إشبـاع الاهتـمـام الخاص»[١٩٦] أى أنه قد حدد بوضوح مـوقع القيمة فى الذات وعادلها بالإشباع وإتمام التحقيق الذاتى. هذا فى البداية فقط.

لقد سـعى بيـرى فى أن يهـرب من الذاتية عن طريق نظرية عـلائقيـة للقـيـمـة حيث طور نظرية علائقيـة فى الشكل الـذى يقـول: القيمـة = اهتـمـام بموضـوع *I (R) o* [١٩٧] أى أنهـا مـوجـودة فى عـلاقـات خـاصـة للـمـوضـوع بـالعقل وقـيـمـة الموضـوع هـى فى قـدرته على تحـريك العـقـول. مـعنى ذلك أن القـيـمـة ليـست موضوعية ولا ذاتية، فـالقيمة هـى علاقة «فأيما تكون القيمـة سواء كانت أخلاقية أم اجتماعية أم جمـالية فهى موجودة فى علاقات»[١٩٨] وبعبارة أخرى فالقيمة لا تستقـر فى الموضوع بمفـرده، فهى ليست صفـة للموضـوع، كمـا أنهـا لا تستقـر فى العقل بمفـرده، أى ليست صفـة للعقل، فهى عـلاقة. معنى ذلك أن بيـرى قد رفض كل من الـذاتيـة الخـالصـة والموضـوعيـة الخـالصـة، وتبنى مـا يسـمـى بالنظرية العلائقيـة فى القيم مثلما تبناها فى نظريات العقل والمعرفة. ولكى تفهم معنى هذه النظرية فى أفضل صورة، علينا أن نأخذ فى الاعتـبـار الاصطلاحـات التى تدخل فى العلاقة، وهـى «الاهتمام - الموضوع».

(أ) الاهتمـام: إن استخدام اصطلاح الاهتمام يؤكد أن نظرية بيرى نظرية حيوية مـركـزية bio-Gentric Theory Of value أو نظرية نفسـيـة مـركـزية فى القيمة بمعنى أنه يتم التمسك بالقيمة على أنها وظائف لأفعال معينة للعقل أعطيت اسم الاهتـمام[١٩٩] والاهتمام يتميز عن موضوعه، هو الذى يوجه نحو الموضوع. ويظهـر الاهتمام بتركيـز واضح لوجوده داخل ميول الكائنات الحيـة التى تعمل بما يتفق مع البيئة وذلك عندما تدخل الظروف النفسية،

---

(196) Ibid, p.82.

(197) S.C.Pepper, p.369, Andrew Reck, p.26.

Mulder Sears schlabach, the development of American phil., p.511.

(198) J. Blau, Ibid, p.288.

(199) R.B.Perry: General theory,p.537.

ويتضمن السلوك المهتم به أكثر من الكائن الحى مع ميول محددة موقفا خارجيا يعمل نحوه ويفجر طاقاته، فالاهتمام غائى أساسا. وإذا ما فسرنا الموقف بالإشارة إلى نتيجة متوقعة فإن الكائن الحى يجب أن يكون ذا عقل ويعرض السلوك الإنسانى سواء أكان عرضياً أم مهتما به ليس فقط التكييف نحو البيئة، ولكن أيضا التخطيط الذكى.

(ب) الموضوع: ومع أن الموضوعات توجد مستقلة عن العقول التى تعرفها فإنها تصبح ذات قيمة فقط عند استيعاب اهتمام بها. والقيمة فى النهاية هى العلاقة المحددة التى يكون فيها للأشياء ذات الطابع الانطولوجى سواء أكان حقيقيا أم مثاليا ارتباط مع الموضوعات ذات الاهتمام[٢٠٠]. القيمة ليست مثل إشباع الاهتمام ولكنها بالأحرى علاقة بين موضوع واهتمام وهى توجد طالما كانت موضوعا للاهتمام سواء تم إشباع الاهتمام أم لا[٢٠١].

وبعد أن نبذ بيرى المثالية الخاصة بالقيمة والتى ترد القيمة إلى حالة ذاتية كان مترددا لأن يتخذ اتجاه واقعية قيمية تقوم بإرجاع الموضوعية للقيم بصرف النظر عن أية علاقة بالاهتمام. ثم تظهر النظرية الواقعية فى القيمة، فى تميز بيرى للقيم عن أفعال الإدراك الحسى أو الأحكام التى تعرفها، ولكنها تكون مستقلة عنها. القيم إذن علائقية تنشأ عندما يتم استيعاب اهتمام فى المواضيع، وتنتهى عندما يتم إشباع الاهتمام إلا إذا كانت هذه الاهتمامات متكررة[٢٠٢]. معنى ذلك أن بيرى فى النظرية العامة وفى آفاق القيمة قد طور أخلاقا واقعية توجد فيها القيمة فى علاقة الكائن الحى بالانجذاب نحو أو النفور من «موضوع»[٢٠٣].

ويؤكد جوزيف بلو هذا التفسير الواقعى للقيمة عند بيرى مقابل التفسيرات

---

(200) Ibid, p.117.
(201) Ibid, pp.569 - 570.
(202) Andrew Reck, pp.27.
(203) J.Blau, p.289.

السابقة، ويربط بينه وبين نظرية بيرى فى المعرفة. فقيمة الموضوع تظهر عن طريق قدرته على تحريك العقول. والقيمة يمكن أن تكون سالبة أو إيجابية، الإيجابية تظهر عن طريق جذبها للعقول، والسلبية عن طريق صدها للعقول واصطلاحات الجاذبية والنفور هى اصطلاحات شمولية لكل منها أشكال مختلفة فيما يتعلق بالمواضيع المختلفة(٢٠٤).

يقول بلو: «ولا نستطيع أن نجرد الجاذبية عن الجذب، ولا أن نتحدث عن الجاذبية عنصر فى موضوع «بموجبه قامت باستحضار الشعور أو الإرادة وعلاوة على ذلك وبما يتفق مع رأى بيرى بخصوص طبيعة العقل فإن الفرد ليس فى حاجة هو نفسه أن يجذب أو يصد حتى يعرف أن الموضوع جذاب أو منفر «فلكى يعرف الفرد أن الموضوع مدمر فليس من الضرورى أن يتم تدميره بواسطة هذا الموضوع»(٢٠٥). فلا تتضمن المعرفة الخاصة بالقيمة شيئاً أكثر من أى نوع آخر من المعرفة. ويمكن للفرد أن يستمد المعرفة الخاصة بالقيمة من وعيه الخاص به فى حالة كونه منجذبا أو مصدودا بواسطة موضوع ما، ويستطيع بالدرجة نفسها أن يشتق معرفة القيمة من وعى الآخرين فى حالة انجذابهم أو صدهم بواسطة هذا الموضوع، فالنظرية الواقعية فى القيمة تجعل الاهتمام بوجه عام وليس اهتمام صاحب الحكم هو معيار القيم. ففى مقدورنا أن نعلم أن لشىء ما قيمة معينة بمجرد ملاحظة سلوك الآخرين إزاءه وقبل أن نمارس نحن أنفسنا قيمته بالنسبة إلى ذواتنا، فمقياس القيم - إذن - عام وواقعى وليس هو بالذاتى الخاص.

---

(204) Ibid, p.289.
(205) J.Blau, Ibid, p.289.



الفصل الثالث

نظرية القيمة المقارنة

١ - تمهيد :

قدم لنا بيرى نظريتين فى فلسفة القيم، الأولى خاصة بالقيمة العامة الشاملة، والثانية هى نظرية القيمة المقارنة. وقد عرضنا النظرية الأولى، فينبغى إكمالا لها تناول النظرية الثانية. نظرا لأن تعريف القيمة لا يتناول فقط معنى القيمة لكنه يتناول أيضا القيمة المقارنة *Comparative Value* ليس معنى القيمة لكن تدرجها *Grading* وعلوها وتسلسلها (مراتب القيم» *Ranking* والحكم النقدى عليها. «فالناس يهتمون بما يدعونه لقيمهم من علو، أكثر من اهتمامهم بقيمهم ذاتها، وما تنادى به الشرائع والأديان وتتمسك به ليس هو الخير لكن الخير الأقصى»[٢٠٦] . وهذا ما يطلق عليه «تصنيف القيم».

وقد بذلت محاولات متعددة فى بيان تلك المشكلة الأساسية المتعلقة بمكانة «الخير»، وذلك بتصنيف القيم إلى معايير، وكانت هذه التصنيفات تتخذ عادة شكل سلسلة من الأزواج المتقابلة: كالقيم الكامنة مقابل القيم الوسيلية، والقيم العليا مقابل القيم الدنيا، والقيم الثابتة مقابل المتغيرة، ومن تحليل مختلف أنواع القيم يمكن ترتيب الأشياء الخيرة فى سلم متدرج. وفى هذه الحالة توضع الأشياء الأكثر شمولاً فى مكانة تعلو على الأقل شمولاً، ويتغلب الأعلى على الأدنى، والدائم على العابر، والأهم من ذلك وضع الكامن قبل الوسيلى. ويتضح من ذلك أن معظم الأشياء التى نسميها «خير» لا يكون لها قيمة إلا من حيث هى وسيلة «لخير» أشمل منها، وهذا بدوره يتبين أنه ليس إلا وسيلة لآخر أبعد مدى. وهكذا يكون لدينا سلم متدرج من القيم ولابد من أن تكون هناك قيمة من نوع ما

---

(206) *R.B.Perry: Realms of value, p.50.*

حتى نصل إلى مفهوم القيمة العليا أو الخير الأسمى(٢٠٧). وتحقيق هذا الخير يغدو إلى حد بعيد تنظيما لكل القيم والاهتمامات الأخرى فى صلتها ببعضها البعض. التى تنتج من تنظيم منسجم للاهتمامات يطلق عليها بيرى اسم «السعادة التوافيقية»(٢٠٨).

وكى يتبين معنى الانسجام أو السعادة التوافيقية يعرض بيرى لأنواع الاهتمامات وتكاملها حيث لا يظهر التوافق إلا من تكامل الاهتمامات المختلفة. وبعد أن حددنا طبيعة الاهتمام بالمعنى الواسع فإنه يتعين علينا أن نفحص ونميز تنوعاتها. تأكيد لمبحثه بأن هناك أنواعا مختلفة من الاهتمام، ونتيجة لهذا فهناك أنواع عديدة من القيمة فإن بيرى يكرس فصولا عديدة لما يسميه «كيفيات الاهتمام» تتضمن بيانا للاهتمامات المختلفة: السالب، والموجب، وتوضح الفرق بين الاهتمام التقهقرى، والاهتمام التقدمى ،وهناك أيضا دراسة للفرق بين الاهتمام الواقعى، والاهتمام غير الواقعى وكذلك مقارنة الاهتمام العدائى مع الاهتمام المسالم.

ونظرا لأن الاهتمام هو نفسه القيمة فإن تصنيف الاهتمام هو فى نفس الوقت تصنيف للقيم، وتسلسل الاهتمام أى تدرجه من الأضعف للأشد ومن الخفى المستتر للواضح البارز يرتبط بتسلسل القيمة حيث يكون أقل أنواع الشر مقابل أكثر أنواع الخير، وأقل أنواع الخير مقابل أكثر أنواع الشر. وهذا مبدأ أخلاقى يتعلق بالخير الأقصى، نجده متضمنا فى تفضيل خير المستقبل على خير الحاضر وتفضيل المستمر على الانتقالى، والكلى على الخاص، والمجموع على الأجزاء، وفى هذه الحالة فإذا كانت السعادة خير فإن سعادة الكل أفضل

---

(٢٠٧) انظر هنترميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ص٢٧٤ ـ ٢٧٧.

(٢٠٨) السعادة التوفيقية هى الإطار النظرى أو النظرية التى يصيغ فيها بيرى أفكاره عن التكامل بين الرغبات والانسجام بين الاهتمامات وهو محور فلسفته فى الخير الأقصى والقيمة الشاملة والهدف النهائى للأخلاق عنده. وهى فكرة أساسية لدى أفلاطون نجده فى تصوره للعدالة وهى أيضاً من المثل العليا التى ينطوى عليها النشاط العلمى والتى أطلق عليها البيريابيه الوفاق أو الائتلاف، «بابير دفاع عن العلم» د. عثمان أمين، دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٥، ص٨٣.

من سعادة الفرد، والسعادة الخالصة أفضل من السعادة التى تنتج من شقاء الآخريين، وهذه الفكرة عبر عنها أصدق تعبير اسبينوزا الذى يستشهد به بيرى فنجده فى بداية الفصل الثالث من «رسالة فى اللاهوت والسياسة» يقول: «إن سعادة الفرد ونعيمه الحقيقى لا يكونان إلا فى تمتعه بالخير، لا فى فخره بأنه وحده الذى يتمتع به مع استبعاد الآخرين. ومن يظن انه حصل على سعادة أكثر لأنه وحده فى حالة طيبة فى حين أن الآخرين ليسوا كذلك، أو لأنه يتمتع بسعادة أكبر أو لكونه أسعد حظا من الآخرين. مثل هذا الشخص يجهل السعادة والنعيم الحقيقى»(٢٠٩).

وإذا كان بيرى يستخدم الاهتمام ليفسر به القيمة، فيجب بالتالى تحديد الأنواع المختلفة من الاهتمام التى تحدد بدورها أنواع القيمة. والاهتمام الأساسى عند بيرى هو الاهتمام الفطرى الذى يعنى الاهتمام الأصلى مقابل المكتسب. وهناك أيضا الاهتمام المتقدم، وهو ضد الأقل تقدما، وليس ضد الفطرى. ويشير لفظ الفطرى «متقدم» إلى مبكر فى نظام من التقدم أو الزمن العقلى، وعلى ذلك فكل الاهتمامات حتى الأصيل منها متقدمة فى التطور البيولوجى. وعندما نطلق كلمة متقدم فهى تعد هكذا بالقياس إلى التطور العقلى ويشير تقدمها إلى درجة من التعقيد يميز الإدراك عن الاحساس، أو الهدف الواعى من الغريزة، وبالتالى فليس ثمة ما يزعم أن الأصلى أو المبكر فى تاريخ الجنس أو الفرد أقوى من المكتسب أو المتأخر، فالبدائى الأول لا يتفق بالضرورة مع الجامع الشامل. فقد يختفى الاهتمام الأصلى ويصبح المكتسب عاما. وعلى ذلك، على رغم أن الحاجات الفطرية قوية وجامعة شاملة مثل الجوع والجنس، فالفطرية ليست مقياسا حاسما أو نهائيا لمعرفة أى الاهتمامات قوية وأيها عامة وشاملة»(٢١٠).

---

(٢٠٩) اسبينوزا: رسالة اللاهوت والسياسة، ترجمة د. حسن حنفى، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، الطبعة الأولى ١٩٧١، ص١٧١.

(210) *R.B.Perry: Realms of value, p.73.*

وإذا كان الاهتمام هو ما يميز القيمة فهناك كثير من الحالات التى يعددها بيرى ويرى أنها ليست اهتماما، بل هى «شبه اهتمام» «فقد توجد أوصاف مختلفة تتضمن نقصا فى الاهتمام مثل الكمون والإمكانية، والوجود الواهى الزائف للاهتمامات وعلى ذلك فهو يعدد الأنواع المختلفة للاهتمامات على الشكل التالى، بدأ بأقلها مرتبة حتى يصل إلى أكملها.

٢ ـ أنواع الاهتمامات :

١ - الاهتمامات كامنة أو مستترة؛ وأسباب اختفاء الاهتمامات قد تكون التعب، عدم المناسبة للظهور، قصور مدى الوعى، لكنها مع ذلك موجودة كميول واستعدادات تؤخذ فى الحسبان لحظة صحوها».[٢١١]

٢ - الاهتمامات اللاواعية، والدوافع الخفية، فهى أيضا كامنة ويمكن إبرازها إلى السطح بوسائل معينة فهى تؤخذ على شكل ميول أو استعدادات كالذكريات القائمة (مثل موقف التحليل النفسى).

٣ - الاهتمام العابث ويتصل بالاهتمام الإمكانى اتصالا وثيقا.

٤ - وقد توصف الاهتمامات بأنها غير حقيقية أو معدومة، أو زائفة ونظرا لأن مكانة القيمة ستتبع مكانة الاهتمام فإذا كان الاهتمام غير حقيقى فستكون القيمة كذلك، ومن خلال تمييز بيرى بين (فعل الاهتمام) «وموضوعه» فقد يكون هناك اهتمام موجود لكن موضوعه غير موجود، أو يكون الموضوع غير حقيقى عندما يكون الفعل حقيقيا.

٥ ـ ويفرق بيرى بين الاهتمامات طويلة الأجل وبين الاهتمامات المتبادلة.

٦ ـ الاهتمام السلبى والإيجابى وهى اهتمامات خاضعه لتغير ظروف التحقيق أو عدم التحقيق وظروف النجاح والفشل، فالأول يتميز بأفعال تبشر بأحداث الفعل، بينما الثانى ينذر بمنع الفعل وإبطاله وكل منهما ناجح أو فاشل تبعا لذلك. أى أن الإيجابية والسلبية تفهم بالقياس إلى ارتباطها بفعل الاهتمام

---

(211) Ibid, p.73.

لا بموضوعه، وإلا فلن يمكننا إدراك أن الموضوع نفسه قد يكون ذا قيمة سلبية أو إيجابية فى نفس الوقت. ويمكن أن تعتبر الاهتمامات الإيجابية كالجوع والجنس، والسلبية كتجنب الألم والهرب من الخطأ عند بيرى كلها اهتمامات أصيلة.

٧ . والاهتمامات إما مستقلة أو تابعة. والتبعية هنا تكمن فى أن الاهتمام يوجد من أجل اهتمام آخر. والاهتمام المستقل متحرك بذاته يستمد منها واقعيته وهدفه ووسيلته، وهذا التمييز هو نفسه التمييز التقليدى بين الغايات والوسائل. فللوسائل أهميتها عند بيرى فإذا كانت الوسائل تؤثر فى اختيار الغايات فسيكون سبب ذلك أن الوسائل أيضا غايات وليست وسائل فقط. وهذا ما يطلق عليه التقابل بين القيم الكامنة، وللقيم الوسيلية. ويكاد ينعقد الإجماع على أن التقابل الأساسى فى أى تصنيف للقيم هو هذا التقابل.

٨ . الاهتمامات الشخصية والاجتماعية. والاهتمامات شخصية بمعنى أنها اهتمامات لشخص ما، وبعض الاهتمامات شخصية بمعنى أنها فى شخص أو منصبه على شخص ، والتحدث عن اهتمامات شخص على أنها غير شخصية معناه أن الشخص يهتم بموضوعات ومآرب لا بأشخاص وفى الحالة التى يكون فيها الشخص موضوع الاهتمام والشخص الذى ينصب عليه الاهتمام شخصين مختلفين فإن الاهتمام ينتمى إلى النمط الاجتماعى.

٩ . الاهتمامات العليا والدنيا، ويمكن ترتيب الاهتمامات والمصالح على نحو تدرجى بحيث يعطى معنى للقيم العليا والسفلى، الأسمى والأدنى، وليس هناك ترتيب واحد بحيث يكون الخير الأسمى أسمى دائما وفى كل الأوقات وفى جميع الحالات. فى حين أنه فى واقع الأمر يمكن تدرج المصالح حسب مستويات مختلفة ومعايير مختلفة. ويشير بيرى إلى أن هناك اتجاها أصيلا يذهب إلى أن اهتمامات أسمى فى ناحية ما، هى أسمى فى كل النواحى، إلا أن ذلك لا يصح إلا فى حالة واحدة هى الشمول. فإذا اشتمل اهتمام على

آخر فإنه يحوز على كل الأفراد والاهتمامات التى يمتلكها الاهتمام «المشتمل عليه» ويفوقها فمقياس الشمول (الاشتمال) هو الذى يزود الناس بالسند الكافى لكل دعاوى الأخلاق.

١٠ . الاهتمامات المتضاربة والمتاسقة: وإذا كانت الاهتمامات ترتقى فى هرم تصاعدى وصولا للخير الأقصى، أى السعادة التوافقية أو الانسجام، فهذا لن يتم إلا من خلال علاقات الاهتمامات المتبادلة، وأوضح علاقتين على ذلك: هما «التنافر» و«التناسق». وتتنافر الاهتمامات أو تتصادم فى معنيين أحدهما التناقض، والثانى الاختلاف. والاهتمامات الإيجابية لا تتميز بأهدافها، لكن تتميز بتحقيق الهدف أو بهبوط قيمة تحقيق موضوعاتها. الاهتمامات الإيجابية والسلبية بنفس الموضوع لا يمكن أن يتحقق كلاهما، ولكنهما يستطيعا أن يتعايشا»(٢١٢).

وبالنسبة لتفسير التناسق فيتم بنفس الطريقة، فهو مضاد للصراع، أى أنه يعنى عدم التعارض فقد توجد مصالح ذات علاقة نسبية فى حالة تسمح لكليهما أن يتحقق دون تدخل الآخر، فحين ترتبط ارتباطا وثيقا لدرجة توجد التعارض والاختلاف فإنها تصطنع مناهج لبلوغ الاتفاق والتناسق «والتى بدورها تنمى ليس فقط عدم العدواة فحسب ولكن أيضا حب الخير والتعاون»(٢١٣). وعند بيرى الخير أو موضوع الاهتمام الإيجابى أفضل من الشر، موضوع الاهتمام السلبى أو عدم المبالاة.

وبعد تناوله لأنواع الاهتمام يتحدث عن تكامل الاهتمامات. فالاهتمامات تكون بمعنى ما مشتركة أو مرتبطة، يقول: «عند تحليل صيغ مركبات الاهتمام، فنحن نقوم بوصف صيغ التكامل»(٢١٤) وهنا يظهر السؤال: ما هى هذه الصيغ أو العلاقة التى تقوم بين اهتمام وآخر أو بين مجموعة من الاهتمامات؟ والاهتمامات عند بيرى يمكن أن تتكامل وتنسجم، أو أن تتصارع وتتنافر.

(212) R.B.Perry: *Realms of value*, p.83.
(213) *Ibid*, p.83.
(214) R.B.Perry: *General theory*, p.369.

وقبل الحديث عن التكامل يتحدث عن عدم التكامل، الذى يعنى أشياء مختلفة فقد يعنى أن الاهتمامات تكون مستقلة وغير مناسبة وغير متشابهة، أو متقابلة، ولا مبالية ومتنافرة، وغير منسجمة، والتكامل هو إزالة هذه الظروف بتحقيق الاعتماد والتناسب والتشابه والثبات والتخالف. والاهتمام، والصداقة والانسجام وعلى ذلك هناك حقيقتان أساسيتان لنظرية القيمة هما:

١ ـ أن الاهتمامات تكون منسجمة، ومستقرة، وودية، ومعضدة أو متحالفة ويمكن الاصطلاح على أنها هرمونية أو توافقية.

٢ ـ غير منسجمة، وعدائية أو متقابلة، تواجه بعضها بعض، ويمكن الإشارة إليها على أنها متصارعة. وعلى هذا تكون المشكلة الرئيسة للتكامل هى تحقيق الانسجام(٢١٥) بدلا من الصراع. وهذا هو مبدأ الخير الأقصى.

واهتمام بيرى بمشكلة الانسجام (التكامل) مسألة مبكرة توجد فى «الاقتصاد الأخلاقى» سنة ١٩٠٩ وتوجد أيضا لدى رسل فى «ما أعتقد؟» ١٩٢٥ حيث تكمن القيمة فى توافق وتناسق الرغبات، فالاصطلاحات الأخلاقية عند رسل قيلت كى تعبر عن الرغبات المتجمعة للبشرية. يرى ليلان ى. ايكن فى كتابه «فلسفة رسل الأخلاقية» أن ما قدمه رسل فى «ما أعتقد»؟ يشبه فى كثير من النواحى نظرية بيرى كما ظهرت فى «الاقتصاد الأخلاقى» وإن كان بيرى فى نظر المؤلف يتصف بالصراحة واتساق الأفكار فى هذه النقطة أكثر من رسل»(٢١٦) وعند رسل كما يقول ايكن القيم لا تعرف فقط بالإشارة إلى رغبة الأفراد الشخصية الجزئية، ولكن تشير بالأحرى إلى الانسان بصفة عامة «إن انسجام الرغبات مازال هو الذى يهم الحكم الأخلاقى، وليس مجرد إعجاب شخص أو رغبته، إن رغباتنا

---

(215) *Ibid, p.282.*

وانظر فى مفهوم الانسجام جورج سانتيانا فى كتابه «مولد الفكر وبحوث أخرى» الترجمة العربية، دار الآفاق الحديثة، بيروت، وإن كان موقفه على العكس من بيرى حيث يتناول الانسجام على المستوى الطبيعى ليس فقط النفسى أو الاجتماعى. انظر ص٧٣ ـ ٧٦.

(216) *Lillian W. Aiken: B.Russell philosophy of Morals, the humanity Press, inc New York, 1963, p.161.*

مجتمعة هى التى تخلق القيم فى مصطلحات انسجام الاهتمامات(٢١٧). وهذا ما يؤكد أن رسل يقترب من نظرية بيرى فى الاقتصاد الأخلاقى، والذى جاء فيه: «أن تحقيق اهتمام منعزل بسيط شىء حسن، لكن تحقيق تنظيم للاهتمامات هو فقط الذى يعـ - شيئا أحسن أخلاقيا، إن مثل هذا الخير يظهر فى تحقيق الاهتمامات الفردية الجزئية للفرد، ويظهر فى رفاهية المجتمع، فإنجاز اهتمام بسيط يكون أمرا خيراً، لكن إنجاز تنظيم من الاهتمامات يكون أمرا خيرا أخلاقيا ومثل هذا الخير يظهر فى إدراك غرض الأفراد المنهجى، أو يظهر فى سعادة المجتمع»(٢١٨).

إلا أن رسل لا يتفق اتفاقا كاملا مع بيرى خاصة فى قوله أن أى موضوع لأى اهتمام يكون ذا قيمة أو أمرا خيراً، على العكس فإن رسل يرى أن الرغبات المنسجمة اجتماعيا فقط والتى يقودها الذكاء تكون خيرة، وهو بهذا يكون أكثر قربا وتشابها من ديوى وأبعد عن بيرى وأنا استخدمنا كلمات ديوى فإن التقييم يجب أن يكون حاضرا دائما قبل أن تستطيع الرغبة أن تحدد القيمة ورأى رسل مشابه جدا لرأى ديوى بخصوص هذه النقطة.

وعلى ذلك فإن رسل يتشابه مع بيرى فى رأيه الخاص فى الخير الأخلاقى حيث يؤكد عى هرمونية الرغبات. ويتشابه مع ديوى فى القول أن الرغبة التى يمكن أن تسمى خيرا يجب أن يكون رغبة عقلية واجتماعية، وهو يختلف مع كل منهما بخصوص مسألة هل أحكام القيمة تجريبية وتخضع لقوانين الصدق والكذب؟ ويظل كل من بيرى وديوى طبيعيا بدرجة ثابتة، أما بالنسبة لرسل فأحكام القيمة ليست موضوعية حيث يتمسك بنظرية فريدة لا دخل للاصطلاحات الأخلاقية بها».

ففى سنة ١٩١٥ نشر رسل مقالا مُهما بعنوان «أخلاق الحرب» يتحدث فيها عن الحرب مجيبا عن سؤال هل للحرب مبرر؟ أثارت هذه المقالة كثيرا من

(217) *Ibid, p.70.*
(218) *R.B.Perry: Moral Economy, p.15 - 16.*

الجدل والحوار بينه وبين بيرى «حول الأحكام الأخلاقية» التى قدمها رسل مبينا أن آراءه فى الأخلاق هى تعبير عن مشاعره الخاصة. وقد انزعج بيرى كثيرا حين قرأ ذلك سبب الهدف الأساسى للمقال، وبسبب ما اعتقد أنه قلاقل ذهنية خطيرة فى نظرية رسل. وكتب ردا عليه فى الجريدة الدولية لعلم الأخلاق فى إبريل عام ١٩١٥ مبينا «أن اهتمامه الأساسى ليس موقف رسل من الحرب، ولكنه يبحث فى طبيعة الأحكام الأخلاقية، ويقدم حججه على أساس ذلك:

١ - مناقشات رسل غير عاطفية على رغم ادعائه بأنه يعبر عن مشاعره.

٢ - يستخدم رسل مناقشات تؤيدها الخبرة والاستدلال الاستقرائى وعلى هذا فعند مهاجمة صدق رسل فإن المشاعر تكون غير ذات أهمية.

٣ - أن أى تدبير للحرب يكمن فى الأمن والحفاظ على القيم الإنسانية، ومن الواضح من مثال رسل أنه يعتبر الحياة والسعادة، والتأمل الذهنى والحكومة الذاتية قيما. وهكذا فإن رسل يعتقد بالفعل بوجود القيم الواقعية، وقد تكون الحرب لها ما يبررها إذا كانت هذه القيم الأساسية فى خطر(٢١٩).

وعدم الاتفاق بين بيرى ورسل يكون بخصوص طبيعة تأكيداتهما المتبادلة بخصوص الغايات، فبينما يرى بيرى أن قضاياه بخصوص القيم الأساسية للحياة يمكن تأكيد صحتها تجريبيا فإن رسل يرى أنها مجرد تعبيرات لمشاعره الخاصة. ومن هنا ينطبق عليها نقد بيرى السابق وقد أيد رسل بعد ذلك آراء بيرى إلى حد ما(٢٢٠).

وبالعودة إلى موقف بيرى نجد ريزيه يوجه رأيا يقول فيه: «نحن إذا ما فسرنا تعريف بيرى حرفيا، بمعنى أن أى شىء له قيمة عندما يكون موضوعا لأى اهتمام أيا كان، فإننا لن نكون قادرين على استبعاد أن تكون لدينا اهتمامات سالبة خائنة أو خاطئة. والحقيقة أننا فعلا لدينا منها، فعلى المرء فى دنيا القيم أن يضيف كيفية ذات صيغة أخلاقية للاهتمام، وبالتالى سوف يكون هناك

---

(219) Lillian W.Aiken, Ibid, p.68.
(220) Ibid, p.69.

اهتمامات سيئة مثلما هناك إهتمامات أخرى خيرة وفى مثل هذه الحالة فإن التعريف النفسى يكون ذا استخدام بسيط جدا حيث إن العنصر المهم فعلا تقدمه لنا الكيفية المضافة (٢٢١). وعلى ذلك فهناك ضروب للاهتمام تختلف حسب موضوع كل منها. فموضوع الاهتمام الإيجابى أحسن وأكثر خيرا من موضوع الاهتمام السلبى، أو عدم المبالاة، وكذلك بالنسبة لموضوع الاهتمام السلبى، أو عدم المبالاة فهو أسوأ من اهتمام إيجابى أو عدم المبالاة. لكن هذه الحقائق لا تلقى ضوءا على مقارنة خيرا بخير أو شر بشر لذا علينا كما فعل بيرى أن نقوم بالبحث فى الطرق التى بواسطتها يمكن المقارنة بين اهتمام إيجابى واهتمام إيجابى آخر، واهتمام سلبى واهتمام سلبى آخر. وهذه المقارنة بين اهتمام وآخر تصلنا بالقيمة المقارنة. تلك التى تنطوى على الاعتراف بتسلسل وتدرج القيمة وصولا إلى القيمة الأعلى أو الخير الأقصى. ويؤكد بيرى دراسته لهذه الناحية باقتباس نص من الكتاب الذهبى لماركوس أو ريليوس يقول فيه: «إننى أقول قولا حرا مطلقا هو أننا ينبغى علينا أن نختار الأحسن ونتمسك به، وقولهم الأحسن أو الأفضل، أى الأكثر نفعا Prafitable. وإذا كانوا يعنون بالنفع ذلك الذى ينفع الإنسان كإنسان عاقل فتمسك به، أما إذا كانوا يعنون النافع له كمخلوق فأنبذه تماما.(٢٢٢)

ويعطى هذا النص لماركوس أورليوس بعض الدلالات التى تبين معنى المقارنة وهذه الدلالات التى جعلت بيرى يستشهد به وهى:

١ - نحن لا نختار إلا الأفضل، فالتفضيل هو مقياس اختيار الأشياء.

٢ - الأفضل لا نصل إليه بشكل نظرى أو مجرد، بل يرتبط الأفضل بالنافع.

٣ - أن النافع ليس خاصا بالفرد من حيث هو مخلوق، بل باعتباره ممثلا للنوع الإنسانى والعقل عنده هو المقياس العام الذى يميز الإنسان والذى على أساسه نختار الأفضل.

---

(221) *Frandzi disieri, what is value, p.55.*

(222) *R.B.Perry: Realms of value, p.50.*

انظر فى ذلك ربط اسبينوزا فى رسالة فى اللاهوت والسياسة.. بين معنى والخير والأفضل والنافع. ترجمة د. حسن حنفى، ص٣٨٠ - ٣٨١.

وعلى ذلك فنظرية القيمة المقارنة تتناول الخير الأقصى كهدف وغاية، وذلك الخير الأقصى يفترض تنظيما تصاعديا فى «نظام تسلسلى مفرد وشامل حيث يشغل كل موضوع سواء كان خيرا أم شريرا مكانا فريدا تحدده علاقاته الحسنة أو السيئة تجاه المجموع الكلى ويتطابق هذا ويرتبط بموضوع مهم، وهو إمكان قياس القيم *Commensurability of Values*(٢٢٣).

لكى نصل إلى مفهوم الخير الأقصى علينا أن نحدد طرق قياس القيمة، وتدرج مستويات الخير، أى أن تحدد بأى معنى من المعانى يمكننا القول إن قيمة ما «أفضل» أو «أسوأ» من قيمة أخرى. من الضرورى علينا القيام بفحص المبادىء الخاصة بالمقارنة الكمية من أجل قياس القيمة.

ويقدم بيرى فى نظريته نموذجا عمليا لطرق قياس الاهتمام وبالتالى القيمة وذلك مقابل اتجاه من ينكرون إمكانية قياس القيم من المناطقة التحليليين والوضعيين، وذلك على الشكل التالى: تكون قيمة ما أعظم من قيمة أخرى، بمعنى أن بعض الاصطلاحات تكمن وراء اصطلاحات أخرى فى نظام تسلسلى، وأيضا بمعنى أن الكل يتفوق على أى جزء من الأجزاء التى يكونها، وتعطى العلاقات التى من هذا النمط معنى لأشكال وأفعال التفضيل الخاصة بالصفات. وعلينا بالتالى «بدلا من أن نجادل فى مسألة هل القيم كمية ويمكن قياسها، أن نبحث عن اكتشاف المعنى المحدد الذى تكون فيه القيم كمية وقياسية آملين بهذه الطريقة ليس فقط أن ندرس شيئا بخصوص القيم، ولكن أيضا أن نوسع معنى الكم والقياس»(٢٢٤).

والصعوبة التى يمكن أن يثيرها تقدير وقياس القيم لا تقع فى عدم قابليتها للقياس ولكن فى قابليتها له. وتوجد معان مختلفة تجعل الحديث الأكثر والأقل شيئا ذا مغزى، ذلك لأن التفضيل، والشدة، والقوة، والاستمرار، والعدد، والاستنارة وشمول الاهتمام كلها أشكال من المقارنة مشروعة ومعروفة، ويمكن اعتمادها كمقاييس للمقارنة.

---

(223) R.B.Perry: General theory of value, p.626.
(224) Ibid, pp.262 - 627.

٣ - مقاييس القيم :

وقبل أن يحدد لنا بيرى طرق قياس القيم يقوم باستبعاد بعض المعايير التى لا تفى بالغرض مثل الرأى الذى يحكم على الاهتمام عن طريق المتغيرات الخارجية التى يثيرها، ثم يقتبس هذه المتغيرات فى اصطلاحات الجهد المبذول. ويرفض بيرى هذا المقياس لأنه لا توجد نسبة محددة بين الكمية التى يقوم الإنسان بعملها، وبين درجة اهتمام المرء بها. وهذا المعيار الذى يدون سعة أو نسبة الحركات الجسيمة، ويرى بيرى أن المعيار الذى من هذا النوع يقيس فقط النشاطات أو نتائج النشاطات الخاصة بعضلات الجسم ولا يهتم بالمدى الذى تكون فيه هذه الأنشطة مهتما بها»[٢٢٥].

وبعد ذلك يحدد بيرى المقاييس المختلفة للقيمة المقارنة، ونجد فى كتاب «النظرية العامة للقيمة» نصا مهماً يحدد بوضوح كبير مبدأ تحديد صلاحية مقياس ما من مقاييس القيمة المقارنة، ونظرا لأهمية هذا المبدء نجد كثيراً من الكتاب قد اعتمد عليه. ويقول هذا المبدأ: «إذا كان موضوع ما أفضل من موضوع آخر، فإنه يجب أن يكون أفضل فيما يتعلق بنفس الحال الذى يصوره على أنه خير، أصلح وأسوأ فى المجال نفسه الذى يصوره على أنه شرير. وسوف يرتبط هذا المبدأ بتعريف القيمة الشاملة أيا كان. فإذا ما كان الخير هو اللذة والشر هو الألم فإنه كلما زادت اللذة كان ذلك أفضل، وكلما زاد الألم، كان أسوأ، وإذا كان الخير هو الكلية والشر هو الجزئية فإنه كلما زادت الكلية كان ذلك أفضل، وكلما زادت الجزئية كان ذلك أسوأ، وإذا كان الخير هو الاتحاد بالله، والشر هو الابتعاد عن الله، فإنه كلما اقتربنا إذن من الله كان ذلك أفضل، وكلما ابتعدناعنه كلما كان ذلك أسوأ، وهكذا فإنه إذا كان الخير هو الاستحسان والشر هو الاستجهان فإنه كلما كان الأمر مستحسنا كان ذلك أفضل وكلما كان غير مستحسن كان ذلك أسوأ»[٢٢٦] ولتوضيح ذلك بتفضيل أكثر فيما يتعلق باللذة،

---

(225) *R.B.Perry: General theory of value, p.629.*

(226) *R.B.Perry: General theory p.599.*

فإذا ما عرفت القيمة باصطلاحات اللذة والألم فإنه كما يقول بيرى كلما زادت اللذة كان ذلك أفضل، وهناك ثلاثة نواح تكون فيها اللذة قابلة للتحكيم مباشرة هى: الحدة، الاستمرار، العدد، لأنه يمكن للفرد الواحد أن يحصل على اللذة من مصادر عديدة فى الحال، وعلى هذا فإن عدة صورة للذة غير قابلة للاختزال إلى عنصر الاستمرار فقط، الشىء نفسه مع الألم»[٢٢٧].

ويذكر بيرى مقاييس متعددة للقيمة المقارنة، إلا أن الشراح يختلفون اختلافا كبيرا فى تحديدهم لعدد هذه المقاييس. فهى عند البعض أربعة «حيث تستخدم أربعة معايير كمبادئ للتدرج المنظم للقيمة»[٢٢٨] ونجد البعض الآخر يحدد للمقارنة ثلاثة معايير للقياس[٢٢٩] ويحدد كل باحث هذه المعايير بالشكل الآتى، يقول ريك هذه المبادئ الثلاثة هى:

١ ـ الحدة (الشدة) *intensity*

٢ ـ المفاضلة أو التفضيل *preference*

٣ ـ الاشتمال (الاحتواء) *inclusiveness*

ويرى سوهاكيان أن بيرى يستخدم أربعة مقاييس، وهو يذكر بالإضافة إلى ما سبق مقياس الصحة (الصواب) *Correctness* فى هذا يتفق مع بيبر الذى يقول: «لدى بيرى بجانب الصحة التى تلعب دورا فريدا بالنسبة له فى التقييم معايير للاهتمام هى الحدة، والتفضيل والشمول[٢٣٠] ولا تختزل هذه المقاييس بعضها إلى بعض، ولا يمكن رد واحدة منها إلى الاثنين الآخرين، والصحة هى أساسا معيار للقيم، بينما المبادىء الثلاثة الأخرى تفيد فى القدرة على قابلية القيمة للقياس. ويوضح بيرى ذلك بقوله إن هناك منهجين أساسيين للنقد المتعلق بالقيم، المنهج التصحيحى (التصويبى) Corrective Method والمنهج

(227) Cf. Roy lepley: the Language of value, coumbie Uni, Press New York, 1957, pp.80 - 81.

(228) Shakian, Ibid.

(229) Andrew Reck, Inid, p.27.

(230) Ibid, p.27.

الكمى. والمنهج الأول هو المعبر عنه فى الحكم: هذه القيمة مؤسسة على الحقيقة أو الخطأ. والثانى «الكمى» هو الذى يعبر عنه فى الحكم هذه القيمة أكبر أو أقل»[٢٣١] ويستخدم المنهج الأخير لحساب زيادة الاهتمام أو القيمة لدى الموضوع، ويفيد الأول فى تحديد دقة الاهتمام، لكنه لا يؤكد على موضوعه. ويتطلب مبدأ قابلية القياس أن القيم تفى بمعايير الحدة والتفضيل والشمول. ويمكن بيان ذلك على سبيل المثال كما يلى: يكون الموضوع «النبيذ» أفضل من موضوع الماء.

١ ـ إذا كان الاهتمام «بالنبيذ» أكثر حدة من الاهتمام بالماء.

٢ ـ إذا كان النبيذ يفضل على الماء.

٣ ـ إذا كان الاهتمام بالنبيذ أكثر اشتمالا من الاهتمام بالماء.

وهذه المبادئ «مستقلة» بمعنى أنه لا يمكن ردها بعضها إلى البعض الآخر سواء كان ذلك فى معناها أم فى تنوعاتها العلية[٢٣٢] وقد تم تبنيها بشكل موسع بواسطة الفلسفة والحس المشترك، وهى ترتبط بمدارس خاصة من الفكر. الحدة ترتبط بمذهب اللذة. والمفاضلة بمذهب الإنسانية. والاشتمال بمذهب تحقيق الذات الأخلاقى . ويرى بيرى أن هذه المعايير يجب أن تؤخذ فى الاعتبار من قبل كل نظرية تسعى إلى إقامة معايير صالحة فيما يختص بمواضيع القيمة المقارنة، ويمكن قياس الشر عن طريق نفس المعايير المستخدمة فى الخير، وعلى هذا فإن الموضوع يكون أسوأ من موضوع آخر عندما نفضل ألا يكون الاهتمام السلبى به أكثر حدة. وفى المقام الثانى فإن الشىء يكون أسوأ من شىء آخر عندما نفضل ألا يكون لدينا الشىء الأول. وذلك الذى يفضل الالم الأقل لايرغب فى الألم على الإطلاق. وإنما يفضل رفض الألم الكبير على رفض الألم القليل. وفى المقام الثالث فإن (ب) أسوأ من (أ) عندما يكون الاهتمام السلبى لـ (ب)

(231) *W.S.shakian, Ibid.*

(232) *R.B.Perry: General theory of value, p.619.*

أكثر شمولا من الاهتمام السلبى بـ أ، والموضوع الذى يعافه «ل» ، «م» يكون أسوأ من الذى يعافه «ل» فقط أو «م» فقط(٢٣٣). ويتناول بيرى هذه المبادئ بالتفصيل كل على حدة بالشكل الآتى:

١ . **الشدة:** وهو قياس لقيمة الاهتمام باصطلاحات مقدرة الشىء على خلق إيقاظ أو إثارة الاهتمام. ويوضح بيرى هذا المعيار على أساس أن درجة إثارة الاهتمام هى الدرجة التى يكتسب فيها سيطرته عل الجسم ككل. وهذا المعيار يمكن عن طريقه أن نسير من اهتمام إلى آخر ليس فقط من خلال نفس الكائن العضوى، ولكن من خلال كائنات عضوية مختلفة أيضا، فيمكن أن نفترض أن الحدة النسبية لاهتمامين خاصيين بالكائن نفسه يمكن قياسها بالنتائج من تنافرهما المتبادل ومن حيث إنهما يستخدمان نفس الطاقات فإنهما يتباريان ضد بعضهما البعض فى المناقسة من أجل استخدام هذه الطاقات. ويرى بيرى أن فى انتصار اهتمام على آخر فى هذه المنافسة يبرهن على كبر حدة الاهتمام الذى يقوم بالإيقاف، هو ذاته فى حالة نشاط والاهتمام الموقوف فى حال خمول. فالتوقف «الحرمان» هو نتيجة للنشاط، وكلما زاد نشاط الاهتمام اتسعت نتائجه، فالاهتمامات الحادة تميل إلى حرمان كلى للاهتمامات المنافسة، ذلك بأن تشغل كلية الكائن العضوى، معنى ذلك أن لكل اهتمام حدة وبالتالى فإن كل الاهتمامات يمكن أن يكون لها حدة مشابهة من الصفر حتى أقصى حد. والاهتمام الواحد يتفاوت فى الحدة، فالطعام تزيد قيمته أو تقل حسب قوة أو ضعف الشهية أو الجوع. واصطلاح حدة قد نقل كما يستخدمه علماء النفس، فمشاعر الحدة الذى يحس بها تعكس الحدة النسبة للاهتمام نفسه، ونظرا لأن الاهتمامات تعبر عن نفسها علنا فهى تدخل نطاق العالم المادى المشترك وبالتالى يستطيع الفرد أن يختار طريقة فى التعبير كدليل على حدة الاهتمام. فإذا كانت الدموع علامة على الحزن والضحك علامة الفرح كان معنى ذلك أن البكاء بدموع غزيرة دليلا على أن الفرد أشد حزنا(٢٣٤).

---

(233) Ibid, p.620, 621.

(234) R.B.Perry: Realms of value, p.55.

وإذا كانت الحدة تعنى مقدرة الشيء على إيقاظ إثارة الاهتمام بالالتجاء إلى إعجاب الشعور حيث يتم قياسه باصطلاحات مثل «الكسل» «النشوى» «الاحساس السريع بالحياة» «العاطفة العالية» «النشاط المتدفق» فإننا نجد أمثلة لهذا المعنى لدى بيتر *Pater* فى كتابه عصر النهضة حيث يلجأ إلى الحدة لتمييز الشعور(٢٣٥):

وحدة الاهتمام هى نسبة العناصر التى تعمل تحت سيطرة الاهتمام لمجموعة عناصر الكائن الحى «والاهتمامات المتصارعة، وكذلك عدم الاهتمام يمكن أن يكون مسئول عن تقليل حدة الاهتمام، وتقاس الحدة بكبر الجزء *parction* أكثر من قياسها بالمقام *denominater* وبالتالى فإن لعب الطفل من كل قلبه أكثر حدة من التعاون الجزئى من قبل مربيته، مع أن الأول قلب طفل والثانى هو قلب يافع»(٢٣٦).

٢ . **التفضيل:** هناك دوما ترتيب تصاعدى للموضوعات يتمثل فى خط يمتد من الحد الأدنى المفضول ويتدرج حتى الحد الأقصى المفضل (على غيره) نظرا لأن هذه المقارنة لا تختلط بالمبدئين الآخرين الحدة، القوة فيمكن القول بوجود اهتمام أكبر بالمفضل يعلو المفضول، فالتفضيل «هو أوضح مثال للمقارنة داخل نطاق اهتمام واحد»(٢٣٧) فالتفضيل يعطى معنى للأحسن والأسوأ مثلما تفعل الحدة، والقوة والاستمرار، والعدد، والمعرفة والشمول».

وهناك بعض علماء النفس وباحثى القيم يقصرون المقارنة على التفضيل فقط. لكن بيرى يرى أن التفضيل بمفرده لا يكفى لذلك فهو يرفض وجهات نظر هؤلاء، ويعارض موقف س . أ . لويس فى «تحليل المعرفة والتقييم» وأيضا يرفض موقف دويت باركر فى «القيم الإنسانية» ذلك لأنهما لا يعترفا إلا بالتفضيل فقط كمعيار يستبعد المعايير الأخرى، ووجهة نظر بيرى فى هذا «أن الاعتماد على

(235) *R.B.Perry: General theory of value, p.6.*
(236) *R.B.Perry: General theory of value, p.630.*
(237) *R.B.Perry: Realms of value, p.53.*

مقياس واحد فقط يعد مقدمة تؤدى إلى كثير من النتائج الخاطئة، بل إنه قد أدى بالفعل إلى القول أن القيم لا يمكن أن تقاس على الإطلاق» والوظيفة المهمة لمبدأ التفضيل «هى أنها ترتب موضع أى اهتمام معلوم فى نظام نسبى بالنسبة لبعضه البعض وبطريقة لا يمكن أن تختزل إما إلى حدة الاهتمام أو شموله»[٢٣٨] أى أنهما تقومان بالقياس باصطلاحات الكبر الممتد أو الاختلاف للكيفى.

والتفضيل عند بيرى مبنى على الخبرة العقلية متفقاً مع برال فى الربط بين القيمة والتفضيل[٢٣٩] وطالما أن التفضيل أو عدم التفضيل هو موضوع لاتجاه ذى تأثير حركى فى الموضوع، فإن الموضوع يعتبر ضروريا لوجود القيمة، وكما يقول ليرد «بالنسبة لنظرية بيرى. برال فإن وعيهما المشترك وتفضيلهما هو شىء ضرورى بالنسبة لأية عملية تقيم»[٢٤٠] ويعادل تشارلز مورس فى كتابه *Varieties of Human value* القيمة بالتفضيل فكتب تحت عنوان ثلاثة أوجه للقيمة يقول: «يجب أن نميز ثلاثة طرق يستخدم بها الاصطلاح قيمة: فهو أحيانا يستخدم ليشير إلى الميول والنزوعات الخاصة بالكائنات الحية نحو تفضيل نوع من الموضوعات على آخر.. والإشارة إلى القيمة فى مثل هذه الحالات هى طريقة للإشارة إلى الاتجاه الفعلى للسلوك التفضيلى نحو نوع واحد من والموضوعات على نوع آخر. ويمكن أن نسمى هذه القيم قيما عاملة، وعلى النقيض من هذا الاستخدام فإن اصطلاح القيمة غالبا ما يكون مقصوراً على تلك الحالات من السلوك التفضيلى التى يواجهها توقع أو تنبؤ بالنتيجة» لمثل هذا السلوك، كما نجد ذلك لدى بيرى، حيث إن السمة الرئيسة للاهتمام وكذلك للقيمة هى التوقع، ففى مقابل القيم العاملة فإن هذا النوع يسمى قيما مدركة. والقيم المدركة كما يقول مورس تتضمن تفضيلاً لموضوع مشار إليه. ويضيف مورس أن القائلين بالقيم المدركة عادة ما يدخلون فى صياغاتهم المطلب

---

(238) R.B.Perry: General theory of value, p.635.
(239) J.laird, the idea value, p.104.
(240) Ibid, p.105.

القائل بأن القيم يجب أن تؤثر بدرجة ما فى مجرى العقل» وهذا صحيح بالنسبة لبيرى وديوى وكلاكهون[٢٤١].

والاستخدام الثالث لاصطلاح قيمة يتعلق بما هو قابل للتفضيل أو مرغوبا فيه بغض النظر عما إذا كان مفضلا أو مدركا على أنه واقعة قابلة للتفضيل وتسمى هذه قيما موضوعية. فالقيمة عنده تعرف كشىء مفضل، أو كمفهوم خاص بالشىء المفضل، أو كشىء قابل للتفضيل، والاستخدامات الثلاثة، يمكن أن تكون ذات إشارة للسلوك التفضيلى، والسلوك التفضيلى سوف يقوم حينئذ بتعريف مجال القيمة، والاستخدامات المتعددة للاصطلاح. وعلى ذلك فإن علم القيم سيكون علم السلوك التفضيلى، وسيكون جزءا من العلم العام للسلوك[٢٤٢].

ومن هذا يتضح لنا أن التفضيل أساس القيمة بل إنه لدى البعض هو ما يجعل القيم قيماً كما لدى ثورنديك عالم النفس الشهير الذى يرى أن القيم تفضيلا وعند بيرى يرتبط التفضيل بالإدراك والتوقع، وهو يمثل مستوى مهم من مستويات المقارنة، إلا أنه ليس المستوى الوحيد كما عرفنا. لذلك نجد بيرى، بعد أن تناول إمكانية مقارنة موضوعين مختلفين من الاهتمام سواء فيما يختص بالجدة والتفضيل معا. ويكون ذلك بالشكل التالى: حين تكون المواضيع متساوية فيما يختص بالحدة والتفضيل معا. ويكون ذلك بالشكل التالى: حين تكون المواضيع متساوية فيما يختص بالتفضيل فإن الموضوع الأكثر حدة يكون أفضل على العموم. الشىء نفسه صحيح بالنسبة للموضوع المفضل عندما تتساوى أوجه الشدة. لكن الصعوبة تنشأ حين نحاول أن نقارن بين موضوعين لهما اهتمامان متبادلان غير متساويين فى الحدة والتفضيل فتواجهنا صعوبة أكبر. وفى هذه الحالة فمن الممكن أن نقيم مجالا ذا بعدين تمثل خطوطه الرأسية نظام

---

(241) Charles Morris, varieties of Human value, the uni of chicgo press, 1950, pp.9 - 14.

(242) Charles Morris, Ibid, p.12.

التفضيل بينما تمثل خطوطه الأفقية درجات الحدة والقياس، نجد أن الموضوع المرتفع فى الدائرة التفضيلية فالاهتمام الحاد يكون أفضل من الموضوع الذى تعقده الحالتين(٢٤٣).

ولا يكتفى بيرى فى نظريته فى القيمة بالمقارنة بين هذين المستويين من مستويات قياس القيم بل إنه يصعد فى سلم المقارنة حتى يصل إلى الخير الأقصى وذلك بأن يقدم لنا معيارا أهم هو:

٣ - معيار الشمول *Inclusiveness*

ويستشهد بمستوى الشمول فى حالة حدوث تداخل فى الاهتمامات أى عندما يشترك عدد من الأشخاص فى اهتمامات عديدة. ومعيار الشمول يعنى التحام وتداخل الاهتمامات، وهو الحالة التى يضاف فيها الاهتمام إلى الاهتمام فى المواضيع نفسها، وتقوم هذه المواضيع باشتقاق قيمة متزايدة من جملة الاهتمامات الداخلة فيها وهذا المعيار هو أساسا مبدأ (جون ستيوارت مل) المعروف «الخير الأعظم للعدد الأكبر» والذى بنى بدوره على المقدمة التى تقول بأن الكل أكبر من أى جزء من الأجزاء التى يتألف منها. والشمول بمعناه الحالى هو محور اهتمام أصحاب مذهب المنفعة الذين سعوا لتحقيق هذا المبدأ وأطلقوا عليه اسم «حساب اللذات والمنافع» وذلك فى تمسكهم بأكبر قدر ممكن من السعادة لأكبر عدد من الناس»(٢٤٤) وقد اعتمد بيرى هنا فى هذا المقياس والذى «يشتمل» على المقاييس المختلفة للقيمة المقارنة على موقف النفعية وتطورها عند بنتام ومل فقد عد موقفه وفى هذه النقطة بالتحديد امتدادا لموقف النفعية كما يعترف كل الواقعيين الجدد (٢٤٥)وربط الكثيرون بينهم وبين هذا الموقف وامتداده فى البراجمانية وعدت نظرية بيرى محاولة لإعادة بناء مذهب المنفعة العامة على أساس موضوعى(٢٤٦).

---

(243) *R.B.Perry: General theory of value, p.643.*

(244) *R.B.Perry: General theory of value, p.645.*

(245) *W.P.Montague, story of American Realism, p. 440.*

(٢٤٦) هربرت شنيدر: تاريخ الفلسفة الأمريكية، ترجمة د. محمد فتحى الشنيطى، دار النهضة المصرية، القاهرة، ص٤٣٢.

ونجمل ما سبق فنقول إن المعيار الأول «الحدة» يجعل من الإمكان مقارنة الأشكال المتعددة للاهتمام نفسه فى نفس الموضوع، والمعيار الثانى يجعل من الإمكان مقارنة المواضيع المتعددة لنفس الاهتمام، والثالث يجعل من الإمكان مقارنة موضوعات اهتمام واحد بمواضيع اهتمام آخر دون تدخل من اهتمام ثالث، وعلى هذا فيعد المعيار الثالث، الشمول هو الوحيد الذى يمكن به ادخال كل الاهتمامات فى نظام واحد له حداً أقصى فى كل النواحى الثلاثة.(٢٤٧)

والمعاييرالثلاثة السابقة هى التى يذكرها ريك وسوهاكيان وريزيه، لكنهاليست كل المعايير التى يقدمها بيرى للقيمة المقارنة، فقد قدم فى «آفاق القيمة» سبعة مقاييس للقيمة المقارنة، لكن قبل أن نواصل سرد هذه المعايير مستمعين إلى بيرى وحده نستمع إلى وجهة نظرمعارضيه والتى تنتقد المعايير الثلاثة السابقة قبل تناول بقية المعايير التى يذكرها بيرى.

إننا إذا ما حاولنا كما يرى بيرى، أن نختزل المرغوب فيه إلى المرغوب والجذاب إلى ما يهتم به الناس فإن المرء يجب أن يسأل أى اهتمام أكثر قيمة، اهتمام الطفل أو اهتمام أبيه؟ أو اهتمام المهووس؟ وعلى سبيل المثال فإن حدة اهتمام المهووس فى عمل شىء ضار يمكن أن تكون أكبر من اهتمام الرجل الفقير بمنعه من فعل ذلك، فهل اهتمام المهووس أكثر قيمة لأنه أكثر حدة؟

ويرى ريزيه أن الضعف فى مذهب بيرى يكمن فى معاييره الثلاثة، فالحدة تسلم بأن كل الاهتمامات لها الطبيعة نفسها، وبالتالى فإنها قابلة للمقارنة، بينما يرى هو عكس ذلك ويقول «إن اهتمامى بالأخلاق والجولف مثلا هما نمطان مختلفان من الاهتمامات» وهما يختلفان كيفيا وليس فقط فى درجات الحدة، وفى هذه الحالة وإذا ما كانت الاهتمامات تشير إلى أفراد مختلفى الثقافة فإن الاختلاف الكيفى يكون أكثر بكثير وتفقد الحدة معناها(٢٤٨) ويمكن أن تظهر مواضيع مشابهة فيما يختص بالأداء كمعيار؛ فتفضيلى لأرسطو على أفلاطون،

(247) R.B.perry: Ibid, p.658.
(248) Frandzi: Risier: what is value, p.58.

ونباخ على شوبان يختلف عن تفضيلى للتفاح عن البرقوق أو الآيس كريم بالفانيليا عن الجاتوه هذا فيما يتعلق بالحدة والتفضيل. وحين ينتقل ريزيه إلى الشمول يرى أنه يأخذ معالجة ديمقراطية للقيم، وهى منطقة لا تنطبق عليها الديمقراطية كما لا تنطبق فى العلم، وصدق النظرية لا يمكن أن نحدده عن طريق التصويت كما تستطيع أن نحدد قيمة الفصاحة أو أمانة شخص ما بهذه الطريقة، وبيرى ينص على أنه «يضاف الاهتمام إلى الاهتمام فى نفس المواضيع، وتشتق هذه المواضيع قيمة متزايدة من مجموع الاهتمامات المستوعبة داخلها»، ومع أن بيرى يشرح فى الهامش أن اصطلاحات «يضيف»، «كمية» لا تذكر على أنها ذات أى مغزى حسابى أو امتدادى محدد إلا أن ريزيه يرى أنها كذلك «فإنه كما هو واضح من معنى المعايير أن العدد هو ما يهم، ويحاول ريزيه تطبيق هذا النقض على المجالات المختلفة.

فإذا ما طبقنا المعايير التى يذكرها بيرى على الأدب فإن الكتب الأكثر رواجا، وليس هناك من شك أنهم يفضلون إياها على هاملت مهتمين بها أكثر من هؤلاء المهتمين بعمل شكسبير، ويمكن أن يقال الشىء نفسه عن الحدة والمفاضلة، ويبدو أن الناس لديهم اهتمام أكثر حدة بالكتب الأكثر رواجا، وليس هناك من شك أنهم يفضلون إياها على هاملت ذلك لأن هذا هو ما يبتغونه ويقرأونه[٢٤٩].

ويتضح من هذه الانتقادات التى يقدمها ريزيه لمعايير القيمة المقارنة عند بيرى وانتقادات أخرى لمواضيع مختلفة أن نظرية بيرى مبنية على أساس فهمه الخاص - ريزيه - لهذه النظرية ومن الجائز لو تغير هذا الفهم أو هذا التأويل لطبيعة نظرية بيرى لديه لتلاشت معظم هذه الانتقادات، فقد فهم ريزيه معنى القيمة عند بيرى وطبيعتها على أساس كونها قيمة ذاتية يمنحها صاحب الاهتمام للقيمة [٢٥٠]. وليس هذا بالفهم الدقيق لموقف بيرى إذ أن نظرية بيرى ليست ذاتية بهذا الشكل وأيضاً ليست موضوعية كما يذكر البعض فى الجانب

---

(249) Ibid, p.52.

(250) R.B.Perry: Realms of value, p.53.

المقابل لكنها بين هذا وذاك نظرية واقعية تجعل القيمة فى الاهتمام ليس فى الشخص ولا فى الموضوع، وعلى ذلك فهو يسعى جاهداً لوضع المعايير المحددة لما يعنيه من القيمة ثم ينتقل إلى ما نحن بصدده من ذكر المقاييس المختلفة لقياس القيمة، وإن كان ريزيه ينتقد بيرى على أساس أن الاهتمامات على مستوى واحد، وهذا أيضاً موقف ديوى، إلا أن مقاييس بيرى المتعددة وذكره لأنواع ومواضيع الاهتمامات يشهد بعكس ذلك، وعلى هذا فهناك بالإضافة لما ذكرنا، بعض المعايير الأخرى التى عرض لها بيرى فى «آفاق القيمة» سنة ١٩٥٤. وهى القوة، الاستمرار، العدد، الاستثارة فالتفضيل والحدة والقوة، والاستمرار والعدد، والاستثارة وشمول الاهتمام كلها أشكال من المقارنة مباحة ومشروعة، ويمكن اعتمادها كمقاييس للمقارنة، ويمكن تناول هذه المعايير بإيجاز على الشكل التالى:

٤ - **القوة:** وحين يتناول بيرى معيار القوة نجد أن هناك نوعا من الخلط بينه وبين معيار الحدة حيث لا يوجد خط فاصل للتمييز بينهما، كما لا يوجد تعريف واضح لأى منهم. ويرجع هذا إلى أن علماء النفس المعاصرين يميلون إلى إغفال تعريف هذا المعيار، ومع ذلك يحاول بيرى تحديده بأن لدى الفرد قدرا معينا من الطاقة المختزنة تتنافس عليه اهتماماته المختلفة، ويؤدى استخدام اهتمام معين لها إلى إنقاص هذا القدر المتاح للاهتمامات الأخرى، وتكون قوة الاهتمام إذن فى أسبقيته فى هذا التنافس.

د - **الاستمرار:** وحين يتحدث بيرى عن هذا المعيار الخاص بالاستمرار يتحدث عن المعيار السادس الخاص بالعدد «هناك معياران للمقارنة نستطيع تطبيقهما على أى اهتمامين هما الزمن والعدد، فقد يقارن بين اهتمامين من حيث فترة بقائهما، أو عدد مرات ظهورهما فى وقت واحد»[٢٥١] وعلى هذا يرتبط المعيار الحالى «الاستمرار» بالزمن، ويجوز لنا القول إن اهتماماً ما أو نمطا واحداً من الاهتمام يمكث فترة أكثر من آخر ومن ثم يكون

(251) *Ibid, p.56.*

لموضوعه قيمة، فالاستمرار الأطول للاهتمام يعطى قيمة أكبر لموضوعه[252] فالحب الدائم أفضل من الحب العابر.

٦ - **العدد:** وهو معيار للمقارنة بين اهتمامين من حيث عدد مرات ظهورهما فى الوقت نفسه، إن أربعة اهتمامات أكثر عدداً من ثلاثة لأن العامل العددى موجود فى كليهما، أى أن هذا المعيار لا يتعلق إلا بالعدد فقط حيث أربعة أفضل من ثلاثة عددياً ولكن من الممكن أن يكون الثلاثة أفضل فى الحدة والتفضيل، أو غيرها من المقاييس[253].

٧ - **الاستنارة:** وهذا المعيار أكثر المعايير ارتباطا بالجانب الإدراكى، ويسميه بيرى «المعيار المعرفى» ويطلق عليه أحيانا «الاهتمام المستنير بالذات *Enlightened Self Interest* ، والاهتمام الأمثل فى حكم هذا المعيار، هو الاهتمام الخالى من الخطأ، العارف بكل ما يتصل بموضوعه»[254] يقول: «لما كانت كل الاهتمامات ذات وسيط إدراكى، ونظرا لأن معيار الصحة مطبق فى كل إدراك، فإن كل الاهتمامات بالتالى يمكن قياسها فيما يتعلق بالذكاء والمعرفة[255]. ويتناول هذه النقطة بالتفصيل فى «القيمة الحقيقية والقيمة الظاهرة» وذلك فى العدد السابع من مجلة الفلسفة، ليوضح اختلاف الاهتمامات من حيث ارتباطها بالإدراك.

هذه هى المعايير المختلفة التى يذكرها بيرى على أساس أنهامقاييس للقيمة المقارنة، وإن كان المعيار الثالث الخاص بالاشتمال أهمها ويأتى فى قمتها فذلك لأنه المعيار المستخدم لاستيعاب الاهتمامات المتعددة داخل نظام واحد متماسك» يقول بيرى: «هذا الأسلوب فى المقارنة يرى أن الكل فى الاهتمامات أكبر من أى جزء من مجموع أجزائه فى جميع النواحى أيما كانت فى التفضيل والحدة. و.العدد والاستمرار والمعرفة، وهذا ما يعرف بالاشتمال»[256] وعلى ذلك فإذا ما

---

(252) Ibid, pp.58 - 59.
(253) R.B.Perry: Realms of value, p.58.
(254) Ibid, p.58 - 59.
(255) Ibid, p.59.
(256) R.B.Perry: General theory of value, p.645.

تحدثنا عن الاهتمامات على أنها حادة ومفضلة، وشمولية، فمن الممكن التحدث عن مجموعة من الاهتمامات على أنها أكثر اشتمالاً على علاقات متشابكة، تتداخل فى مجموعها دعنا نأخذ مثلا معنى الخير المقارن، ذلك الذى يكون أحسن وأكثر تقيما، فالقول بأن شيئا ما أحسن من غيره يعنى أنه أكثر نفعا، وحين تتساوى الاهتمامات فى الحدة فإن الأول يتقدم نحو الإنجاز الأكبر والأعم ويرضى رغبة عدد كبير من مصالح واهتمامات الأفراد، وحين تتصارع المعايير يكون هو الوحيد صاحب الأسبقية.

٤ - الخير الأقصى والقيمة العامة

وما يطلق عليه معيار الشمول «يعبر عن التكامل أو عن توافق المصالح»، والنظرية الأخلاقية على ذلك تتمركز فى الفعل الذى تقوده المعرفة وتوجهه نحو الخير الأقصى[٢٥٧] وعلى ذلك يعد معيار الشمول أكثر المعايير تحديداً للخير الأقصى، وذلك بسبب الدور الخاص الذى يلعبه فى تسلسل القيم وسوف يكون الخير الأقصى موضوع نظام شامل كلية، ومتسق من الاهتمامات، ومثل هذا النظام الشامل كلياً، والهرمونى «المتوافق» من الاهتمامات هو الموضوع المثالى للإرادة المثالية، أى إجماع منسجم كلياً، وأريحى كليا ومستنيرا، ويلاحظ أن كل تعريفات بيرى للقيمة المقارنة تتم عن طريق الاهتمام بطريقة أو بأخرى، وكما يقول وليم فرانكنا «إن هدف بيرى هو تفسير كل المحمولات النقدية الأكثر تحديداً على أنها أنواع أو وظائف للقيمة بمعناها الشامل»، وهذا يتضح من تعريفاته التالية:[٢٥٨]

١ - س خير = س لها قيمة إيجابية

---

(٢٥٧) فيليب بلبير رايس: فى معرفتنا بالخير والشر، ترجمة عثمان عيسى شاهين، ص٥٨، ٥٩.

(258) *Willian K. Frankena, Ethical theory, pp.351 - 370 in Rederick H.Chisholm and other's philosophical Sohlorship in uniéed statas 1930 - 1960. phil, prentice in Engiewood chiffe New Jersy 1964, p.319.*

٢ - س خير فى حد ذاتها = س موضوع اهتمام مفضل *Favorable* من أجل ذاته.

٣ - س هى الخير الأقصى = س موضوع لنظام شمولى وكلى مكون من اهتمامات متوافقة.

٤ - س خير أخلاقى = س موضوع اهتمامات منظمة توافقيا بمقتضى اتفاق عقلى.

٥ - الخير الأخلاقى = الحياة أخلاقيا = السعادة المتوافقة = حالة من المصالح الموجهة المتوقعة.

٦ - س صحيحة أخلاقيا = س تؤدى للخير الأخلاقى.

٧ - س ملزمة أخلاقيا = س مطلوبة من قبل الخير الأخلاقى أى من قبل السعادة التوافيقية.

٨ - س جميلة = س لها الصفات المميزة للفئة التى تمتدح ذاتها، وهو الاهتمام الجمالى[٢٥٩].

ومن هذه الخطوات التى تنتقل من تعريف القيمة «الخير» بالاهتمام إلى تعريف الخير الأقصى الذى يتناول مجموعة من اهتمامات متوافقة كلية نقول إن بيرى تجاوز الاهتمام الفردى إلى الاهتمام التكاملى الاجتماعى، «إن التوسع الحيوى. النفسى لمذهب بيرى لا يتنافى مع التوسع النفسى. الاجتماعى، وذلك لأنه يخصص فصولا أطول لدراسة تكامل أنواع الاهتمام سواء عن طريق «التعقيل الفردى أم عن طريق التأليف الاجتماعى»[٢٦٠] وعلى ذلك يلحظ «رويه» أن بيرى ينتقل من المذهب النفسى إلى المذهب الاجتماعى انتقالا طبيعيا.

وتفسير «رويه» يوضح أن بيرى يتجاوز أيضا المذهب الاجتماعى بمعناه الضيق، حيث الخير الأقصى هو المكافىء الذرائعى لفكرة الله لدى الفلاسفة الميتافيزيقيين ولدى رجالات اللاهوت، فهذا الخير الأقصى إنما هو التكامل

---

(259) *Ibid*, p.360.

(٢٦٠) ريمون رويه.. فلسفة القيم، ص٢١٣.

التام الذى يدمج أنواع الاهتمام كلها فى اتحاد كلى يشمل الفاعلين جميعا. وهذا التكامل ليس سوى مثل أعلى، وكل إنسان يصبح عنصرا من عناصر الإرادة الكلية الخيرة حين يتفق الجميع على تحقيق مثل هذا الانسجام الكلى.

ويعتقد بيرى أن تصوره للانسجام يحوز نوعا من العمومية والشمول، وذلك لسبب بسيط واضح هو أن اهتمامات الإنسان تعتبر قابلة للتطبيق على اهتمامات كل إنسان وكل فرد. وبهذا يمكن أن نقول إن دقة وأحكام نظرية بيرى ترتكز على افتراضه الأساسى، وهو أنه بالنسبة لكل الناس فإن كلمة أفضل تعنى بالضبط أكبر توافق وانسجام ممكن للقيم. فبيرى يرى أنه لو اتفق الكل على حل الصراعات فى تعاون فإن الموقف الناتج سيكون المثل الأعلى أو الخير الأعظم.

والقول بأن إحلال التعاون محل الصراع هو الذى يوجد الخير الأقصى قد واجه اعتراضات عديدة خاصة من ريزيه الذى انتقد بيرى قائلاً: «اعتراضى الأساسى هو أن تفسير بيرى للقيم ومعاييره المختلفة غير قادرة على حل صراعات الاهتمام. فنظرية القيمة تعد غير جديرة بالاستحقاق، ما لم تقدم طريقة عملية لحل الصراعات الفعلية. فالعالم ملىء بالصراعات بين الأمم والجماعات والأفراد. حتى إننا غالبا ما نكتشف داخل ذواتنا دوافع متصارعة، فكيف لنا أن نقرر بين تلك الصراعات الأخلاقية المتعمقة».(٢٦١)

يرى بيرى أنه يمكن إنجاز ذلك من خلال النتيجة المنسجمة للحب التى تعرف على أنها اهتمام إيجابى لإرضاء اهتمام ثان «والاهتمام الثانى هو شخص آخر، والحب خال من الأنانية، فالحب يبدأ وينتهى فى الخارج، فالحب بمعنى آخر وهو تأييد مهتم به لاهتمام آخر سابق فى الوجود وموجود بطريقة مستقلة(٢٦٢). ويقدم بيرى هذه النظرية فى الحب لحل الصراع. وتعد هذه النظرية فى «الحب» باعتباره الوسيلة الأخلاقية لإحلال التعاون، هى الموقف الفلسفى الواقعى مقابل ما تقدمه النظريات المادية من نظريات فى العنف والصراع

(261) *Frandz Risieri: What is value, p.59.*
(262) *R.B.Perry: General theory of value, p.677.*

كوسيلة وحيدة لحل التناقضات وتغير العلاقات الاجتماعية الجائرة على بعض طبقات المجتمع. وليس هناك جدال فى أن الصراع والتناقض ظاهرة أساسية فى الوجود والمجتمع، لكن بينما تعالجها المادية عن طريق العنف حيث قدمت كثيرا من الدراسات فى التعريف بهذه النظرية التى أطلق عليها أنجلز «نظرية العنف»(٢٦٣) متخذة من موقف الرفض لفكرة الحب كوسيلة لتنظيم العلاقات بين الأفراد، كما قدمها فيلسوف أخلاقى مهد الطريق للمادية من خلال نظرته للطبيعة والإنسان(٢٦٤). مقابل ذلك نجد أن نظرية بيرى الواقعية ترى فى الحب وسيلة إنسانية فعالة فى حل الصراع على المستوى الفردى. وهذا مالم تتنبه إليه المادية، وحل الصراع أيضا على المستوى الاجتماعى الذى لم تتعرض له الوجودية متجاوزة بذلك الموقفين المتعارضين الفردى الوجودى والمادى الشمولى.

والحب أساسا هو اهتمام بآخر يسعى نحو تعضيد والارتفاع بإنجاز هذا الشخص البشرى ويمكن الاصطلاح على أنه «موقف اهتمام أو بشاشة خير عموما» ، ويمكن صياغته على النحو التالى «لا سوء نحو أحد وإحسان نحو الجميع»، فالحب هو «تكامل شخصى تتغلب عليه غرض ما، ويعرف طبقا لتقاليد الفلسفة الأخلاقية على أنه الإرادة الخيرة»(٢٦٥).

الحب فلسفيا هو الإرادة الخيرة. فهو البشير الذى يبشر باقتراب الخير الأقصى. وإذا كانت الارادة الخيرة مترجمة بطريقة مثالية فى الأمر الجازم عند كانط: «اعمل بهذا المثل الذى به يمكن فى الوقت نفسه أن نرغب فى ذلك يجب أن يصبح قانونا كُلياً» ويعدل بيرى هذه الصياغة المثالية إلى صياغة واقعية عملية بقوله: «اغرس هذا النوع من الإرادة الجديرة *qualified* لجلب الانسجام

---

(٢٦٣) انجلز: نظرية العنف. ترجمة محمد عيتانى، دار ابن خلدون، بيروت ١٩٧٥، ص٤٩، ومابعدها.

(٢٦٤) هو الفيلسوف الألمانى لودفيج فيورباخ «١٨٠٤ ـ ١٨٧٢» الذى انتقد انجلز نظريته فى الحب فى كتاب «لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية» الترجمة العربية. انظر كتابنا فلسفة فيورباخ، دار قباء، القاهرة ٢٠٠٤.

(265) *R.B.Perry: General theory of value, p.679.*

من خلال تتبيها للكلى»[٢٦٦] والارادة الأريحية كلياً أى الحب هو الفضيلة العليا القادرة على الإسهام بأقصى قدر من أجل تحقيق اهتمامات كل الناس. ومثل هذا الاهتمام الكلى لا يحتاج إلى إعاقة الاهتمامات الفردية، لأن عاطفة الإنسانية تترك لكل إنسان اختياراته الخاصة من الكمال الفردى» مؤدية إلى الاتحاد المنسجم بين الاثنين.

والخير الأقصى أى الإجماع المنسجم كلياً والأريحى كلى والمستنير هو مثل أعلى لا يمكن إدراكه تجريبيا. طالما أن الحقيقة البارزة للحياة هى الصراع، والخير الأقصى الذى يتصل بالسعادة ليس هو الإشباع الخالص لحدة قصوى، ولكنه كما علمنا أفلاطون فإنه نظام إشباع يفرض العقل شكله[٢٦٧] وليس هناك من ضمان بأن الإرادة المنسجمة كلياً أى المثل الأعلى سوف يدرك فى السماء، ويبدو أن الخير الأقصى ليس حقيقة تاريخية، ولكنه معيار طموح شرعى، فما يعرضه بيرى هنا يعتمد إذن على نظرية المعرفة التى تقبل ما هو معقول أن نصل إليه على أنه حقيقى.

وإذا أخذنا هذه النظرية البرجماتية أو الأخلاقية للمعرفة، فإنه يوجد هناك سبب فى الواقع لكى تكون القيم غير متصارعة، وقابلة للقياس، ومع هذا تكون قيما. ويقول بيرى: «لقد عرف الله باعتباره إرادة تجعل كل المطالب متوافقة وقابلة للقياس إذا ما وجدت وهذا التعريف يتم بمنع حقائق الصراع والشقاق، والنتيجة ليست تقريرا ذا حقيقة تاريخية، ولكنه ذو طموح شرعى[٢٦٨]، «وعلى هذا الأساس فالله ليس كائنا يمكن الحكم على طبيعته بأنها أقصى طبيعة، بالمعنى المناسب لهدف لم يتم إدراكه ولكنه ملزم عقليا للإرادة. فالله كائن يتعدى الإنسان، ومع هذا يعتمد جهد الإنسان الأخلاقى. فالعالم يكون مقدسا عن طريق الرغبة فى أن يكون مقدسا وعلى هذا فإن كونه مقدسا يكون مشروطا بالإيمان بالفعل الذى يتم من خلاله جعل القرارات العليا مؤثرة يقول بيرى متابعا

---

(266) *Ibid*, p.682
(267) *Ibid*, p.687.
(268) *Ibid*, p.688.

جيمس: «وجود الله بهذا المعنى يمكن أن ينتج من اعتقاد فى الله، وليس من اعتقاد فى أن الله يوجد بالفعل»[٢٦٩].

وهناك مطلبان مهمان ينبغى على المثل الأعلى أن يتبعهما: فهو يجب أن يكون ما يدعى بأنه يكونه، أى أن يكون أفضل شىء، ويجب ثانيا أن يكون قابلا للإدراك، ولا يتطلب أيا من هذين المطلبين أن يتم إدراك المثل الأعلى فى الواقع. يحدد بيرى الخير الأقصى باعتباره مثلا أعلى، أى «الموضوع المثالى للإرادة المثالية» هو موضوع مثالى بمعنى أنه يتألف من مواضيع الاهتمامات الأصلية التى تؤلف الإرادة الكلية. فهو هناك مقصد أو هدف أكثر من كونه انجازا لهذه الإرادة. ويتساءل بيرى هل مثل هذا التآلف المتوافق كليا والأريحى كليه له وجود؟

إن الإجابة الوحيدة إذا ما استندنا على أرضية تجريبية هى واحسرتاه لا، فالحقيقة التى نعيشها ونشاهدها فى الحياة هى الصراع، لكن هل معنى ذلك استبعاد وجود المثل الأعلى؟ إن بيرى يرفض استبعاد المثل الأعلى ويستنكر ذلك متسائلا: ولماذا واحسرتاه؟ فمن الحقيقى وجود مثل هذا التآلف. وأفضل تعريف له يكون فرديا وليس حقيقة تاريخية. ومثل هذا التعريف هو افتراض مبنى بما يتفق ومعنى الأفضل كما حددناه عاليا، وهذا الافتراض له قوة الحقيقة مثله مثل القول بأن حربا عالمية ثالثة ستكون كارثة فاجعة ومدمرة للعالم، والقول بأن الرجل الذى يبلغ من الطول عشرة أقدام أطول من أى رجل يعيش الآن، فهذا القول يؤكد ما هو حقيقى بالرغم من عدم حدوث الحرب أو عدم وجود العملاق. فهذا استدلال سليم من حقائق ومبادىء قائمة، وإجابة مناسبة لمثل هذه الإمكانات أو إحتمالات الوجود. وبالتالى فإذا ما سأل المرء عن الأفضل وأجيب عليه باصطلاحات ذلك الذى لم يوجد بعد فإن هذه الإجابة - بالتفسير السابق - تكون كافية وحقيقية. فالمثل الأعلى على ذلك مطلب أو غائية يسعى الفرد من أجلها تجريبيا، وإن بدت تجريبيا وكأنها غير موجودة.

وعلى هذا الأساس يستبعد بيرى مفهوم جرين فى الإرادة الخلقية باعتبارها حقيقة ميتافيزيقية تظهر خلال التاريخ[٢٧٠]. وأيضا يستبعد ما يطلق على

(269) *Ibid, p.687 - 688.*

(270) *R.B.Perry: General theory of value, p.687.*

«القوى الشعبية» التى تعد الله المؤلف المسئول عن التاريخ. مما يضطر الإنسان إلى أن يحكم عليه فى ضوء التاريخ، ويحكم عليه فقط بما هو خير فى التاريخ ويتجاهل الشر.

ويرى أن المثل الأعلى يجب أن يقدم نفسه على أنه شىء يمكن تحقيقه، ويجب لاتمامه أن يكون متوقعا بمقياس ما، حتى يمكن له أن يعمل كتوقع محدد، ويجب أن يكون صالحا لطبيعة الإرادة، ويجب أن يكون للكمال معنى باصطلاحات التجربة. ويجب أن تكون هناك لحظات يستطيع فيها المرء فى أفضل حالاته أن يمسك فيها بلون ومذاق أفضل شىء، أو كما نعبر بطريقة عامة يجب أن يكون هناك «قبس من الله فى الإنسان» وهذه اللحظات يمكن الإحساس بها.

«فإنها تلك اللحظات من الرقة النهائية التى نشعر بها فى حضور الجمال، أو ذلك التركيز البطولى لقضية ما، أو العاطفة نحو صراع شجاع ومعاناة للكائنات الحساسة عندما يساق المرء إلى تيار خصب متدفق من تيارات الحياة وعندها تختلط البهجة بالدموع التى تدل على السمو غير الطبيعى. وإذا كان هناك اعتراض بأن مثل هذه اللحظات تكون فردية. شخصية، ولا تدل على حياة متبادلة مترابطة فتكون الإجابة موجودة فى تلك اللحظات من الوصال التام التى تؤسس فيها السعادة على الكرم والتى نجد فيها إعلانا لمعنى الزواج والصداقة والزمالة والإنسانية»[٢٧١].

ويضيف بيرى أن الدرس الذى نأخذه من الحياة لا نقيمه هكذا خاصا بالكمال غير القابل للإدراك أو بصياغة أمر قابل للتحديد، لكن من خلال الطموح غير القابل للتخيل، إنه بالأحرى مسألة العيش على تلك القمم التى يصعد إليها المرء لحظيا أو التى تمت صياغتها عند الأشخاص الملهمين روحيا. هذه اللحظات التى تعيش فيها الإرادة الكاملة وتكابد من أجل الوصول إليها «تدرك غالبا عن طريق عقول البسطاء، هذه اللحظات التى يظهر فيها حب التعاطف فمن بين كل الهبات العظمى فإن التعاطف هو أعظمها»[٢٧٢].

---

(271) Ibid, p.691.
(272) Ibid, p.692.

الباب الثالث

ميتافيزيقا القيم عند دى ويت باركر

الفصل الأول

القيم فى المثالية التجريبية

تمهيد :

تأتى أهمية دى ويت باركر De Witt Parker (١٨٨٥ . ١٩٤٩) الذى يكاد يكون مجهولاً فى العربية . من كونه من أهم فلاسفة القيم المعاصرين فى الفكر الأمريكى. مع كل من ايربان (ولبرمارشال)، وبيرى (رالف بارتون) ،الذين يمثلون ذلك الاتجاه الساعى إلى تأسيس نظرية عامة فى القيمة . رغم الاختلافات المتعددة بين كل منهم – لها سماتها وخصائصها العامة التى تميزها عن غيرها من اتجاهات: مثالية، وبراجماتيه، ووجودية فى دراسة القيمة. وهى تواجه الاتجاهات الوضعية المنكرة للقيمة، وتدخل فى حوار مزدوج مع تاريخ الفلسفة من جهة، والاتجاهات المعاصرة من جهة أخرى، لتقديم معالم ذلك الاتجاه الذى أطلق عليه النظرية العامة للقيمة. مما دعى اندريا ريك Andrew Reckإلى القول أن العقود الأولى من هذا القرن كانت مسرحاً لميلاد ونمو فرع جديد من الفلسفة هو النظرية العامة للقيمة.

يحاول باركر فى فلسفته التى أطلق عليها اسم «المثالية الراديكالية» أن يعيد النظر إلى الفلسفة من منظور القيم، وأن يؤسس الميتافيزيقيا على الخبرة، التى اتسع معناها عنده ليرادف معنى القيمة، بحيث تكون القيم أساس الميتافيزيقا . وكان أكثر من غيره . من فلاسفة جيله . اهتماماً بعلم الجمال، حيث قدم فيه عدد من المؤلفات تفوق اسهامات كل من بيرى وايربان. وسوف نحاول فى هذا الباب عن «ميتافيزيقا القيم عند باركر» جهوده الأكسيولوجية، مع تقديم ترجمة لدراسته عن «الاستطيقا» التى ساهم بها فى كتاب رونز «فلسفة القرن العشرين».

وصف دى ويت باركر *De Witt Parker* (١٨٨٥ . ١٩٤٩) فى كتابه «الذات

والطبيعة» *Self and Nature* [1] منهج الميتافيزيقا بأنه تجريبية، و«تجريبية جذرية ممتدة عبر الخيال». قد أورد بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً نفس الوصف السابق للميتافيزيقا فى كتابه «الخبرة والجوهر» *Experience and Substance* فالميتافيزيقا تعتبر أساساً فلسفة تجريبية حيث تنظر إلى الخبرة على أنها أمر مسلم به، وأنها جزء من الواقع الرحب»[2] وهذه التجريبية الميتافيزيقية تتجه نحو التحليل. فهى تتوغل فى الأمور الكلية *Omnipresent* للخبرة المعطاة للكشف عما هو كلى وخالد فى الجزئيات العابرة. ومن ثم يمكن القول أن الميتافيزيقا تكشف النقاب عن مقولات الخبرة وأنواعها لتصبح بالتالى تأملية. وهى تستخدم هذه المقولات، والصور الخاصة بالأمور الأبدية المتضمنة فى الخبرة، من أجل تخيل الخبرة المتضمنة فى السياق الرحب للواقع العميق الذى يجاوز ويفسر الواقع الظاهرى فى مصطلحات الخبرة. ومن هنا فإن الميتافيزيقا فيما يرى باركر تحلق عبر الخبرة المعطاة على أجنحة الخيال من أجل تأمل صورة العالم.

وعلينا بداية وقبل بيان فلسفة القيم عند باركر الإشارة إلى دراسته وتكوينه الفلسفى. فقد التحق فى سن السابعة عشر بجامعة هارفاد *Harvard*عام ١٩٠٢وظل بها ست سنوات يتلقى عن أعلام الفلاسفة الأمريكية دروسه، حيث تتلمذ على كل من: فيلسوف المثالية المطلقة جوزيا رويس *Royce* ، وصاحب الواقعية النقدية جورج سانتيانا *Santayana*،وجورج هربرت بالمر*Palmer*

---

(١) يمثل كتاب «الذات والطبيعة» نتاج لكل التأثيرات الفلسفية فى السنوات العشرة الأولى من حياته العلمية، وهو كما يخبرنا «رسم انطباعى ملىء بالتناقضات»، وأنه مازال متمسك بأفكاره الأساسية».

De Witt H. Parker, Impirical Idealism, W.P. Montagre G. P. Adams (eds) Contemporary American Philosophy, Macmillan Comasy, New York, 1930, P. 165.

(2) *De Witt H. Parker: Experience and Substance, An Essay in Metaphysices, Uni. Michigan Press 1941, p. 9.*

المثالى المعتدل وأستاذ الأخلاق، والفيلسوف الألمانى هوجو منستربرج *Munster-berg* (٣) الذى يعد امتداداً لريكرت وفندلباند، بالاضافة إلى وليم جميس *W.James*، ورالف بارتون بيرى *R.B. Perry* وزميله هولت *Holt* مؤسسا الفلسفة الواقعية الجديدة(٤). وبعد أن أمضى عامين فى جامعة كاليفورنيا استدعى إلى ميتشجان للقيام بتدريس الفلسفة وأستمر فى العمل بهذه الجامعة طوال حياته. وقد ساهمت عديد من المؤثرات فى تكوين باركر، تتمثل فى قراءاته المختلفة قبل المرحلة الجامعية، ثم أساتذته فى هارفارد الذين أخذ عنهم وأشاد بهم وانتقد بعض افكارهم.

ويقدم لنا باركر فى دراسته «المثالية التجريبية "*Impirical Idealism*" بياناً بعقيدته الفلسفية، وسيرة ذاتية تتضمن المصادر المختلفة التى ساهمت فى تكوينه الفكرى كفيلسوف؛ وهو يشير فى البداية إلى تأثير كتاب «وايت» *White* «تاريخ النزاع بين العلم واللاهوت» وغيره من كتب تناولت نفس الموضوع، وبعد انتقاله مع أسرته إلى بواسطن تابع قراءة الكتب النقدية للمسيحية لنقاد مثل: رينان *Renan* وستروس *Strauss* وكذلك كتابات: فيسك وهيكل ، وكاروس التى تسيطر عليها فكرة التطور. بالاضافة إلى أعمال مارتتيه *Martineau* مثل«موضع سلطة فى الدين» *Seat of Autharity in Religion*. وسبنسر «المبادىء الأولى» إلا أن العمل الذى ترك تأثيرا كبيرا فى عقله هو كتاب فيلكس Felix «العقيدة والعمل»؛ الذى حوله من الأرثوذكسية والإيمان بإله واحد إلى نوعاً من الصوفية الوثنية وعبادة الطبيعة. واكتمال تحوله بعد قراءة كتاب ماثيو

---

(٣) راجع تأثير هوجو منستربرج على الفلاسفة الأمريكيين فى كتاب ايزيه فرندز «ماهى القيمة؟»

-*Riseri Frandz: What is value, open court publishing. company 1974, p. 49.*

وعن جهوده الجمالية راجع الفصل الأول من كتاب وادلى أندو: نظريات الفيلم الكبرى ترجمة د. جرجس فؤاد الرشيدى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٧، ص٢١ - ٣٢.

(٤) انظر دراستنا: القيم فى الواقعية الجديدة عند رالف بارتون بيرى، دار الثقافة اوالنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٨٨.

أرنولد «الرب والتوراة» وكتاب دارون «تسلسل الإنسان» وكتب الفلسفة الوضعية لسبنسر وكونت.

وبدخوله جامعة هارفارد *Harvard* اكتشف أن الفلسفة، والفلسفة وحدها يمكنها أن تضيف شيئاً إلى حياته حيث اختار دراسة تاريخ الفلسفة القديمة، التى كان يقوم بتدريسها سانتيانا، والفلسفة الحديثة التى درسها على رالف بارتون بيرى. ويعدد لنا باركر قراءاته المختلفة لأهم النصوص الفلسفية: جمهورية أفلاطون، وأخلاق أرسطو وتأملات ديكارت، وأخلاق اسبينوزا ورسالة هيوم، ومحاورات باركلى، ويصف لنا هذه القراءات العميقة التى لا يمكن مقارنة قراءاته السابقة بها. ويضيف إلى ذلك التأثير القوى لمحاضرات رويس عن كانط والمنطق الرمزى، وسانتيانا عن أفلاطون، وبالمر عن الخير، ومنستربرج عن القيم، وجيمس عن التجريبية الراديكالية، إلا أنه مع ذلك لم يعتبر نفسه تليمذا لأيًا منهم.

ويحدد باركر موقفه النقدى تجاه هؤلاء، فبالنسبة لذاته غير العملية كانت نظرية جيمس البراجماتية غير ذات معنى كفلسفة، إمارويس فى براهينه على وجود المطلق بدأ وكأنه يبحث عن إجابة وهو بالفعل يعلم.الحل. أما مذهب سانتيانا المادى فلم يصمد أمام مذهب باركلى وهيوم، ولم تكن الواقعية الجديدة لدى هولت وبيرى قادرة على تفسير السمة الشخصية لمعرفة الخطأ والوهم، ومذهب التقوى الأخلاقية لبالمر غير متوافق مع حقيقة الشر. ومقارنة منستربرج بين العلم والحياة قد رسمت بشكل حاد. ومع هذا فقد أفاد - كما يخبرنا - من كل هؤلاء أشياء هامة لتطوره الفلسفى. يهمنا أن نشير منها إلى ما أخذه عن تجريبية جميس الراديكالية، وتعدديته، ومن سانتيانا الاهتمام بقضايا القيم، ومن بيرى وهولت عدم القناعة بالحلول التقليدية، ويذكر لنا أكثر الفلاسفة تأثيرا عليه وهم: باركلى، وهيوم، وهيجل، ونيتشه، وبرادلى، وماخ، وافيناريوس. أما برجسون وبيرس *Peirce* «فقد أثرا عليه كما يخبرنا بصورة قوية» وكذلك رسل(٥).

(5) De Wit Parker: Impirism, pp. 163 - 164.

وقد دارت معظم مؤلفات باركر وتركزت فى فلسفة القيم. وإن كان أكثر اهتماماً بعلم الجمال وفلسفة الفن، يقول: «لقد قدمت دراسة لعلم الجمال وتاريخه ونظرياته تحت تأثير الفلاسفة اللاحقين على سانتيانا وليبز وكروتشه. متخذاً طريقى إلى رأى مستقل» [٦] . ونقدم فى الجزء الثانى من البحث نموذجاً من كتاباته الجمالية؛ وهى دراسته «الاستطيقا» التى تلقى ضوءاً كافياً على أفكاره الأساسية فى هذا المجال الذى أفاض فيه أكثر من غيره. يرى اندرياريك A. Reck أن باركر يفوق من حيث مساهمته فى مجال الاستطيقا جهود كل من: بيرى، وهوكنج، وجورج هربرت ميد وايربان[٧]. وعلى الرغم من أنه كان مهتماً فى فلسفته العامة بتحليل الخبرة أساسا من أجل تقديم مقولات ميتافيزيقية، فقد كان مهتماً أيضاً بصياغة كوزمولوجيا ترتكز على هذه المقولات. وهذا الاهتمام يظهر بوضوح فيما كتبه من مؤلفات عن الميتافيزيقا مثل: «الذات والطبيعة»، ١٩١٧، «الخبرة والجوهر»، ١٩٤٧ . إلا أنه كان مهتما بصفة خاصة وهذا ما يهمنا فى هذا البحث بخبرة القيمة على نحو يفوق اهتمامامه بالخبرات الأخرى. ويتضح ذلك من عناوين مؤلفاته: مبادىء علم الجمال *The Princiles Of Aestetics*[٨] وتحليل الفن *The Analysis Of Art*[٩] والقيم الإنسانية *Human Values*[١٠].

وقداعترف باركر فى سيرته الذاتية أن هذا الاهتمام بالطبيعة العامة للقيمة، وتصنيف، ونقد القيم، قد أتى نتيجة للمشكلات الأخلاقية التى نجمت عن الحرب العالمية الأولى.[١١] وقدوعد باركر فى عدة مناسبات بأن يقدم مجلداً

(6) *Ibid, p.165.*

(7) *Andrew Reck: Recent American Philosophy, pantheon books a Division of Random House, New York, 1964, p. 182.*

(8) *Parker: The Principles of Aesthetics, 2ed, New York, F. S. Crofts and Co., 1964.*

(9) *De Witte Parker: The Analysis of Art, New Haven, Yale Uni. Press, 1926.*

(10) *De Witt Parker: Human Valucs, An Interpretation of Etlhics Based on A study of Values, New York, 2ed, 1947.*

(11) *De Witte Parker: Empirical Idealism, in Contermporary American Philosophy, G. P. Adams and W. P. Montague (eds) Russell & Russell Inc., 1962, Vol. 2, p. 65ff.*

كبيراً عن ميتافيزيقا القيم. إلا أنه للأسف لم ينجز هذا الوعد على الإطلاق، رغم أنه كان يعمل قبيل وفاته فى كتابة مثل هذا المجلد. وقد قام وليم فرانكنا *Frankena* الأستاذ بجامعة ميتشجان بطبع هذه المخطوطة ونشرها تحت اسم «فلسفة القيمة»، وهو نفس العنوان الذى اختاره باركر.(١٢) ويتناول الفصل الحالى الموضوعات التالية: تعريف القيمة، بعض النظريات المنافسة، تعبيرات القيمة، تحليل القيم: (العوامل الجوهرية، أبعاد القيمة، نظرية الشر)، تنظيم القيم، تقييم القيم، نسبة القيمة وحدودها، القيم الأخلاقية.

وذلك من أجل تقديم ميتافيزيقا باركر، وبيان مدى اعتمادها على نظريته فى القيم أو قل ارتباط القيم بالميتافيزيقا. وعلى الرغم من أن الفيلسوف لم يتمكن من تحقيق ما يصبو إلى من حيث استكمال ميتافيزيقا القيم.. كما أشرنا فى ذلك العمل الذى أكمله ونشره فرانكنا. إلا أن الخطوط العريضة لمثل هذه النظرية يمكن استنباطها من مؤلفاته المطبوعة، فمساهمته فى هذا المجال واضحة ومعروفة. إن خبرة القيمة عند باركر تشتمل على مقولات ميتافيزيقية نظراً لكونها تتسم بالكلية والخلود، بالإضافة إلى أنها من وجهة نظره تعمل على توضيح هذه المقولات. وقد أشار باركر إلى أن عدم ملائمة الميتافيزيقا للقيم يعنى عدم معرفة الطريقة التى تنتشر بها مقولات مثل:المادة، الزمان، والمكان، والسببية فى خبرات القيمة. وعلاوة على ذلك فإن خبرات القيمة تحدث فى السياق الرحب للخبرة، والواقع الحقيقى. ولذلك نجد أن فلسفة باركر كانت تهدف إلى تكوين هذا السياق الذى تصبح فيه القيم ممكنة وقابلة للوجود.(١٣)

---

(12) De Witte Parker: The Philosophy of Value, with preface by W. K. Frankena (ed.) Uni. of Michigan Press, 1957.

(١٣) يقول باركر: بالنسبة لى فإن أنسب نظرة للفلسفة هى ما يسميه جيمس «التجريبية الراديكالية»، التى كما أفهمها تتطلب أن يستخدم الفيلسوف تصورات تمثل التجربة الحسية فحسب». لقد قال هيوم بهذه النظرية، وعند باركر يظل منهج هيوم سليماً فى =

أولاً : النظرية العامة للقيمة

لقد سعى باركر إلى تقديم نظرية عامة للقيمة، نظرية تحدد المفهوم النوعى Generic Concept للقيمة. وهذه النظرية التى تعبر عن كل متجسد فى كافة أنواع القيمة، تهدف أساسا إلى الوقوف على طبيعة القيمة بعيداً عن الانحياز المؤثر للأكسيولوجى، تستخلص من وجهة النظر التى يرتكز عليها نوع معين من القيمة سواء أكانت جمالية، أو أخلاقية. هذا بالإضافة إلى دراسة قيم معينة من منظور النظرية العامة يوضح لنا استمرارية القيم، ويوحى بالسمات الأخلاقية، والجمالية التى تبرز فى قيم معينة على الرغم من أنها تظهر فى جميع القيم.

وقدأوضح باركر فى كتابه «القيم الإنسانية *Human Values*» أنه لا يوجد اهتمام أخلاقى أو قيمة مستقلة، لكن على العكس من ذلك نجد الأخلاقية *Morality* ترتبط ارتباطاً وثيقاً بكل فروع النشاط البشرى[١٤]. نفس الشىء ينطبق على السمات الجمالية التى تسود كافة القيم الأخلاقية. فالخبرة الجمالية تدرك فى شىء من التوافق قيمة العقل بوجه عام، فالجمال هو نموذج الخير.[١٥]

وبالإضافة إلى بيان المفهوم النوعى للقيمة كان باركر يسعى إلى تحديد القيمة، علاوة على تمهيد السبيل أمام نوعية من الأبحاث الميتافيزيقية المستقلة

=أساسه إلا أن نتائجه ناقصة، بسبب التحليل الخاطىء للتجربة. بينما يكمن مفتاح فهم الحقيقة فى التجربة. ولايجاد المعنى الميتافيزيقى والصحة لتصورات السبب، القانون، المعرفة، الجوهر وما شبهها، فيجب أن نعتقد أنها تعطينا نموذجاً خالصاً للكل. ولا يرى باركر داعياً للاعقاد بوجود أى معرفة أخرى أو جوهر سوى التجربة. لقد كانت المذاهب المثالية الكبرى فى المسار الصحيح بقدر ما قامت على التجربة الحسية، وليس على التصورات المجردة والجدلية للعلم، إلا أن خطأها كان فى إهمال قضايا معينة مثل العلاقة بين العقل والجسم، وفى قبول أفكار المسيحية بلا أدنى فحص، وبدون أدنى اهتمام بالعلم وقضاياه ونتائجه الرئيسية. وهو يعترف أن تفكيره ينسجم مع النموذج التجريبى للمثالية ممثلة فى بركلى وشوبنهور وبرجسون».

De Witt Parker: Impirical Idealism, p.1677.

(14) De Witt Parker: Human Values, p. VII.

(١٥) عن العلاقة بين الجمال والقيم، راجع الفقرة الأولى من الفصل الثانى من هذا الباب.

من أجل التأكيد على طبيعة العالم التى تسمح للقيمة باكتساب هذه النوعية من المواقف، وأخيراً ،لأن باركر كان يعتقد أن وجود القيم لا يظهر إلا من خلال التعبيرات، فقد أخذ يبحث فى طبيعة، ودور قضايا القيمة مقرراً ما إذا كانت مدركة أم لا، وإلى أى مدى تكون مدركة، والوظيفة التى تؤديها إذا لم تكن مدركة؟

١ - القيمة النوعية

ويمكن القول أن تحليل دويت باركر فى الفصل الرابع من كتابه «فلسفة القيمة» للقيمة من حيث هى سمات كلية قد نتج عنه ست عوامل جوهرية، وستة أبعاد، والعوامل الجوهرية تتألف من القيم المحددة التى تواجه مباشرة فى خبرة معينة. بينما كل قيمة تعبر عن الأبعاد، أو تعطى مثل للأبعاد، وكل من العوامل والأبعاد الخاصة بالقيمة تؤلف. كما يخبرنا. وتزود الباحث بأداة لفهم قيمة الخبرة التى تكتشف من خلال البحوث التجريبية.

٢ - والعوامل الجوهرية للقيمة هى :

(أ) الرغبة *Desire* وهى بمثابة خبرة التوجيه *Vectorial* موجهة مثل الحركة والزمن، وهى أيضا بمثابة خبرة حادة يمكن أن نقارنها بالزَمبرك، وهى فى نهاية الأمر بمثابة خبرة فعالة وناجحة كما يقول باركر فى«فلسفة القيمة»: «هى خبرة من شأنها أن تغير مجرى الأحداث»[١٦] والقيمة تتألف على وجه الدقة من إشباع الرغبة، فإن النتيجة هى الشر.

(ب) إن خبرة القيمة تشتمل على «هدف موضوعى» *Goal*وهدف قصدى أو مستهدف *Objectiv* كعامل جوهرى. وهو ليس شيئا محسوساً على الإطلاق، إنما هو نشاط يكون بالإشارة إلى شىء محسوس، والمثال الذى يطرحه باركر «هو الخبز، فالخبز ليس هو الشىءالذى أريده، وإنما ما أريده بالفعل هو تناول الخبز وأكله»[١٧] فالإشباع يتألف من تحقيق المستهدف *Objective*.

---

(16) De Witte Parker: The Philosphy of Value, p. 91.
(17) Ibid., p. 92.

(جـ) إن خبرة القيمة تتطلب موضوعاً *Object*، يقول: «إن طاقة الرغبة تتدفق من خلال وحول الموضوع، ويتم انطلاقها عن طريقه»[١٨] وهذا لا يعنى أن القيمة تكون متماثلة مع الموضوع بل إن العلاقة بين الموضوع والإشباع تكون علاقة سببية، ولذلك فإن الهدف التتميمى أو التكميلى *Complementary* يتم تمييزه عن الموضوع. الوسلى *Means-Object* فالأول يسبب الإشباع بينما يكون الثانى ضروريا من أجل الأول. وعلاوة على ذلك نجد أن باركر أشار إلى أنه فى بعض الحالات تكون خبرات القيمة غير مرتبطة بالموضوع *Objectless*، ويبدو أنه كان يعنى أن بعض القيم يتم الاستمتاع بها دون أن يكون هناك وعى سابق برغبة فى تحقيق موضوع ما، مثال ذلك شعورى بالمتعة لدى استنشاق عبير الأزهار العطرية التى تنساب عبر نافذة غرفة مكتبى. ومن وجهة ثانية أن بعض الإشباعات المتعلقة بالقيم الجمالية لا تنجم عن موضوعات فيزيقية خالصة، مثل تلك المتعة التى أشعر بها لدى سماع سيمفونية. وبالنسبة لباركر فإن الموضوع الجمالى ليس شيئا فيزيقيا، يقول: إن الوقائع الجمالية هى وقائع ذهنية[١٩] . فالجانب الفيزيقى للفن هو «أداة جمالية»، «موضوع جمالى بمعنى أن خبرة القيمة تنتمى إلى عالم الخيال».[٢٠]

وتمييز باركر بين قيم الحياة الواقعية، وقيم الخيال، يدور حول مفهوم الموضوعات التكميلية، من حيث هى فيزيقية، أو خيالية، «فقيم الحياة الواقعية مثل: الصحة والراحة والطموح، والحب، والقيمة الأخلاقية، والمعرفة والكفاءة.

---

(18) Ibid, p.95.

(19) De Witte Parker: The Principles of Aesthetics, p.7.

(٢٠) إن العمل الفنى يحيا على مستوى الخيال لدى كثير من الفلاسفة مثل كولنجوود *R.G.Collingwood* فى مؤلفه الفن، وسارتر فى مؤلفه الخيال، وكروتشه فى «الاستطيقا». ومن الواضح أن زيادة الاهتمام بهذا الجانب الخيالى فى العمل الفنى لم تتضح أهميته إلا ابتداً من العصر الحديث خاصة مع زيادة النزعة الرومانسية والفلسفة المثالية فى القرن التاسع عشر كما نجدها عند كولريدج وغيره، انظر د. أميرة حلمى مطر: مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفنون الجميلة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٩، ص٣١، ٣٣.

تستقى موضوعاتها التكميلية من البيئة الفيزيقية، والبيئة الاجتماعية، وتعتمد فى الإشباع على التوافق مع البيئة»[٢١] وقد أشار باركر فى كتاباته إلى أنه فى حالة قيم الخيال والحلم واللعب، والفن، والدين فإننى لا أتوافق كثيرا مع بيئة معينة وإنما أخلق بيئة خاصة بى، وبدلا من استخدامى لموضوعات حقيقية من حيث هى موضوعات تكميلية فإننى أستفيد من «موضوعات بديلة» أو موضوعات تحمل الإنسان على الاعتقاد، وليست موضوعات تتعلق بالاعتقاد الراسخ، أو موضوعات تتعلق بالعالم الخيالى، أو العالم المثالى أكثر مما تتعلق بالعالم الحقيقى.

(د) والعامل الأساسى الرابع فى خبرة القيمة فى حالة الخبرة الواعية هى الحكم *Judgement* الذى يتعلق بملاءمة الموضوع التكميلى مع تحقيق الهدف.

(هـ) تخفيف الرغبة من خلال تحقيق الهدف، فالخبرة النشطة أو السلبية، سواء أكانت خبرتى أو خبرة شخص آخر، تسفر عن تحقيق هدف بالإيجاب أو السلب مما يشبع الرغبة الأولية.

(و) أو هو أن عملية القيمة تكون مصحوبة بإشباعات توقعية وتذكرية *Anticipatary and Memorial* [٢٢] فالإشباعات التوقعية تضيف حافزاً إلى عملية إدراك الهدف، بينما الإشباعات التذكرية تثرى عملية إدراك الهدف بأصداء من إشباعات ماضية.

وبعد تناول العوامل الجوهرية للقيمة نشير بإيجاز إلى الأبعاد الستة للقيمة التى خصص لها باركر أحد فصول كتابه فلسفة القيمة.

٣ - أبعاد القيمة :

وبالإضافة إلى قيام باركر بإلقاء الضوء وتفسير العوامل الجوهرية الستة التى تتألف منه القيم، فإنه قام بتحليل البعد التعددى

---

(21) Parker Human Value, p.48.

(22) Parker: The Philosophy of Value, p.102.

Multidimensicnality للقيمة فى ذاتها. فكل بعد من هذه الأبعاد يستحضر إلى بؤرة الاهتمام سلسلة من التغييرات الخاصة بالنوع أو الفئة التى قد تظهر على نحو مستقل لحساب إطار آخر، كما قد تكون لها القدرة على البقاء بشكل تسلسلى أو قد لا يمكنها ذلك.

البعد الأول هو الحدة *Intensity* ونظراً لأن الحد هى أمر تميز به الرغبة، والإشباع فإنها عادة ما توجد علاقة متبادلة بين حدة الرغبة الأولية وحدة إشباع تلك الرغبة.(٢٣)

البعد الثانى هو الديمومة *Duration* ولكى يتم الاستمتاع فإن القيمة ينبغى أن تستمر لبعض الوقت، وتظهر أصداؤها فى خبرة لاحقة.

البعد الثالث للقيمة هو المقدار «الحجم» *Volume* والقدر يكون واضحاً فى الفارق فى القيمة بين شرب الماء، واحتساء القهوة. فالقدر هنا يتوقف على تركيب نموذج الرغبة، وليس على تركيب نموذج الشىء، رغم أن بين الاثنين علاقة متبادلة إلى حد ما.(٢٤)

والبعد الرابع للقيمة هو الكيفية *Quality* فالقيمة تظهر تغييرات كيفية غير قابلة للتخفيض أؤ الاختصار بالنسبة لنوع واحد مثل اللذة الحسية على سبيل المثال، وذلك لأن الإشباع يتلون حسب النشاط ويصبح مختلفاً فى ذاته طبقاً للاختلاف فى النشاط.(٢٥)

البعد الخامس هو العلو *Height* على الرغم من المحاولات الفلسفية المتكررة التى تهدف إلى رد العلو فى القيمة إلى: المقدار، أو الكيفية أو إلى أى بعد آخر إلا أن باركر كان مقتنعاً بأنه على ضوء الاعتراف بتصنيف القيم فإن العلو بعد فريد من نوعه يتعلق بالقيم يعرف بالذروة «الارتفاع» يعتبر بمثابة خاصية أساسية، وليس مجرد تقدير تقييمى أو تحديد الرتبة.(٢٦)

---

(23) *Ibid, p.105.*
(24) *Ibid, p.107.*
(25) *Ibid, p.107.*
(26) *Ibid, p.111.*

البعد السادس هو التوافق *Harmony* وهو يتمثل فى توافق التوترات المتنوعة للرغبة سعياً نحو هدف واحد أو إشباع واحد.(٢٧)

ووجود هذه الأبعاد فى خبرات القيمة هو سبب وجود المعايير *Norms*، وبالتالى فإن تطابق القيمة مع الإشباع يعتبر أمراً متوافقاًمع الأخلاق المعيارية، فجميع القيم «أخلاق» بالمعنى الواسع، طالما أنها إلزامية *Imperative*. والتفكير فى أبعاد القيم فيما يتعلق بكل من الرغبات التى نشبعها، ووسائل الإشباع يسفر عن مبادىء التقييم أو النقد: مبادىء النجاح، مبادىء العلاقات المتداخلة مع الاهتمامات الأخرى.

وهذه المبادىء بمثابة تعبير عن رغبات نظام أعلى. مقياس لهدف يتعلق برغبة ولكنها رغبة ذات نظام أعلى، أو رغبة تتعلق برغبات وإشباعات لها نوعية محددة. وهى مثل كافة الأهداف الأخرى المماثلة تعتبر أكثر من رغبات النظام الأدنى. وعلاوة على ذلك لا توجد رغبات مستقلة نظراً لأن كل الرغبات منسوجة ذاتياً فى الذات الترابطية أو الذات المحيط Matrix Self، الرغبة ذات النظام الأسمى. وهذه الذات، أو خطة الحياة الداخلية لفرد تعادل المعيار الذى يكون الهدف المركب لمجموع رغبات الفرد، الذى يخضع له، ويتكامل مع كافة الرغبات، والإشباعات التى يتألف منها الوجود الكلى. وبالعودة إلى الرغبة ذات النظام الأسمى فإن كل الرغبات الأخرى تتعرض للنقد، ومن هنا يمكن القول «إن الرغبة هى فقط التى يمكنها أن تحكم على رغبة».(٢٨)

إلا أن الاعتراف بالمعيار النابع من قيم تتماثل مع إشباع الذوات فيما يرى

---

(27) Ibid, p.115.

والجدير بالإشارة هنا أن بيرى، الذى تتلمذ عليه باركر يجعل من التوافق الهدف الأساسى من القيم، أو غاية النظرية العامة للقيمة يظهر ذلك فى دراسته المبكرة عن «الاقتصاد الأخلاقى»، ١٩٠٩، ثم فى النظرية العامة للقيمة ١٩٢٦ حيث تكمن القيمة فى توافق وتناسق الرغبات، راجع دراستنا «القيم فى الواقعية الجديدة عند ر. ب. بيرى» ص٢٦٩، ومابعدها.

(28) Ibid, p.156.

باركر لا يكون كافياً بالنسبة للأخلاق نظراً لأن الإشباعات متمركزة على الذات. ففى حالة الأخلاق يتبع الإنسان هدفاً لا يمكن له أن يكون متماثلاً مع الإشباع الخاص به. فلماذا إذن يكون أخلاقيا؟ إنه لا الخوف من النتائج، ولا الرغبة فى الموافقة يستنفد معنى الأخلاقية، بل إن الفائدة الأخلاقية تنبع من مصدر آخر. إلا وهو: الذات المتسامية بتأثير الحب. *The Self Transceding Efficacy Of Love* إذ كتب باركر قائلاً: «إن الحب يمكن تعريفه بأنه أى نشاط يجد غايته وقيمته فى الحفاظ وزيادة القيمة فى عقل آخر»(٢٩) فمن خلال الحب يكون الناس قادرين على العثور على إشباعات غير مباشرة فى إشباعات الآخرين. ومن ثم «فإن الأخلاقية تستند فى نهاية الأمر على الحب».(٣٠)

ثانياً : نقد نظريات القيمة

يناقش باركر نظريات القيمة المختلفة لتوضيح نظريته المبنية على فلسفته المثالية التجريبية، وذلك فى الفصل الثانى كتابه «فلسفة القيمة» فالمبرر الوحيد لقبول أية نظرية فلسفية من وجهة نظره هو نفس سبب قبول أى نظرية علمية، وهو «شمولها لكافة الوقائع التى تتناولها، فلا يكفى أن يشيد الفيلسوف نظرية كى يكتمل عمله، بل ينبغى على أن يثبت صدقها عن طريق مواجهة غيرها من نظريات»(٣١). وبالطبع فمن المستحيل أن يعرض لكل نظريات القيمة، ومن هنا هو يتناول بالتحليل تلك التى كانت أكثر تأثيراً بغية توضيح جوانب نظريته الخاصة.

ويعرض فى البداية للنظرية التى ترى أن **القيمة كامنة فى الموضوعات** *Value is resident in objects*، والتى ترى أنها خاصية لها نفس درجة أى قيمة أخرى. فجمال موسيقى باخ ليس بأقل من بناءها التوافقى واللحنى، وجمال

---

(29) *Parker: Human Value, p.177.*

(30) *The Philosophy of Value, p.269.*

(٣١) يقول: «إن الفكر لا يستطيع أن يتأكد من رؤيته الخاصة، إذا لم يواجهها بالرؤى الأخرى، فإذا لم يفعل فإن الشك يطوف بعقله خشية إهمال بعض الوقائع التى تناولتها النظريات الأخرى بشكل أفضل» باركر: فلسفة القيمة، ص٣٠.

الجسم البشرى ينتمى للإنسان بدرجة لا تقل عن انتماء أى عضو آخر له، ومنفعة المكتب موجودة فيه وجود أجزاءه، ويرتبط بهذه النظرية القول بأن القيم **«كيفيات للموضوعات من الدرجة الثالثة»** *Tertiary qualities of objeects*. طبيعة ثالثة تضاف للطبيعة الأولى والثانية للكيفيات. وقد تكون بعض القيم فى هذه النظرة دائمة مثل القيمة الجمالية للحن أو القيمة الأخلاقية لموت الشهيد، بينما القيم الأخرى مثل قيمة المنضدة أو الجسم البشرى قد تختفى بتحطم المنضدة أو تقدم عمر الجسم.

ويرى باركر أن هناك جاذبية لهذه النظرية، وهى ترجع لإرادة الفرد لتصديقها وأنها تبدو حقيقة فى بعض الأمثلة الأولية، فعندما نقيم موسيقى باخ. فإن ما يسميه كل فرد قيمتها الظاهرة موجودة فى اللحن نفسه، بمعنى أنها موجودة فى خبرة الموسيقى. وهذا حقيقى بسبب أن الأشكال الحسية غارقة فى الإشباعات. ولا يوجد فارق بين القيمة والإشباعات فكينونتهما فى كونهما مدركين، إلا أن الصعوبات تنشأ بمجرد الابتعاد عن هذا المستوى الأول. ويزعم مشايعوا هذه النظرية أن الموسيقى والجسم البشرى تمتلك قيمتها حتى وإن لم نقيمها، سيقولون أن الموسيقى وجسد الحبيبة يمتلكان قيمة مستقلة عن استمتاعى بالأولى ولذة حبى للثانية، فالجمال ليس فى عين المحب ولكن فى الموضوع ذاته، فالإشباعات ليست هى القيم، لكنها سبل عن طريقها نكتسب معرفة بهذا القيم.

والصعوبات الكامنة فى هذا العرض للنظرية أثنتان: **أولها** أن ليس ثمة دليل أن هذه المشاعر مدركة، **وثانيهما** لا دليل على أن القيم موجودة فى تركيبات مثل أجسام الحيوانات، وان المؤلفات الموسيقية مستقلة عن تجربة المقيم. فلا يستطيع أحد تفسير عدم تذوق بعض الناس لأنماط معينة من الموسيقى أو لأجسام معينة على أساس عدم التبصر. والصعوبة الكبرى التى على هذه النظرية مواجهتها فيما يرى باركر هى «أن تعلمنا بماهية هذه القيم المطلقة[٣٢].

---

(32) De Witt Parker: Philosophy of Value, p.33.

والنظرية الثانيةُ التى يعرض لها هى «وضع القيمة فى الموضوع» *Placing Value in The Object* وهى تختلف عن سابقتها جوهرياً فى اعتبار القيمة جانباً متغير للموضوع اعتماداً على الرغبة *desire* أو الاهتمام، وهى النظرية التى قال بها كل من د. و. برال *D.W. Prall* فى كتابه «دراسة فى نظرية القيمة»، ر. ب. بيرى *R.B. Perry* فى «النظرية العامة للقيمة». يجعل بيرى القيمة «أى موضوع لأى اهتمام» يقول: «إن القيمة ليست سوى علاقة معينة قد تتداخل معها أشياء ذات وضع وجودى سواء كان حقيقياً أو خيالياً» (٣٣) وعند برال «إن مايحب أو يكره فى الموضوع هو قيمته»، و«القيمة هى فى وجود علاقة اهتمام بين ذات وموضوع»(٣٤) القيمة هنا يمكن تحديدها فى ثلاثة أشياء: فهى إما موضوع، أو صفة، أو علاقة. ويردهما باركر إلى اثنين فقط هما: القيمة هى موضوع الاهتمام مقيدة بعلاقتها بالاهتمام، وهى علاقة اهتمام بين ذات وموضوع. والنظرية بأياً من هذين التفسيرين مقبولة لديه طالما أنه تجعل من الاهتمام الأساس اللازم للقيمة بدلاً من مجرد طريق لفهم القيمة كما فى النظرية الأولى، إلا أن هناك صعوبات عديدة فى هذا التعريف.

والصعوبة تأتى من وجهة نظر باركر حين نسأل أنفسنا ما هى الصفة التى ترتبط بموضوع ما عندما يحظى بالاهتمام؟ ويرى أن القيمة لايمكن تحديدها جيداً بأنها صفة تلى موضوعا ما، لأن الاهتمام داخل فيها؛ وذلك بسبب أنه فى كل الحالات التى يكون فيها الموضوع متعالياً عن الذات لايمكن إيجاد مثل هذه القيمة فيه.(٣٥)

ويناقش القيمة فى حالة كونها ليست موضوعاً حقيقياً للاهتمام ولكن موضوعاً احتمالياً. «فالجوهرة التى لها صفاء السماء» - وهى المثال الذى يناقشه باركر - المدفونة فى باطن الأرض لها قيمة: أنها إمكانية لجلب الأشباع،

(33) *R. B. Perry: General Theory of Value, Cambridge, 1926, p. 115,*
(34) *D. W. Prall: A study in The Theory of Value, Uni. of Calif., pp. 215, 27, 254.*
(35) *De Wit Parker: Ibid, p.37.*

ويزعم أن هذه الإمكانية تنتمى لها حتى وإن لم يحفر أحد لاستخراجها والاستمتاع بها. وتلك خاصة للجوهرة لها من الموضوعية والواقعية تماماً ما لصلابتها الحسية أو لجاذبيتها الخاصة، وهما إمكانيتان للتجربة أيضاً برغم أنها تجربة من نوع مختلف. وهذا التصور للقيمة أنها خاصية، يحتل أهمية عند ك. أ. لويس(٣٦) كسبيل للاحتفاظ «بموضوعية القيمة».(٣٧)

وهذه النظرية أيضاً لن تصمد أمام التحليل، وذلك لأن هناك اختلاف جوهرى بين «خصائص القيمة، والخصائص التى تدرس فى العلوم الطبيعية، أى أنها تحت أى ظروف اختبار قياسية تبدو الأولى غير ملحوظة دائماً، أما الأخيرة «الطبيعية» فملحوظة. فإذا تيسرت ظروف الاختيار هذه سيحصل كل فرد على تجارب للخصائص الكيميائية والحسية للجوهرة ،لكن أى فرد لن يجد تحت نفس الظروف أن الجوهرة جميلة. ويوضح لنا باركر ذلك بقوله: «عندما ينشغل الفرد بما يسمى «جمال» الموضوعات التى تقيم فإن الإمكانيات تتركز فى العقل أكثر من تركزها فى الموضوعات، ونحن بتأكيدنا على هذا نؤكد من ناحية أخرى كل ما كان يعنيه أى فرد «بذاتية» الجمال، فكل فرد يدرك أننا لوفرنا عدداً كافياً من «الظروف العقلية» يمكننا التنبؤ بالوجود المحتمل لتجربة جمالية ذات نمط

(36) Ibid, p.37.

(٣٧) ترتبط القيمة عند لويس «ايرفنج كليرنس» ١٨٨٣ ـ ١٩٦٤ فى إطار توجهه البراجماتى أو ما يسمى «البرجماتية التصورية *Conceptualistic Pargmatism*» بالمعرفة من خلال الخبرة والعمل ومن هنا فهو لا ينكر رغم براجماتيته التصورات العقلية، شريطة اخضاعها للتجربة والإفادة العملية منها. فللمعرفة وأسس الصواب والخطأ دورها فى تشكيل جوهر نظريته. حيث يدرس الأخلاقية باعتبارها سلوكاً عملياً مقارنة بالقيم المطلقة عبر ما يطلق عليه «القيمة الاداتية» فالقيمة، وكذلك القيم ترتبط عنده بالعمل. فمصدر معرفة القيمة والحكم عليها وعلى صحتها وصدقها هو التجربة، وبالتالى فهى، «نظريته صورة من صور النزعة الطبيعية» السائدة فى الفكر الفلسفى الأمريكى المعاصر. وفى هذا الإطار قدم لنا لويس عدة كتابات هى «العقل ونظام العالم» ١٩٢٩، «تحليل المعرفة والتقييم» ١٩٤٦ «ارثنا الاجتماعى *Our Sacal inheritance*، ١٩٥٧، راجع عنه: د. هنية مفتاح القماطى: نظرية القيمة عند كليرنس لويس. منشورات جامعة قاريونس، بنى غازى ٢٠٠١، د. حسن حنفى مقدمة فى علم الاستغراب، الدار الفتية، القاهرة، ص٤٤٣، ود. صلاح قنصوة نظرية القيم فى الفكر المعاصر، دار التنوير، بيروت، لبنان ١٩٨٤.

عام لأى فرد. ومع ذلك لانستطيع التنبؤ بالتجربة الجمالية الكاملة بدون اعتبار للعقل الفردى؛ وفى هذا الإطار فإن امكانيات القيمة تختلف اختلافاً جوهرياً عن الامكانيات المادية التى يمكن التعبير عنها دائماً بعبارات مناسبة».(٣٨)

هناك نقطتان أكثر عمقاً ضد تطابق القيمة مع الموضوع؛ إما كشىء فعلى واقعى، أوكشىء محتمل *Patental*. **الأولى** أن القيمة لاتظهر حتى تسكن الرغبة أو تلغيها؛ **والثانية** أن ثمة قيما بلا موضوعات. حيث يرى باركر أن هناك رغبة لشىء ما لايخلق قيمة لا فى الذات كقيمة حقيقية ولا فى الموضوع كما هو الحال فيما يطلق عليه «الرغبة المنسوبة»، فالقيمة إما أن تكون إيجابية أو سلبية إما خير أو شر، لكن مجرد الاهتمام أو الرغبة فى موضوع لايقيم هذا أو ذاك. فالرغبة فى الشىء تضفى عليه قيمة منسوبة، ذلك لأننى أتوقع (بكل أمل) أنه ستكون ملكى؛ أى أنها ستلطف رغبتى قبل الحصول عليها، إذن علىّ املكها خياليا، وهذا الاشباع الخيالى هو قيمتها.(٣٩)

النقطة الثانية المناقضة للقول بأن القيمة هى موضوع الاهتمام أو خاصية تابعة لموضوع الاهتمام، هى الوجود الظاهر للقيم بدون موضوعات، فالرغبات توجه ناحية الموضوعات، إلا أنه فى بعض الحالات غير المعتادة تحدث اشتياقات أو عدم قناعات والتى قد لاتبدو اشتياقا لأى شىء أو اشباعا أو عدم قناعة بأى شىء. فالوجود المحض للاهتمام لايخلق القيمة ومن هنا فهو يفسر قول بيرى وبرال بالاهتمام إنهما يستخدمانه بمعنى ملطف (مسكن) أو ملغى (مبطل) للرغبة.(٤٠)

والنظرية الثالثة التى يناقشها هى نظرية مور(٤١). التى كانت فى نظره مثل

---

(38) *De Wit Parker: Ibid, p.38.*

(39) *Ibid, p.40.*

(40) *Ibid, p.44.*

(٤١) قدم لنا د. محمد مدين فى دراسته «جورج إدوار مور، بحث فى التصورات الأخلاقية» وجهة نظر نقدية فى مؤسس المنهج اللغوى فى دراسة الأخلاق. فمور فى نظره رغم مجهوداته لتحقيق الوضوح والبساطة لم يستطع إضفاء المعقولية على أفكاره ومنهجه =

الكابوس الجاثم على المناقشة الأخلاقية للنصف الثانى للقرن الأخير. وإذا كان البعض يميز بين أفكار مور المبكرة والمتأخرة فإن باركر لاينكر استحسانه لبعض هذه الأفكار المبكرة وهى يعترف بخدمات مور الذى أثار حماسه فلسفية فى مجال كان ينقصه مثل هذا الحماس بشكل واضح (النظرية الأخلاقية).

فالقيمة أو الخير - كما يرى مور - محمول موضوعى، لا واقعى، بسيط، غير قابل للتحديد. ووصف مور الخير بالموضوعية يجعل نظريته مثل ما سبقها من نظريات عرض لها باركر، وبالتالى ينطبق عليها نفس الانتقادات السابقة. أن تميز نظرية مور يظهر فى وصفه للقيمة باللاواقعية، والبساطة، وعدم القابلية للتحديد. ومن مناقشته لنظرية مور، يرى باركر أن القيمة يمكن تحديدها تماما كما هو الحال مع اللون الأصفر، «من وجهة نظرنا أن الخير يمكن تحديده تحليليا كما فى تعريفنا للخير العام بالرغبة الملطفة (المهدئة).[٤٢]

ويعرض بعد ذلك لنظرية رابعة هى نظرية جون ديوى *J.Dewey* التى تربط القيمة بالرغبة أو الحاجة، فبالنسبة لإيجاد القيم من المهم إدراك إعتماد الرغبات على الحاجات؛ لأنه لكى نشبع الرغبات يجب أن نلبى الحاجات، أن الأشباع هو الغاية، وتلبية الاحتياجات ليس إلا وسيلة لتلك الغاية. ويصر ديوى على أن الرغبة والأشباع ليسا نهائيان بمعنى أن كلاهما يقيمان فى ضوء الجهد، تكلفة الوسائل المطلوبة لانجازهما. فالخير الحقيقى أو القيمة كما يخبرنا ديوى تتكون إلى حد ما فى حل الصراعات بين الرغبات لتقودنا إلى تنظيم منسق أو

=بدرجة كافية، فهو من وجهة نظر باحثنا «لم يتأثر بالعلم وجنح نحو التأثر بالاعتبارات الفلسفية، وخاصة تلك التى تنتمى لبيئته. ويرى أنه انحرف بالأخلاق عن موضوعها الأصيل وهو السلوك الإنسانى إلى الاهتمام الطاغى باللغة الأخلاقية. ويرى أنه إذا كان مور اعتبر تصور الخير «أو القيمة» مبدأ أعلى موحد تستخرج منه كل الفلسفة الخلقية فإن هدف د. مدين بيان تهافت هذا التفسير وطرح غيره د. مدين، جورج إدوار مور، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٧٦، ص٦، ١٠.

(42) *De Wit Parker, p.47.*

موحد للأنشطة[٤٣] وأن الغايات بالنظر إليها تقيم بأنها حسنة أو سيئة على أساس ما تقدمه من خدمات فى إتجاه السلوك الذى يعالج أوضاعا إشكالية بسبب ما فيها من نقص أو ما بينها من صراع» [٤٤] وإن كان ذلك يحدث داخل الفرد أوبين الأفراد أو بين الجماعات فيما يرى ديوى فإن باركر يوضح أن هذه الصراعات والتكيفات الاجتماعية فى النهاية تؤدى إلى صراعات وتكيفات داخل الفرد.

وثمة نقطة أخرى فى نظرية ديوى - يشير إليها باركر - وهى اعتقاده بأن الخير بتعريفه على أنه توافق الاهتمامات يمكن الحصول عليه من خلال العلوم الاجتماعية. إلا أن هذا الإيمان بالعلم يوضح إنتماء ديوى للقرن التاسع عشر أكثر من انتمائه للقرن العشرين. فالأخلاق لايمكن أن تتطابق مع أى تنظيم العلوم الاجتماعية، فهناك حدود لاستخدام المنهج لإدراك الخير.[٤٥]

والنظرية الأخيرة التى يناقشها باركر، والتى ترجع تاريخياً إلى تفرقة كانط بين الواجب المطلق، والمشروط، والتى يمثلها عدد من الفلاسفة رغم ما بينهم من اختلافات مثل كل من: ريكرت *Rikert* (١٨٦٣ - ١٩٦٣) وفندلباند *Windel-band*فى ألمانيا وكل من: روس *D. Rass* وأيونج *Eurng* (١٨٩٩ - ١٩٧٣)[٤٦] وإيربان (١٨٧٣ - ١٩٥٢ فى الولايات المتحدة[٤٧]. وهذه النظرية يمكن أن تسمى بنظرية «الحق» حيث ترى أن القيمة لايمكن التعبير عنها بدون استخدام مصطلح واجب، مثل استخدامنا مصطلح «حق»، فالخير ليس هو ما أريده. وليس هو أشباع الرغبة، بل هو ما يجب أن أرغبه، والجمال ليس هو ما استمتع به فى الفن بل ما يجب أن استمتع به. والحقيقة ليست ما أعتقد بل ما ينبغى أن أعتقد.

---

(٤٣) جون ديوى: نظرية التقويم، مطبعة جامعة شيكاغو، ١٩٣٩، ص٤٩، عن باركر، المرجع السابق، ص٤٨.

(٤٤) جون ديوى، ص٤٧.

(45) De Wit Parker, p.51.

(٤٦) راجع عن فلسفة أونج الأخلاقية كتابه المدخل إلى فلسفة الأخلاق ترجمة د. محمد محمد مدين، القاهرة د.ت.و، كتاب د. محمد مدين دراسات أخلاقية: دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٤٧) عن إيربان ونظريته فى القيمة يمكن الرجوع إلى دراستنا عنه وترجمة لبعض نصوصه فى إيربان: نظرية القيمة ونصوص أخرى، دار النصر للنشر والتوزيع، القاهرة ١٩٩٣ والباب السابق من الكتاب الحالى.

ويتوقف باركر أمام صياغة ايونج لهذه النظرية. يزعم ايونج أن مثل هذا التعريف للخير «ما يشبع الرغبة» غير صالح لأنه يمكن انكاره بدون تناقض ذاتى. وأنه لايمكن لأى مجموعة من الاحصائيات الإجابة عن السؤال فيما يتعلق بطبيعة الخير، طالما أن الخير دائماً فردى. وأنه لايمكن اشتقاق الإلزام من الرغبة، لأننى قد اضطر لفعل ما يناقض رغبتى. وثمة نقطة أخرى يثيرها ايونج ضد تفسير الالزام على ضوء الرغبة. ألا وهى إنه بينما يتوقف الالزام على خصائص الموضوعات فإن الرغبة ليست كذلك.

أن إعتبار النفس شيئاً منفصلاً عن الرغبات، والنظر إلى الرغبة منفصلة عن الموضوعات التى تشبعها، هو ما يخشى باركر أن يفهم من كلام ايونج. ويؤكد صاحب المثالية الراديكالية على أن الواجب نوعاً من الرغبة، وذلك فى مناقشة لمفهوم الملائمة *Fittingnes*، والذى يعتبره ايونج الزاما ضمنياً، حيث يؤكد باركر أن الواجب هو التعبير عن حاجة، رغبة وليس شيئاً غير ملائم لها.[٤٨]

ثالثاً : حالات القيمة

لم يكتف باركر بوصف، وتعريف القيمة، وأبعادها المختلفة، وبيان موقفه من النظريات المختلفة التى سادت فى عصره، ولكنه سعى أيضاً إلى التأكيد على حالاتها وأوضاعها *its status* كما يتضح فى الفقرة التالية، وهى مواصلة لبيان موقفه النقدى لجهود فلاسفة القيم الذين قدموا ثلاثة تصورات عن حالات القيمة هى:

١ ـ الموضوعية *Objectivism*

٢ ـ العلائقية *Relationalism*

٣ ـ الذاتية *Subjectivism*

ويمكن القول إن موقف باركر - كما يتضح لنا - إنما هو نوعاً جديداً من الذاتية مدافعاً عنه من خلال سياق النقد الخاص بعدد من النظريات الموضوعية

---

(48) De Wit Parker: Ibid, p.59.

البديلة، تحدد القيمة على أنها إلتزام سامى يتمثل وجودها فى الصدق والثبات *Validity* كما لدى إيربان *W.M. Urban*، أو على أنها خاصية كامنة فى الأشياء كما لدى كل من ج. أ. مور *C. E. Moore* وس. أى. لويس *C. l. Lewis*.

إلا أن نظرية إيربان - من وجهة نظر باركر - تفشل لأنها تفصل بين المعايير، وبين العمليات الفعلية للرغبة. فهى تهمل محايثة القيمة فى الخبرات الفعلية للإشباع، أن معادلة القيمة بالخصائص الكامنة فى الموضوعات إنما هو أمر ناتج عن طريق تعريف القيمة كتخفيف للرغبة، والتصور الذى يقدمه مور عن الخير النوعى اللاطبيعى، واللامعرف، وهو تعريف يحتوى على أخطاء إضافية نظراً لأن القيمة تكون قابلة للتعريف بوضوح، مثل هذه الخبرة من المتعة والقابلية للتعريف تحليلياً مثل تخفيف الرغبة.

أما التصور الذى قدمه س. أ. لويس عن القيمة من حيث هى إمكانية التواجد فى الأشياء لكى تنتج خبرات ذات قيمة كامنة فهو تصور مرفوض؛ لأن ميل باركر للخبرات الجذرية يلغى الامكانية على أساس أنها أسلوب للتواجد غير تجريبى، وعلى أساس أنها سيادة جديدة للمذهب الأرسطى.

وعلى الرغم من أن نظرية باركر يساء تقديمها فى بعض الأحيان على أنها نظرية علائقية *Relationalism* إلا أنه يرفض العلائقية مثلما أنكر الموضوعية. وفى التطور الذى حدث فى النظرية العلائقية نجد أن التعريف الطبيعى الذى قدمه بيرى *Perry* عن القيمة من حيث هى الموضوع الخاص بأى أهتمام قد ساد بشكل واضح وقد أبدى باركر اعتراضات عديدة على ذلك. (٤٩)

أولاً: لأن بعض خبرات القيمة مثل الموسيقى على سبيل المثال، هى خبرات خالية من الموضوع، لدرجة أننا من وقت لآخر نجد أن الهدف من وراء الرغبة لاينطوى على أى موضوع وإنما يوجد كسمة لازمة فى العمليات الذاتية للاستمتاع.

---

(٤٩) راجع الفقرة السابقة، وكذلك مناقشتنا للتفسيرات المختلفة لمفهوم الاهتمام عند بيرى، القيم فى الواقعية الجديدة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، انتقد باركر عقلانية بيرى فى كتابه «فلسفة القيم».

ثانياً: فإن هذه الصيغة - غير الواضحة - للقيمة من حيث هى موضوع الاهتمام تعتبر صيغة زائفة من وجهة نظر باركر، رغم أنها تبدو وكأنه تسد الثغرة بين العالم الداخلى والعالم الخارجى، فما أن يتم تفسيرها، وتوضيحها بدقة حتى تسقط فى جانب أو آخر نظراً لأن النوع الوحيد للعلاقة التى تربط بين موضوع، وإشباع القيمة هى علاقة سببية، وهى علاقة - كما رأينا - تخلو فى حد ذاتها من القيمة.

وهكذا فإن تعريف بيرى للقيمة من حيث موضوع الاهتمام يبرهن وفقاً لما يقوله باركر - على أنه بمثابة منزل فى منتصف الطريق يقع بين الموضوعية والذاتية لايمكن الدفاع عنه، ومن هنا فإن إذا كانت هذه النظرية تعنى أن موضوعات الاهتمام تتضمن بشكل موضوعى الخصائص التى تشبع الاهتمام فإنها تتردى إلى الموضوعية وتصبح عرضة للاعتراضات السابق ذكرها، وإذا كانت تعنى أن الاهتمام يمنح القيمة للموضوع *Object*، عندئذ فإن كلمة «موضوع» الواردة عند بيرى لاتدل على تصور مشابه للموضوع القصدى «المستهدف» *Objective* الذى قال به باركر، كما أنها لاتعنى أن القيمة إشباع لاهتمام يرتبط به الموضوع ارتباطاً سببياً.

والآن إذا كان البديل الأول - وهو مساواة الموضوع *Object* الذى قال به بيرى بالموضوع المستهدف *Objective* الخاص بباركر - هو التحديد المقبول، عندئذ فإن القيمة سوف توجد قبل عملية تحقيقها، وبالتالى يكفى أن يكون هناك اهتمام بالقيمة لكى يتم الاستمتاع بها، ويصبح دور الموضوع المستهدف *Objective* كمرشد للسلوك غير ضرورى. وبالتالى فإن هذه الصيغة تتدهور لتصبح مجرد ذاتية *Subjectivism*، أو يتم إتخاذ البديل الثانى الذى يعرف القيمة بأنها تشبع الاهتمام أو تشبع الرغبة. وهذا يؤدى إلى نموذج الذاتية لدى باركر «فالقيم تنتمى إنتماء كاملاً إلى العالم الداخلى أو عالم الذهن والعقل»(٥٠). إلا أن هذا لايطعن فى صحة المعيار الموجود جزئياً فى كافة القيم، ولايؤدى إلى

---

(50) Human Value, p.20.

تردى القيم، إلى أحداث عرضية تتعلق بالوعى. فالعالم الداخلى فى تجربة القيم يمتد ابتداء من الدافع الأولى للرغبة إلى فهم الموضوع المستهدف من خلال الإدراك الذى تخفف عن طريقه الرغبة إلى الاهتمام التأملى بالأشياء العرضية، إلى النشاط الخاص بإدراك الهدف وأخيراً إلى الإشباع السائد الذى يشتمل على القيمة. والأهم من ذلك إن إرجاع القيم إلى حالة ذاتية لايدل على أنها وقائع فيزيقية فى عالم يتسم باللامبالاة، وربما بالمشاعر العدائية. ولقد أشار باركر إلى وجود تيارين كبيرنين فى تاريخ الفلسفة.

التيار الأول: ينبع من التقليد الذى وصفه كل من: لوقيبوس *Leucippus* (القرن الخامس ق. م) ، وديمقراطيس *Democritus* (٤٦٠ - ٣٦٠ق.م)، ولوكريتس *Lecretius* (٩٩ - ٥٥ ه. م).

التيار الثانى: ينبع من التقليد الذى أرساه سقراط، وأفلاطون، وأرسطو.

وفى حين أن التيار الأولى كان ينظر إلى القيمة على أنها «مظهر عرضى وطارىء تماما من مظاهر الحقيقة»، وكان ينظر إلى العالم على أنه يخلو من القيمة إلى أن تبدأ الحياة والوعى فى الظهور، نجد أن التيار الثانى قد أكد على أن «القيمة هى أمر أساسى بالنسبة للحقيقة، وأن تصور الوجود إذا نظر إليه بمعزل عن القيمة يصبح لامعنى له»[٥١] وتنتمى نظرية باركر إلى التيار الثانى. يقول «أن الأتحاد بين القيمة، والوجود ينتج مباشرة من تصور الوجود من حيث هو نظام للخبرات مع الإدراك فى نفس الوقت أن الاختيار يكون أساساً فى الخبرة[٥٢] ومن ثم فإن الحقيقة أو مادة الموضوعية العلمية، ومبدأ الطبيعة الميتافيزيقية، والمادة الميتافيزيقية هى تجريد ناتج عن الوجود.

---

(51) *Experienceand Substance, p. 292.*
(52) *Ibid., p. 292.*

رابعاً : تعبيرات القيمة والمعرفة

وإذا كانت القيم ذاتية من خلال نظرية باركر، فلا غرابة فى أن تعبيرات القيمة، وهى الوسيلة الوحيدة التى يمكن من خلالها تناول القيم التى يتم الإحساس بها بطريقة خاصة - تتلقى انتباهاً كبيرا. وعندما يضاف الاهتمام الخاص للفيلسوف بنظرية المعرفة فإنه من الطبيعى أن تبزغ أهمية الطابع المعرفى *Cognitive* لتعبيرات القيمة.

وإذا تم معادلة الموضوع المعروف بالموضوع الواقعى بحيث يقتصر توصيل المعلومة على العبارات الوصفية، حيث تحدد العبارات الموضوعات التى يمكن إدراكها فى التحقق العام، عندئذ فإن ذاتية القيمة لاتدع امكانية إحكام القيمة تتحول إلى الطابع المعرفى؛ أى إلى مجال الصدق والكذب، رغم أن القضايا المتعلقة بالقيمة قد تكون متسمة بطابع معرفى. «وعلى الرغم من التشابه فى صيغة قواعد اللغة بين العبارات المتعلقة بالوقائع *Facts* والعبارات المتعلقة بالقيم *Values* فإن ارتباط القيمة بموضوع ما يدل على وجود إشباع ذاتى».(٥٣)

إلا أن تناول عبارات القيمة من حيث هى تقارير عن المشاعر الخاصة فقط يؤدى إلى الخطأ فى فهم دورها. ولكى يوضح باركر ذلك فإنه قد إختار عبارة «أنا أحبك» فهذه العبارة يمكن فهمها على أساس أنها تقرير عن حالة نفسية مع وصف مشاعر الحب من جانب المتكلم إزاء السامع، وبحيث يمكن أن تكون تلك العبارات صادقة أو كاذبة، حيث يتوقف ذلك على ما إذا كان المتكلم يلجأ للكذب أم لا؟ وتعبير «إننى أحبك» هو جزء من عملية تشتمل على الحب والمحب، وحقيقة الأمر: أن حبه يعتبر جزءاً من نفس مستوى التعبير، أو يعتبر جزءاً حقيقياً من المعنى(٥٤) وطبقاً لذلك فإن «عبارات القيمة هى موجهات *Vectarial* للشعور تنتقل إلى وسائل تعبيرية، وهى على هذا النحو لا تعتبر صادقة أو كاذبة.

وقد قسم باركر عبارات القيمة قسمين:

---

(53) Human Values pp. 413-13, The Philosophy of Value, pp. 16 ff.
(54) The Phil, of Value, pp.7576.

- العبارات العاطفية: *Lyrical* والعملية *Practical*، العبارات العاطفية تنقل المشاعر فقط دون أن تهدف إلى العمل، فصيحات التعجب، وتعبيرات الإعلان عن المشاعر، والأحاسيس، والموضوعات الجمالية تعتبر كلها من العبارات العاطفية.

والعبارات العملية تنقل المشاعر أيضاً شأنها فى ذلك شأن العبارات العاطفية، ولكن يقصد بها علاوة على ذلك الحث على العمل أو منع العمل فالأوامر، والتوسلات، والعبارات القانونية، والأخلاقية كلها عبارات عملية. والطابع الإرادى الاختيارى للعبارات الأخلاقية يكون ظاهراً فى وضوح وجلاء فى حالات الصراع الأخلاقى، والمجرم المتمرس قد لايشعر منذ البداية أن السرقة أمر خاطىء، وقد لايحركه أو يؤثر عليه أى وصف للحقائق اللهم إلا إذا أثير من خلال مواعظ ملائمة بحيث يشعر بالتعاطف مع، والعطف على ضحاياه، أو يدرك أن السرقة لاتدعم المصالح الخاصة به. وقد كان باركر يدرك الأساس الاختيارى الإرادى الذى تقوم عليه العبارات الاخلاقية والقانونية، ولذلك نجد أنه قد أحجم عن الرد الطبيعى للأخلاق بحيث تصبح علماً اجتماعياً. وأرجع إيمان جون ديوى *J. Dewey* فى العلم الطبيعى من حيث هو أداة نهائية لمحو الصراع الأخلاقى والشر، إلى عقلانية قديمة معبر عنها بواسطة الحقائق المعاصرة، وأصر على أن الأخلاق ليست مسألة معرفة فقط. فالعالم المشترك هو نتاج رغبات الناس، وهى رغبات تتصادم رغم تراكم المعرفة، وهى رغبات يمكن أن تتوافق - وإن كانت لاتتوافق تماماً على الإطلاق - من خلال فعالية الحب.

ولذلك فإن نظرية باركر عن تعبيرات القيمة ذات صلة واضحة بالاتجاه اللاإدراكى والمدرسة الانفعالية فى القيم (٥٥). ولكنها تمتاز عنها فى نواحى ثلاثة هامة:

---

(٥٥) انظر كتاب فيليب بلير رايس: فى معرفتنا بالخير والشر، ترجمة عثمان عيسى شاهين، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ت.

بداية فإن فى مقابل كل خبرة إنما يوجد واحد أو أكثر من القضايا الشرطية التنبؤية والتجريبية والتى تحدد الخصائص الفيزيقية للموضوعات التى تنتج الاشباعات بطريقة سببية. والعلاقة المتبادلة بين عبارات القيمة والعبارات الفعلية والتى تؤدى إلى «التشويش والاختلاط بين هذين النوعين» تظهر لنا فى نفس الوقت أن القيم لاتتواجد فى مجال افتراضى من تلقاء نفسها، وإنما يكون لها وجود راسخ فى عالم الحقائق، وفى الرغبات المتواجدة والظروف السائدة الخاصة بتحقيقها.

وثانياً نجد أن باركر قد سلم بوجود عنصر إدراكى فى تعبيرات القيمة، فالتعبير قد يحتوى على معرفة النفس، ولكنها معرفة من خلال التعرف وليس معرفة من خلال الوصف. وفى المعرفة بالتعرف فإن ما هو معروف يعتبر ما هو حاضر بالنسبة للتصورات التى تعرفه.

ويصور لنا الفن على وجه الدقة الربط بين المعرفة والشعور فى التعبير. وموضوعات الفن هى موضوعات بديلة عن الإشباع الخلاق للرغبات التى تتجاوز ما يمكن إشباعه فى الحياة الفعلية. إلا أنها ليست على غرار الأساليب الأخرى الخاصة بالإشباع الخلاق للرغبة ـ الحلم واللعب ـ فإن الفن هو تعبير يعمل على توضيح وإضفاء الطابع الاجتماعى للشعور الخاص وتحويله إلى حلم لكل البشر مع إيقاف الرغبة المفرطة.

ونظراً لأنه لايوجد أى شىء فى العالم أكثر جمالاً من الجسد الإنسانى الذى يعبر عن الإشباع الموعود لرغبات إنسانية لا حصر لها. فإن باركر يرى أن استغراق الفنانين فى التعبير عنه هو أمر قابل للفهم والإدراك.(٥٦)

لكن إذا كانت لوحة المستحمين فى الماء والتى رسمها رينوار *Renoir* تشبع من خلال الخيال رغبات إشباع اللعب الجنسى *erotic Play* فما هى الرغبة التى تشبع من تمثال الغانية العجوز *Courtesam Old* الذى صنعه رودن

(56) Parker: Human Value, p.245.

Rodin(٥٧) إجابة باركر على هذا التساؤل لاتوسع فقط من تصور الإشباع الخلاق الذى يقدمه الفن، وإنما تلقى الضوء أيضاً على الدور الإدراكى المعرفى والتعبيرات العاطفية الانفعالية، فتقديم القبح والآلام أو الشرور من خلال الفن يلبى احتياجات ديونيسوسيه *Dionysian*، وشهوانية، أخلاقية، ومعرفية لدى الإنسان، فهو يلبى رغبات ديونيسوسيه تتعلق بالشبق، أو الرغبة الجنسية القوية، والكراهية، والقسوة فى داخل نطاق الخيال، وبدون التدفق إلى عالم الحياة الحقيقية. وهو من خلال ذلك يلبى الاحتياج الأخلاقى نحو تطهير الإنسان من هذه الدوافع الزائفة الدينية، من خلال إخضاعهم لسيادة الشكل الذى يتضمنه الفن، وهو التهكم *Satire* الذى يحث الرجال للقيام بالإصلاح الأخلاقى. ولكن لا الاستغراق الخالى من الضرر والخاص بالدوافع الدينية، ولا الحماس الأخلاقى نحو الإصلاح يفسر لنا السبب فى تواجد التعبير عن الشر فى الموضوعات الفنية مثل تمثال رودن أو التراجيديات الكبرى.

فالمبرر هنا هو التعبير الأخلاقى الذى يحصل عليه الإنسان من خلال الفن(٥٨) فالإنسان لديه حاجة ملحة نحو التوصل إلى فهم ما معين مع نفسه فيما يتعلق بالحياة بوجه عام، وخاصة فيما يتعلق بعنصر يعتبر أكثر العناصر إثارة للحيرة والارتباك، ألا وهو عنصر الشر. فالإنسان ينبغى عليه أن يواجه الحقائق كل الحقائق، ويعثر على وسيلة تعينه على الحياة فى سلام مع هذه الحقائق ومع نفسه.

وثالثا: فإن الطابع المعرفى لتعبيرات القيمة مرتبط بنظرية المعرفة كلها، لأن المعرفة فى ذاتها بمثابة قيمة تشبع رغبة. فهى تلقى الضوء على العمل من خلال خطة تتوقع سلسلة من الأعمال والأحداث، التى تعتبر ضرورية من أجل تحقيق هدف. ونجاحها يمهد السبيل أمام توافقها مع الموقف الموضوعى. وعلى الرغم

---

(٥٧) انظر دراسة. د. زكريا إبراهيم عن «رودان: رائد فن النحت والحديث» فى كتابه «الإنسان والفنان»، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٧٣، ص١٦٤ ـ ١٧٨.

(٥٨) راجع دراسة باركر «الاستطيقا» فى كتاب الفلسفة الأمريكية المعاصرة فى القسم الثانى من الباب الحالى.

من أن المعرفة تقدم العون وتدعم رغبات الإنسان المتنوعة إلا أنها لايمكن أن تؤدى مهمتها إلا إذا تجنب التفكير الذى يؤثر التقييم الواقعى للموقف الموضوعى، ومن ثم فإن توجد رغبة تتلاءم وتتساوى مع الرغبات أخرى(٥٩) وبهذا المعنى فإن لايمكن أن يكون هناك على الاطلاق صراع بين الرغبة والعقل، لأن العقل فى حد ذاته هو رغبة».(٦٠)

وكما أن الوقائع قد ينظر إليها على أنها نوع من التجريد فإنه أحكام الواقع - وهى معرفة بالمعنى العلمى المحدد - لاغنى عنها من أجل تحقيق فهم واضح للشبكة الكلية للعلاقات السببية الكامنة داخل الوجود المشبع بالقيمة.

خامساً : ميتافيزيقا الخبرة

إن فلسفة القيم لدى باركر مرتبطة أشد الارتباط بالميتافيزيقا، فهى تعتمد منذ البداية على افتراضات مسبقة لها طابع ميتافيزيقى، فالميتافيزيقا التى تتعمق الخبرات الخاصة المحددة تكشف عن أشكال نوعية أو مقولات كلية مثل: المادة، السببية، العلاقة، والزمن. ووجود هذه المقولات فى فلسفة القيم كان واضحاً لدى باركر كما أشرنا منذ البداية.

ولايتوقف تناول نظرية القيمة على نظرية ميتافيزيقية للعلاقة بين الكلى والخاص، ونجد أن وصف خبرات القيمة القائمة على السمات الجوهرية وأبعاد القيمة يستفيد من التصورات النوعية التى تبحثها وتفسرها الميتافيزيقا. ولكى يتم الاستمتاع بالقيم فإن القيم ينبغى أن تبقى وتدوم لبعض الوقت، وأن تظهر البعد الخاص بالتوافق، ومن ثم فإن الميتافيزيقا المقبولة تفترض وجود نظرية للزمان تسمح للحظة الماضية بأن تحدث أصداء فى اللحظات التالية لها. وتفترض وجود نظرية للعلاقات تحدث توفقاً بين حقيقتها المتساوية والمصطلحات المتعلقة بها. وعلاوة على ذلك فإن الحقيقة التى تقول أن

---

(59) Human Values, p. 254.
(60) Ibid., p. 255.

الموضوعات التكميلية تحدث إشباعات تضفى أهمية على السببية، والسببية هى مقولة ميتافيزيقية تتطلب تفسيراً يتفق والمذهب الحيوى إذا ما كان هناك ضمان لذاتية القيم لأنها تفترض أن سببية الأصل الخارجى تتدعم من خلال رغبات البشر وكيانات مشابهة لذات المرء وتوجه نحو اشباعات القيمة. وأخيراً فإن تعريف القيمة من حيث هى إشباع الرغبة يتوقف على ميتافيزيقا الذات.

وثانياً: فإن فلسفة القيم عند باركر تبلغ ذروتها فى الميتافيزيقا من حيث أنه توحى بنتائج محددة عن طبيعة العالم. فعلى الرغم من أن الافتراضات العلمية الكوزمولوجية كان يفترض الوصول إليها على نحو مستقل عن اعتبارات القيمة، إلا أن الترابط المنطقى لكل من المظهرين اللذين يتعلقان بفلسفته يعطى تأكيداً بالتعاون بينهما. وعلى الرغم من ذلك فإن حقيقة القيم التى تعرف على أنها إشباع الرغبات تظهر بوضوح نوعاً من العالم تتواجد فيه الذوات مع الرغبات.

وخلاصة القول، تظهر القيم نوعاً من العالم يكون عرضة للتفسير الروحانى. من حيث هو أسلوب للتجربة علاوة على الإدراك بأن الإرادة أساسية فى الخبرة.

إن الميتافيزيقا لدى باركر هى ميتافيزيقا الخبرة. فهو يرى أن وجودك فى أن تدخل خبرة، أن تصبح جزء من خبرة(٦١) ومن ثم فإن الخبرة عند باركر لايمكن أن تكون حادثاً لمادة خام، أو نتاجاً لصيرورة الحياة عند مرحلة متقدمة من التطور البيولوجى، أو مادة شفافة لديمومة هشة، أو بريق لا لزوم له للفراغ المحيط بنا. على العكس من ذلك، فالخبرة بمثابة جوهر، ولكن قبل بيان معادلة الخبرة مع الجوهر فإن باركر قدم لنا وصفاً أولياً أظهر فيه بوضوح نظرية جديدة تتعلق بالذات، وهى نظرية نابعة من فلسفة القيم، أو تفترضها وتشير إليها فلسفة القيم، ووفقاً لما قاله باركر فإن كلمة «خبرة» كلمة عامة مثل كلمة

---

(61) Experience and substance, p. 48.

«ماء» وكما أننا لانقول الماء يتواجد، وإنما نقول هذه البحيرة تتواجد، أو هذا الماء الذى يملأ الكوب يتواجد، فكذلك الحال بالنسبة للخبرة فأننا لا نقول الخبرة تتوجد، وإنما نقول أن هذا المركز أو ذلك من الخبرة يتواجد ولذلك فإن أول شىء جدير بالملاحظة فيما يتعلق بالخبرة هو التمركزية. إن الخبرة كما يقول باركر تنقسم إلى وحدات «كلية» واضحة من الخبرة *Distinct Wholes* (٦٢) فلا توجد عملية إضافية بين الوحدات الكاملة للخبرة. ومراكز الخبرة والتى تسمى «كل» أو «كليات» *Wholes* أو «موناد»، هى مراكز تشبه الدوائر غير المتحدة المركز ولا المتداخلة إطلاقاً، ولا تستقر الواحدة منها فى الأخرى لكنها قد تكون متعدية أو متماسة(٦٣) ومن هنا فإن تمركز الخبرة يتماثل مع تمركز الأنا. والمفتاح الذى يعين على الفهم الصحيح للخبرة هو الذات المنفردة، والأنا الفريدة التى تشتمل على قلب كل مركز للخبرة.

واهتمام باركر بطبيعة «الذات» يرجع إلى الدراسة التى كتبها فى الميتافيزيقا تحت عنوان «الذات والطبيعة»، وتمسكه بالنتائج السابقة يعتبر أمراً واضحاً من حيث تناوله للكليات التجريبية. فهذه الكليات تنقسم إلى أنشطة ومحسات *Sensa*(٦٤) والمحسات هى عوامل الخبرة التى تتعدى، وتماس الوعى مع بيئة الخبرة هو تزامن المحسات، يقول باركر: «أن الإدراك الحسى هو الاتصال مع واقع خارجى مغاير - غريب ملفوف بالصدفة المحيرة بما فيها من ارتباك(٦٥). وفى قلب كل مركز من مراكز الخبرة توجد مجموعة من الأنشطة تدل على الذات، ولاتوجد ذات بمعزل عن الأنشطة، والتعبير هو أحد أنواع الأنشطة، والمثال على ذلك أن «إعطاء المعنى» للادراك الحسى. وفقاً لما قاله باركر - هو لغة طبيعية لها محسات عادية تحل محل الكلمات. وهناك نوع آخر من النشاط

---

(62) Ibid., p. 26.

(63) Ibid., p. 27.

(٦٤) راجع تعريف د. أبوالعلا عفيفى فى ترجمته لكتاب وولف فلسفة المحدثين والمعاصرين، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ص١٩٩.

(65) Parker: Self and Nature, p.54.

وهو التصور. وتأثيره يتمثل فى توسيع الخبرة بطريقة تبادلية وذلك من خلال تقديم كيانات غائبة كما لو كانت موجودة، وتقديم كيانات حاضرة كما لو كانت غائبة.

والنوع الثالث من النشاط - بعد الحس والتعبير - هو الإرادة *Volition* أو إرشاد الخبرة من الدخل من خلال هدف مقصود. وتعبير الإرادة هو أهم أنواع النشاط الثلاثة. فجميع الأعمال هى أعمال تتعلق بالإرادة. وهكذا نرى أن وصف باركر للخبرة يميز بين وجود المراكز أو الكليات، ويعزل الأحاسيس عن الأنشطة فى داخل كل «كل»، ثم يضع هذه الأحاسيس تحت سيطرة المراكز الخارجية للتحكم المضاد، وبعدئذ يحدد الذات من حيث هى المركز للأنشطة، وأخيراً يضع الأساس لكافة الأنشطة، ويجعله متمثلاً فى الإرادة، ومن هنا يمكن القول أن ميتافيزيقا الخبرة هى الميتافيزيقا الإرادية *Voluntorism*.

وينبغى النظر إلى الوجود على أنه أشخاص يتسمون بالتصلب والعناد، وأن إرادتهم لاتعى قدراً كافياً من الاستقرار اللهم إلا إذا كان فاعلى الرغبة يهدفون إلى ما هو أكثر من مجرد إشباع النزوات العابرة. ولقد سعى باركر من خلال منهجه إلى ترسيخ مذهب الإرادة؛ وذلك من خلال التمييز بين الذات المتجهة للداخل، أو المركز *Focal Self* وسنسميها الذات - المركز، والذات الترابطية، التى تدخل فى علاقات مع غيرها، أو الذات المتجهة للخارج «الذات - الإطار» *Matrix Self*، فالأولى حدث يذهب ويجىء أوسلسلة من الأحداث تومض إلى داخل الوجود وخارجه، أو بمثابة مجموعة من الأنشطة الحاضرة فى آن واحد *Compresent* فى حالة من النشاط الفعلى. إلا أن الذوات - المركز، لاتنشأ عن فراغ وإنما تظهر على أرضية أكثر استقرار من الذوات - الإطار، ذاتها. وأية علاقات مفهومة وواضحة تتواجد فى داخلها فإنها تستقيها من الذات - الإطار التى خرجت منها، ويمكن القول أن باركر لم يكن يهدف إلى تقسيم الذات إلى: الذات الإطار وكيانات عديدة من الذات، إذ لاتوجد سوى ذات واحدة، أما الذات - المركز، والذات الإطار فهما وجهان لحقيقة واحدة. والذات الإطار لها دلالة

وأهمية أعمق حيث تستمر بما له من نشاط داخلى أو مركزى يقوم بحملها على الاستمرار. والذات ـ الإطار هى الذات الجوهرية التى تحافظ على وحدة المعنى الذى يشكل إتصال لكل ذات داخلية، تقيم الاستقرار والاستمرارية. فالذات الإطار هى فى حقيقة الأمر بمثابة «خطة الحياة» التى يتوقف عليها تنظيم ونقد القيم بشكل أساسى.

لقد دافع باركر عن ميتافيزيقا الخبرة من حيث هى جوهر، وذلك بإظهار أن الخبرة تواجه المعايير الأربعة الخاصة بـ «الحقيقة الجوهرية» *Substantialuty* التى نشأت وتطورت فى تاريخ الفلسفة.(٦٦)

إن الدليل على أن الخبرة ذاتية، إنما يفترض أن معنى أن (توجد) هو أن تكون موضوع أو محمول. وأن التمييز بين الموضوع والمحمول يدل على عوامل فريدة لاتقبل التكرار آتية من عوامل أصلية متداولة تخص الوجود. للتأكيد على أن الجوهر ذات مطلقة.. يعنى أن هناك عوامل فى الوجود تتسم بأنها فريدة أو منفردة. ومن ثم ففى حين أن الجواهر قد تسمى بأسماء علم، ويتم وصفها نسبياً إلا أنه لايمكن أن يتم وصفها على نحو كاف أو ملائم. ومن ثم يتضح لنا وفقاً لما يقول باركر أن المونادة *monad* الفردية التى هى أنا، كذلك الأحداث الخاصة المعينة التى أمر بها وأخبرها هى أمور متفردة فريدة، لأنه بينما نسمع أنا وأنت نفس الأغنية فإن الأحداث المحددة الخاصة بالاستماع للأغنية التى تحدث داخل كيانك وداخل كيانى هى أحداث متفردة تماماً، وبذلك تكون موضوع وليست محمول. وكذلك نجد أن المراكز المتفردة للخبرة فريدة، وبالتالى فهى موضوع «لأنه لو كان هناك - فرضاً - شخص ما يشبهنى تماماً - رغم أن ذلك مشكوك فيه - فإنه لايمكن أن تكون هناك نسخ أخرى طبق الأصل من كيانى أنا، لايمكن أن تكون أنا آخر لى».(٦٧)

والخبرة ثانياً تكون مستقلة، من حيث أن الاستقلال هنا يعنى الوجود.

---

(66) *Experience and Sulbstance, p.49.*
(67) *Ibid, p.55.*

الذاتى. بمعنى أنه وجود لايركز على وجود أشياء أخرى، وعلى النحو الذى ترتكز فيه علاقات الوجود على وجود الأفراد. وعلى الرغم من أن باركر قد اعترف أن الاستقلال هنا يعنى عدم وجود التحديد السببى من الخارج.

وإذا كان لنا أن نرى الخبرة مباشرة من الداخل مغفلين ما قد نعرفه عنها، وذلك من خلال علاقاتها القابلة للاكتشاف بإزاء الأشياء الأخرى، فإنها لاتفصح عن نفسها بوصفها ترتكز أساساً على أى شىء آخر ما عدا نفسها أما بوصفها موناد كلية أو مكوناتها الخاصة بها، أن الخبرة إنما تتأتى لنا لإقرار علاقة، كما هو الحال فى الصفة. وذلك إنما يقتضى أن تعتمد مادة أساسية، ولكن نوع أو فئة الهوية، هو الذى يقوم بذاته. إن الاعتماد الذاتى الوحيد الذى تكشف عنه الموناد هوالاعتماد على مونادات أخرى، اعتماد اجتماعى كاعتماد الأنا على الأنت، وكاعتماد الأنت على الأنا، تلك الدائرة التامة الخاصة بالموناد لاتظهر بوصفها معتمدة على أى شىء معروف بأنه مختلف من حيث النوعية عن الخبرة.

والخبرة تقابل الصفة الثالثة للمادة التى تسمى الفاعلية السببية *Causal Efficacy*، فالفاعلية السببية تكمل الاستقلال، فبينما التحديد الداخلى يكفى الاستقلال نجد أن التحديد الخارجى للأحداث خارج الذات يعتبر أساسياً بالنسبة للفاعلية السببية. وهذا يعنى أن باركر قد وضع الفاعلية السببية داخل الخبرة فى فئتين رئيسيتين من الأحداث:

- أحداث داخل الذات «الموناد» تتحدد من خلال شىء ما موجود فى «الموناد» نفسها.

- وأحداث فى ذات «موناد» واحدة تتحدد من خلال شىء ما موجود فى ذات أخرى.

وفى نطاق الوعى، يكون المرء واعياً بما مضى، وما سيجىء من أحداث، والتى تعرض على أساس من خبرة لها طبيعة الخبرة الدائمة نسبياً على نحو وكأنها تشبع هدفها أو مقصدها. ففى كل مرحلة من الخبرة تجد دائما عاملاً نسبياً يولد الأحداث فى نطاق الخبرة التى تشبع مقصدها. وبالنسبة للتحديد

الخارجى فإن بعد الأحداث الموجودة داخل وعى واحد يمكن تفسيرها فقط من خلال الرجوع إلى الخبرات الأخرى. عندما أصغى إلى خطيب مثير للعواطف، أو إلى موسيقار خلاق موهوب، فإننى أمر بخبرة استماع لأصوات لايمكن لأى إرادة من جانبى أن تنتجها. وكل اتصال إذا كان على مستوى منخفض يكون له نفس الطبيعة: عملية خلاقة تبدأ عقل واحد ومع ذلك يكون لها تأثيرات فى عقل آخر تتم فى داخله فهم لهذه العملية الخلاقة.

وأخيراً فإن الخبرة تمتلك الخاصية الرابعة للجوهر ألا وهى النزوع إلى البقاء خلال الزمن. وهذا المعيار لايتطلب أن تكون الجواهر خالدة، كل ما يمكننا أن نطالب به هو أن الجوهر ينبغى أن يستمر من خلال سلسلة من الأحداث المتتابعة.

والخبرة تواجه هذه الخاصية، فالخبرة تشمل أولاً على قضايا كلية تحدث فى أزمنة مختلفة وأماكن مختلفة، وهذه القضايا الكلية هى ملامح تقليدية للخبرة. وثانياً: أن الخبرة تحفظ من خلال الذات الترابطية «الذات - الإطار» *Matrix Self*. وهذه الذات ليس لها وجود مستقل عن مجرى الخبرة، ولايمكن أن تتضمن فى أى مركز آخر، ومن ثم فهى ليست كلية، ولكنها بمثابة طبقة عميقة من الوجود الفردى داخل النبض المستمر للخبرة.(٦٨)

لقد توصل باركر إلى أن الخبرة لاتدرك على أنها سلسلة من الكيانات المنفصلة، وإنما تدرك على أنها عملية من التعاظم والنمو العضوى حول قلب مركزى يظل غير متغير نسبياً، وهو الجوهر. وبسبب طريقة باركر فى وصف الخبرة فهو على الرغم من أن ميتافيزيقاه مرتكزة على الخبرة إلا أنها ليست ميتافيزيقا الظواهر ولاميتافيزيقا الشك، وإنما هى ميتافيزيقا الموناد الروحانية التى تميل نحو تحقيق القيم.

ولذلك فإنه من خلال فلسفة الذات «الموناد» نجد أن هذه المثالية تفترض أن الذوات لاتوجد فى عزلة مطلقة، وإنما هى متعددية لكى تشكل مناطق من

---

(68) Ibid, p.68.

التعاون، أو مكان للصراعات المحبطة. فالحقيقة كلها هى عملية ديناميكية تنتج تعاونياً عن طريق رغبات المونادات، فالوجود هو أمر ثانى للعمل هو أداة الرغبة.

سادساً : النسق المطلق *The Omaega System*

لقد كشف البحث الفلسفى داخل الوعى الفردى عن الذاتية، التى توجد داخل نسق المونادات، ذات العلاقات المتداخلة. وقد أظهر العلم وجود مستويات مختلفة للخبرة: الخبرة الاجتماعية، التى تعتمد على الخبرة النفسية، والخبرة النفسية التى تعتمد على الخبرة البيولوجية والخبرة البيولوجية تعتمد على الخبرة الفيزيقية، وتعتمد الخبرة الفيزيقية التى ترى بالعين المجردة على الخبرة الفيزيقية التى لاترى بالعين المجردة. وكل مستوى من حيث شكله الخاص، ومن حيث الوجود الخاص به، يتحدد من خلال المستوى الأدنى منه، باستثناء المستوى النهائى، الذى لايتقرر عن طريق أى شىء أدنى منه، والذى يطلق عليه باركر اسم النسق المطلق *Omega System*.(٦٩)

والنسق المطلق باق فى مجالين فعلى العكس من التغير العارض لكافة الأشياء، والحيوات وأنظمة الأفكار فان النظام المطلق للعالم الفيزيقى يعتبر نوعاً من الوجود الذى لايعرف عنه التغير العارض.

أولا : لأن الاعتبارات الجدلية تؤكد أن النسق المطلق هو نسق أبدى دائم، ولايمكن القول أنه كان له بداية، طالما أنه عندما وجد كان معادلا للنسق المطلق، ولايمكن له أن يتغير، لأن التغير يفترض مقدماً إلحاح شىء مالا يتغير، وفى هذه الحالة فإن النسق المطلق هو وجود أبدى موجود فى كل لحظات الزمن.(٧٠)

ثانياً : نجد أن الطابع الخالد للنسق المطلق يتكشف أيضاً فى العلاقة بالافتراضات التاريخية، والحقيقة الخاصة بكافة الافتراضات، وطالما أن الأحداث التى تقوم من خلال الافتراضات التاريخية هى أحداث ماضية ولم يعد

---

(69) Ibid, p.320.
(70) Ibid, p.321.

لها وجود، فإن الافتراضات ينبغى أن تتواجد فى النسق المطلق «ينبغى على النسق المطلق» أن يحمل الآثار العميقة الخاصة بكل حدث من الأحداث.(٧١)

واعتماد الوعى الإنسانى على المستويات الدنيا من الوجود يعتبر أمراً متوافقاً مع التفسير الروحانى للكون، وذلك لأن النسق المطلق مصاغ فى مصطلحات روحية. فالنسق المطلق لدى باركر هو البديل عن مذهب الطبيعة التطورى Evolutionary Naturalism ومذهب المادية الطفرية *Emergent Materialism*. يقول باركر: «إن السيطرة على النسق المطلق تتم بمعرفة إرادة مفردة أو مشيئة واحدة.(٧٢)

وكما أن كل الأنشطة داخل ذات واحد (موناد) تتبع من إرادات هذه الذات (الموناد)، ومن رغباته فى الإشباع، كذلك فإن كل التغيرات التى تحدث فى العالم الطبيعى، وتلك التى تتقرر من مستوى أقل وأدنى، فإنها ترجع إلى الإشباعات فى النسق المطلق، والتى يتم السعى إليها بمعرفة إرادة من نفس تركيب إرادة الإنسان على الأقل، وإحكام السيطرة على كافة مستويات الرغبة يعتبر هو النسق المطلق الذى تتقرر خططه البعيدة المدى لكافة الأحداث التى ستجيىء بمعرفة قوانين الطبيعة. وهذا النسق المطلق هو المرادف الكوزمولوجى لكلمة الله God ، ولكنه إله جوهرى كامن له نفس المثل التى لدينا.

ومن وجهة نظر النسق المطلق فإنه يمكن تبرير حقيقة الموت، وهى الحقيقة المزعجة بالنسبة لفلسفة تعرف القيمة على أنها إشباع، ولكنها ترفض الاستسلام للتشاؤم، وبينما المونادات الجديدة تحتاج لفرص جديدة، وقوى جديدة فى إشباع رغبة العالم الفيزيقى نجد أن مونادات أخرى تهلك. ومع ذلك فإن باركر لم يقتنع أبداً بأن الشر فى العالم يمكن تفسيره بسهوله. ولقد اعترف قائلاً: «باستطاعتنا أن نعثر على جذور الشر وليس تبرير الشر».(٧٣)

---

(71) Ibid, p.324.
(72) Ibid, p.431.
(73) Self and Nature, p.312.

إنَ الدين ينشأ عن وعى الإنسان بالشر، والدين متأصل فى رغبة الإنسان واهتماماته بالبقاء على قيد الحياة يقول باركر فى كتابه «القيم الإنسانية»: «إن التشاؤم هو الخلفية لكل دين»[٧٤] والدين يعوض على نحو بارع الهزيمة، والتحرر من الوهم، رغم أنه يتطلب بالإضافة إلىَ الخيال إيماناً يقترب من ذلك النوع من الاعتقاد الملائم للعالم الحقيقى. وتفرد الدين هو فى أنه يمثل جهداً من أجل الجمع بين عالمين اثنين هما: عالم الواقع وعالم الخيال. ورغم أن الدين يعترف بوجود الشر إلا أنه يساند على نحو فعال دوافع الإنسان للعيش فى مواجهة اليأس، فالدين قد أعطى الإنسان شيئاً ما له قيمة كبيرة فى الكفاح من أجل الوجود، وذلك على نحو أكثر من أية انتصارات فردية.

وبذلك يكون الدين نوعاً من الاعتقاد الذى يتقرر من خلال القيمة. فطالما أن التفسير الخيالى للحقيقة، بمقاييس الرغبة هو أمر مطلوب من أجل تزويد الناس بالثقة اللازمة لمواصلة الحياة فى هدوء، فإنه سوف يوجد، فالعقيدة سوف تظهر ـ فى مواجهة كل شكل من أشكال المذهب الطبيعى - تواجد قيمة سامية يسهم فيها كل أولئك الذين يعملون فى مجال الحب، فالتوافق التراجيدى الذى قد يحققه الإنسان فى حياته الخاصة من خلال الإيمان سيرجعه ثانية إلى الكون.

إن وصف باركر للنسق المطلق كما جاء فى كتابه «الخبرة والجوهر»، هو الخطة التى قدمها عن النظرية اللاهوتية، التى يمكن تبريرها عن طريق مذهب تجريبى راديكالى ممتد عبر الخيال، وباركر لم ينكر وجود الشر، بل أنه حدد جذور الشر على أنها موجودة فى قلب النسق المطلق. فمثلاً نجد أن رغبات النسق تتفكك وتنفصل لكى تتحدد داخل المونادات (الذوات) المتناهية التى تملأ العالم، كذلك فإن هذه الرغبات تكون منذ البداية متنافرة. ومن ثم فإن الإله يكون مسئولا عن الشر. فالمادة الأساسية للعالم كانت ذات يوم جزء من الإله. وتكمن داخلها المنافسة والتنافر اللذان هما جذور الشر، وقد نصحنا باركر بعدم اليأس والكفاح الأخلاقى الشاق فى العملية الخلاقة التى تعطى لنا الفرصة لتحقيق النصر، والحب، والجمال، والفضيلة.

---

(74) Human Value, p.360.

لقد وضع باركر فلسفته فى القيم وهو مدرك تماما للأسس الميتافيزيقية الخاصة بها. وفلسفته فلسفة إنسانية تشتمل على نظرية فى القيم تتسم بالطابع الطبيعى. وترتكز على ميتافيزيقا المذهب المثالى للموناد. ولقد حدد باركر، شأنه فى ذلك شأن الفلاسفة الطبيعيين - مفهوم القيم من خلال إشباعات الرغبة. وتتبع أصل القيم ابتداء من الاحتياجات العضوية الأساسية، وقدم لنا نظرية عن استمرارية القيم البيولوجية، والأخلاقية، والجمالية، والمعرفية، والدينية مما أتاح الفرصة لتكوين نظرية عامة للقيم ذات خصائص واضحة فى كل هذه المجالات وذهب باركر - شأنه فى ذلك شأن الانفعاليين الذين جاءوا فيما بعد فى أعقاب الطبيعيين - إلى أن تعبيرات القيمة هى بالدرجة الأولى تعبيرات غير إدراكية حيث تعبر عن المشاعر والأحاسيس الخاصة، وتهدف إلى إثارة مشاعر متوافقة مع الآخرين. ومن هنا نرى أنه كان يشك فى كفاءة المناهج العقلانية العلمية فى مجال القيم، وهو بالطبع لم يتجاهل العنصر المعيارى للقيمة، ولكنه على العكس من ذلك أشار إلى أن كل إشباع ينطوى على بعد معيارى يستقر من خلال وضعه والتحامه مع النسق الأساسى للرغبات التى تحدد الذات. وطبقا لذلك فإن المناهج العقلانية لا تنفذ إلى قلب الصراع الأخلاقى والشر.

وإذا كان باركر يدرك العالم من حيث هو نظام لذوات (مونادات) بحيث يرغب كل موناد فى تحقيق الإشباعات الخاصة به، وبحيث تكون إشباعات البعض بمثابة إحباطات لآخرين، والخير والشر متداخلان، والحب يخفف الأذى من خلال تمكين الفرد من العثور على قيمة فى إشباعات الآخرين، والحب هو القدرة العملية الرئيسية للإنسان على الصمود ضد اليأس الذى يكتنف والشر الذى يهدد الإنسان. والفلسفة أيضا تسهم فى ذلك، فالمعرفة النظرية للنسق المطلق؛ والذى يفسر على أنه الإرادة الإلهية؛ التى هى أساس للعالم الفيزيقى ربما تضمن رجحان كفة الخير على الشر، إلا أن باركر على الرغم من ذلك لن يتخل عن اعتقاده بأن العالم لم يشتمل على شرور لا يمكن التغلب عليها.

والفن فى أسمى لحظاته يجعل من الممكن للإنسان أن يوجه الشر، كما أن

الدين يزيد إيمان الناس فى انتصار الخير رغم المظاهر الخداعة للأشياء، وفى النهاية فإن الحياة الإنسانية هى التوافق، الذى وصفه باركر بأنه توافق تراجيدى. لقد ذهب باركر إلى أن الهدف النهائى للإنسان هو نوع من التوافق، فليست التوافق الخاص بتسامى الرغبات، ولا التوافق الخاص بالتكامل بين الرغبات يمثلان «التوافق الأعلى» رغم أن كليهما يصنفان على أنهما وسائل ثانوية لفاعلية محدودة، فالتسامى وحده يفشل، لأنه لايستطيع أن يزيل الرغبات الدنيا بدون أن يزيل البناء الكامل للوجود الإنسانى. وعلى الرغم من الاعتراف بأن الحياة الخيرة هى الحياة السعيدة المتكاملة، فإن التكامل لايكفى نظراً لأنه لايدخل فى الحسبان الحالة الإنسانية فى عالم يتداخل فيه الخير والشر. فالحياة الخيرة تسود من خلال الصراع والمعاناة. وقد ذهب باركر إلى القول: «أنه فى نهاية الأمر ربما يكون من الصحيح أن تكون الحياة أفضل، وذلك بسبب وجود الموت. وقد أشار إلى أن الخير الأقصى بالنسبة للإنسان هو التوافق التراجيدى، وهو توافق لايرتكز فقط على الشر، وإنما يشتمل أيضاً على الشر، فالتوافق التراجيدى يسكن فى الوحدات *Whols* المحددة لتجليات الخبرة، مثل الحالات النفسية الخاصة بالتحدى، الإيمان، وروح الفكاهة. وبالنسبة لجميع البشر فإن القيمة النهائية فى جوهرها تكون متسمة بالطابع الشخصى تماما بحيث يمكن القول أنها صوفية.(٧٥)

---

(75) *Ibid, p.408.*

الفصل الثانى

القيم والجمال عند باركر

يربط باركر بين الاكسيولوجيا والاستطيقا فى الفصل الرابع من كتابه «القيم الإنسانية». فبعد أن خصص الفصلين السابقين من هذا الكتاب لبيان محاولة تعريف القيمة بمصطلحات الرغبة شأن معظم الباحثين فى القيم، يعرض لنظرية مقابلة تمتد إلي أفلاطون، هى النظرية القائلة بأن القيمة هى الشكل *form* فالخير ليس فى إشباع الرغبة، ولكن فى شكل معين أو بناء *structure* فى التجربة والموضوع، ويرى أن هذه النظرية تحتوى على عنصر من الحقيقة «فكل قيمة تحتوى شكلاً»، وهناك كما يذكر لنا أنواع عديدة من الشكل تفسر القيمة.

ويجب الإشارة بداية إلى أننا لا نجد لدى المهتمين بدراسة القيم مثل هذا الربط بينهما، ومن هنا يمكن القول أن هذا الإسهام يرجع إلى باركر، ففى الوقت الذى اهتم الفلاسفة بما يطلق عليه قوانين ومبادىء القيمة لا نجد تحليلات تتعلق بشكل أو بناء القيمة، ففى كتب الأخلاق على سبيل المثال نجد الاهتمام بعرض قواعد السلوك، وليس أشكاله. ومن هنا يلجأ باركر إلى علم الجمال ففيه نجد الاهتمام الكبير بموضوع الشكل الجمالى، يقول «يمكن للنظرية الجمالية أن تنير النظرية العامة للقيمة، لأن الشكل الجمالى - كما نرى - نموذج إلى حد بعيد للقيمة».

أننا كما يقول: «إذا نظرنا فى أى مجال من مجالات الحياة - فى الصناعة، فى النظام الاجتماعى والسياسى، وفى الأخلاق، وفى الفن، واللعب - نجد أنه حيثما يوجد الخير أو القيمة يوجد بطريقة أو بأخرى شكلاً مميزاً قريب من شكل العمل الفنى»[٧٦] فالشكل الجمالى عند باركر يبدو كما لو كان نموذجاً للشكل العام.

---

(76) De Witt Parker: The Philosophy of Value, p.60.

وطريقة تناول باركر للموضوع تظهر فى بيانه لمبادىء الشكل أو الصورة ومحاولة تتبع وجود هذه المبادىء فى القيمة. وأول مبادئ الشكل التى يعرض لها هو: «الوحدة العضوية أو «الوحدة فى التنوع» أكثر المبادئ عمومية فى العمل الفنى؛ وهو شرط مطلق لقيم «النظام الأعلى». ويقرر هذا المبدإ أنه حيثما توجد القيمة يوجد نظام للتجربة من ذلك النوع الذى يحتوى على عدد من العناصر المتمايزة مرتبطة فى نمط ما، أن هذه العناصر، كل على حدة، ومجتمعة تسهم فى إدراك الرغبة التى هى أصل القيمة. ويشرح باركر حقيقة هذا المبدأ بإسهاب من خلال كل واحدة من القيم الرئيسية، وموضحاً أنه لايوجد فرق فى وجود هذا المبدإ . سواء من ناحية تجربة القيمة ككل أو فى موضوع التجربة، ويعطى شرح لأمثلة عديدة توضح ذلك فى قيم: الراحة *Comfort*(٧٧)، والصحة، والفعالية، والقانون، والطموح.(٧٨)

أما المبدإ الثانى للشكل فى القيمة الذى يعرف بـ «الوحدة فى التنوع» *difference* - ويطلق عليه كما يتابعه باركر فى الموسيقى - «الموضوع الرئيسى وتنويعاته، ويؤكد هذا المبدإ أنه بينما ترتبط القيمة عادة مع موضوع محدد يظهر هذا الموضوع فى هيئات متعددة (متكررة)(٧٩) وإذا كانت القيمة نظام متجانس يحتوى على أصداء وأنغام تجارب ماضية، فالإنسان لديه مجموعة من الاهتمامات المحدودة وأقصى ما يستطيع أداءه تنويع وتلوين هذه الاهتمامات فى «تأليف حياته»، فنحن نرحب بتكرار كل تجربة قيمة، وبينما يزيد التكرار القيمة؛

---

(٧٧) ويرتبط بمبدإ الوحدة العضوية ارتباطاً وثيقاً مبادىء: الوضوح *Clarity* والعزلة *isolation* إلا أن أولهما لا ينطبق على الفن بشكل عام، ولا ينطبق مثلاً على الشعر الرمزى الذى قد يكون مالارميه *Mallarm* مثالاً له، برغم أنه تحت تأثير النظريات العقلانية زعم أنه مبدإ جمالى مطلق، أما الآخر فهو ينطبق على الفن ولا ينطبق على العلم. وبالتالى فهما مبدأن خاصين وليس مبدأين عامين.

(٧٨) يعتمد باركر هنا فى هذا الموضوع اعتماداً كبيراً على الفصل الثانى من كتابه «تحليل الفن».

(79) Ibid, p.62 - 63.

فـإن التكرار المحض يفسدها: والتكرار الزائد عن الحد يقلب الاهتمام إلى استجابة شبه آلية، وتختفى القيمة «فالتغير والتنوع ضروريا لإعطاء القيمة الحماسة والحيوية».(٨٠)

وتبدوا الحاجة إلى التكرار غير متوافقة مع القيمة الخاصة التى ترتبط فى ظروف معينة بالتفرد؛ فثمة تجارب ذات قيمة نفضل عدم تكرارها، وأخرى يكون تكرارها بلا معنى، وثالثة أفضل قبل أن تتكرر. فكلما تميز الشرف كلما تضاءلت إمكانية تكراره.(٨١) وهو يميز بين ما يسميه التفرد النسبى والمطلق، فمبدأ «الوحدة فى الأختلاف» يشمل تفرداً نسبياً لأن الحاجة للاختلاف لها من الأهمية ما للحاجة إلى الوحدة، وأن الاختلاف عنده يتضمن دئماً تفرداً نسبياً.(٨٢)

ورغم تميز مبدإ التفرد عن مبدإ «الوحدة فى الاختلاف» فهو لايتعارض معه. لأن الموضوع المتفرد على بقائه متفرداً من ناحية، سيوضح مبدإ «الوحدة فى الاختلاف» من ناحية أخرى، فأى عمل فنى مثل «الموناليزا» يتفرد على الإطلاق فى امتلاكه خاصية الجمال، ويقيم مع ذلك لأنه يجسد الجمال القديم المعتاد الذى يجعله فى موضع مقارنة مع أى عمل فنى آخر. ونفس الأمر فيما يتعلق بالمساواة *equality*.(٨٣)

وهناك نمط آخر من أنماط الشكل هو التوازن *Blance*. ويعتمد التوازن على التناقض.(٨٤) بيد أن التناقض المحض ليس ذا قيمة لأنه لو أن أحد العوامل المتناقضة كان زائداً فثم شر وليس خيراً. لهذا السبب لايقبل باركر بمثل هذا

---

(٨٠) قارن مفهوم سارتر للقيمة كإبداع غير مسبوق.

(٨١) يعطينا باركر أمثلة على ذلك بالزواج، والحصول على مكانة رفيعة: كالتتويج، والحب الأول، المصدر السابق. ص٦٥.

(82) Ibid, p.65.

(83) Ibid, p.66.

(٨٤) التناقض بين الألوان، وبين الكوميديا والتراجيديا، وبين جدية العمل وخفة اللعب.

التناقض بين مبادئ الشكل. لأنه فى حالة التساوى بين المتناقضات فقط، أى التوازن توجد القيمة. ويميز باركر بين «الوحدة فى الاختلاف» بالمعنى المحدد وبين التوازن ففى الأول التطابق هو السائد بينما فى الأخير الاختلاف هو الغالب.

ويحدث التوازن فى «مواقف القيمة» على وجهين، أما داخل القيمة ذاتها أو بين القيمة وأسسها. والنمط الثانى من التوازن هو التوازن داخل القيمة ذاتها. وأغلب الأمثلة التى يقدمها لنا باركر كما هو واضح تقع فى نطاق الفن.(٨٥)

ويشير أيضا إلى مبدأ التناعم (الايقاع) *rhythm* إلا أن التناغم ليس شكلاً مميزاً لأنه مجموعة من التوازن والوحدة فى الاختلاف. والتناغم يشمل بوضوح توازن المتناقضات، ويشمل تكرار الازواج المتوازن.

والمبدأ التالى هو «التطور» *evolution* وهو وحدة التجربة المبدعة فى العمل نحو الاكتمال لاهتمام ما أو غرض، والقيمة المنجزة تنتمى لعملية التطور كلها، وأثنائها تزداد القيمة لكى تكتمل فى النهاية. والوحدة تتضمن سلسلة من العناصر المميزة، ولكن غير منفصلة كل واحد منها يسهم فى دوره بشئ ما فى التطور.

ويعطينا باركر مثالاً بالطموح *ambition* حيث مجرى حياة الإنسان الناجح أثناء تقدمه عبر سلسلة من الأفعال والسلوك خطوة خطوة إلى المكانة والشرف الذى يتمناه مثال تام للوحدة التطورية حيث الهدف بالنسبة له متوقع.(٨٦)

ويميز باركر عدة مراحل فى الشكل التطورى: مرحلة الإعداد، مرحلة التطور، مرحلة الإدراك، مرحلة الاسترخاء. وأى عمل طموح به هذه المراحل، فهناك المرحلة الأولى من تخطيط ووضع الهدف، يتبعها منهاج عمل يؤدى إلى

---

(٨٥) فى الرسم التوازن بين الألوان الدافئة والباردة، الخطوط الأفقية والرأسية، وفى النحت التوازن فى الأنصاف المتناسقة للجسم البشرى.

(86) Ibid, p.74.

تأمين المكانة أو الشرف أو النصر المنشود، ثم النجاح الحقيقى ذاته، وأخيراً الاسترخاء. والمنهاج المعتاد للإبداع الفنى يمر بسلسلة مشابهة من المراحل: الاستهلال بصيغة ما، ثم التطور سريعاً إلى خطة مؤقتة للتعبير الملموس فى شكل فنى محدد، يتبعها متعه هادئة وربما حاسمة بالعمل المنجز.

التطور يتخلل أيضاً «التنوع الموضوعى»، لأنه عندما تتكرر تجربة للقيمة فإن هذا التكرار ليس مجرد، زيادة لأن كل حدوث جديد للقيمة يضيف لما يليه حتى تكون القيمة النهائية فى نهاية السلسلة أكبر من القيمة الأولى.

وآخر مبدإ من مبادىء الشكل فى القيمة هو التسلسل *hierarchy*. فى أى تجربة للقيمة ليست كل العناصر المتمايزة على مستوى واحد، فالعناصر مرتبة فى نظام نسبى تسلسلى. والمثال على ذلك قيمة الولاء. فالولاء للجماعة يتوسطه الولاء لقادة هذه الجماعة. وبقدر ما تكون الأوضاع فى المجتمع المتطلبة لولاء المواطنين موضوعات الاهتمام الطموح يكون البناء الأخلاقى للمجتمع ملازماً لما نسميه البناء الطموح.(٨٧)

ثانياً : الاستطيقا(٨٨)

إن الهدف من الاستطيقا أو فلسفة الفن، هو اكتشاف السمات النوعية للفن الجميل أو البديع(٨٩) وأيضاً تحديد علاقة الفن بوجوه الحضارة الأخرى مثل:

---

(87) Ibid, p.79.

(88) De Witt Parker: Aestetics in Runs, Twentieh Century Philosophy, 1935.

كتاب رونز «فلسفة القرن العشرين».

(٨٩) تطرح الاستطيقا أو «علم الجمال» أسئلة فلسفية حول «المعنى» ماذا يعنى؟ والمعرفة فى مجال الجمال، وكذلك تصورات القيمة الجمالية، والتجربة الجمالية، وتناقش مسائل الخصائص التى تجعل الموضوعات جميلة، وهل ثمة معايير جمالية؟ والعلاقة بين الأعمال الفنية والطبيعية؟ ومعظم القضايا المثارة فى فلسفة الفن تبحث فى إطار علم الجمال كذلك. ويميز جون هسبريس J.Haspers بين الاستيطقا وفلسفة الفن التى تغطى مجالاً أضيق إلى حد ما من مجال علم الجمال، لأنها تتعلق فقط بالقضايا والتصورات التى يبدو أن لها علاقة بالأعمال الفنية وتستبعد التجربة الجمالية للطبيعة. وتدور حول قضايا: التعبير الفني، الصدق فى الأعمال الفنية، الرمز ا لفنى، تعريف الفن.

العلم، والصناعة، والأخلاق، والفلسفة، والدين، ومن ثم فإن الاستطيقا مفهومة بهذا المعنى تتميز على نحو دقيق عن الدراسة التاريخية للفن وهى الدراسة التى تهتم، ليس بماهية الفن بل بتطور الأساليب والمدارس الفنية.(٩٠) وفى بعض الأحيان يتسع مجال علم الجمال ليشمل الجمال فى الطبيعة وفى الحياة البشرية، ولكن عندما يفعل ذلك فإن سيفقد دقة المحتوى بسبب ذاتية الجمال فى هذه المجالات، على أية حال فإن الفن سمة شىء يتضمن الجمال هو أمر مهتم به على نحو عام. الفن كتجسيد للجمال هو الملاحظ على العموم؛ فاصطلاح الاستطيقا استخدم للمرة الأولى بمعناه الحالى بواسطة جوتليب بومجارتن عام ١٧٣٥ فى مؤلفه (تأملات فلسفية) وبعد ذلك فى عام ١٧٥٠ فى عنوان كتاب «الاستطيقا»(٩١) وهى مشتقة من الكلمة اليونانية *aistheta* التى تعنى الموضوعات الحسية فى مقابل مع المعرفة العقلية، وقد أفاض الفلاسفة فى بحثها ودراستها، إلا أن بعض من أكثر المفاهيم أهمية قدمها شعراء فنانون أمثال: شيلى *Shelley*، وجوته *Goethe*، وشيلر *Schiller* الذين نظروا فى تجربتهم الإبداعية والنقدية.(٩٢)

(٩٠) يختلف تاريخ الفن عن الاستطيقا أو علم الجمال، ونستطيع مراجعة عمل هاوز «أرنولد» الفن والمجتمع عبر التاريخ، ترجمة د. فؤاد زكريا فى جزئين، الصادر عن دار الكاتب العربى، القاهرة، ١٩٦٩، الذى يقدم لنا تاريخاً اجتماعياً للفن يكاد يعادل عرض شامل لتطور الحضارة الإنسانية انطلاقاً من أن الفن لا يتطور فقط من خلال منطقه الخاص دون تدخل أية عوامل تنتمى إلى مجال خارج عنه، حيث يحرص على الربط بين الفن وما يسميه «بالعامل الاجتماعى».

(٩١) الكسندر بومجارتن «*Bammgaten*» ١٧١٤ ـ ١٧٦٢، تتلمذ على فولف، وهو أول من استخدم مصطلح استطيقا فى رسالته للدكتوراه والتى صدرت عام ١٧٣٥ بعنوان «تأملات فلسفية» ثم فى كتابه «الاستطيقا» الذى صدر الجزء الأول منه عام ١٧٥٠، والثانى عام ١٧٥٨ ليميز بين مجال الإحساس بالجمال وإدراك الصور الخيالية عن المعرفة المنطقية القائمة على الأفكار الواضحة.

(٩٢) بالإضافة إلى هؤلاء الفنانين أصحاب الرؤى والنظريات العامة حول الفن والجمال يمكن أن نشير إلى الأديب والناقد تولستوى الذى قدم لنا عملاً هاماً تحت عنوان «ماهو الفن؟». ترجمة محمد عبده النجارى، دار الحصاد، دمشق، ١٩٩١، وكذلك دراستنا عنه «دراسات جمالية»، مكتبة النصر، القاهرة ١٩٩٤، ص٢١٣ ـ ٢٢٣.

هناك مجالان ارْتبطا ارتباطاً وثيقاً فى المحتوى والتاريخ بعلم الجمال هما: سيكولوجيا الفن[٩٣]، والنقد، فالأول، سيكولوجيا الفن؛ الذى نشأ فى القرن الثامن عشر لارتباطه بالتجريبية الانجليزية، هو بحث عن العناصر والشكل ومحتوى الخبرة التى تقدمها الأعمال الفنية؛ لأن الأعمال الفنية تصبح حية وواقعية فقط عندما تختبر، فإن فلسفة وسيكولوجيا الفن متزامنتان وغالباً ما تطابقتا، ومع ذلك فإن تقسيم العمل بينهما واضح، لأن أحدهما يهتم بالتحليل التفصيلى للتجربة الجمالية فى ذاتها، بينما يستخدم الآخر هذه المعلومات فقط بقدر ما تساهم فى مفهوم عام أو تعريف للطبيعة وغرض الفن، ولمناقشة كاملة لمشاكل ومناهج سيكولوجيا الفن سأشير إلى الكتابات المقتبسة من «مجموعتى المختارة».

وهنا أود أن أشير إلى أن الدراسة المسماة *Einfublung* أو التقمص، تموضع الشعور، والمعانى فى الألوان، والخطوط، والأشكال، والنغمات، والكلمات وما شبه، والتى تشكل الوسيط الحسى أو مظهر الأعمال الفنية، وكذلك أشير إلى دراسة الحالة العقلية الكاملة أثناء التقدير الوجدانى، الذى يولد مثل هذه المفاهيم: «المسافة الجمالية»، «الراحة الجمالية» كان ذو قيمة خاصة يحتوى على الأنواع الأدبية والموسيقية. فالأهتمام بالعمل الفنى نادراً ما ينتهى بتذوق شخصى فحسب، بل يستمر أثناء الحوار مع الاصدقاء أو المناقشات المكتوبة، الخاصة بجدارته النسبية التى تتحدد وفقاً لمبدأ التوقع، سواء كان هذا المبدأ ضمنى أو صادر من خلال صيغة محددة؛ فالأحكام الجمالية، وخاصة تلك التى تأتى عن خبراء للجمال تشكل عنصر وثيق الصلة بعلم الجمال. فالنقاد يصدرون الأحكام على الأعمال الفردية فى الفن، وعلماء الجمال يبحثون عن طبيعتها وصلاحيتها، ومن هذه الزاوية ففلسفة الفن فى الأساس هى نقد للنقد.[٩٤]

---

(٩٣) يمكن أن نشير فى هذا الصدد إلى موقف هيوم من الجمال. الذى أشاد به باركر كثيرا. باعتباره من الدراسات الفلسفية المبكرة فى سيكولوجيا الفن. راجع «هيوم والذاتية الجمالية» الفصل الرابع من كتاب د. على أبوملحم «فى الجماليات نحو رؤية جديدة إلى فلسفة الفن»، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩٠، ص٤٠ . ٥٠.

(٩٤) عن العلاقة بين النقد وعلم الجمال، راجع لويس آرنودريد: الفنانون والنقاد والفلاسفة.=

هناك ثلاثة مفاهيم عامة سادت تاريخ الاستطيقا هى: المحاكاة *imitation*، التخيل *imagination*، والتعبير أو اللغة. فالمفهوم الأول قدمه أفلاطون، وأرسطو وقد وجد دائما قبولاً واسعاً وهو يناسب: الدراما، الرسم، والنحت حيث نجد أمام أعيننا صورة للطبيعة الملاحظة، والأفعال الإنسانية كما فى المرآة[٩٥]، والإغريق على أية حال تصوروا أنها (المحاكاة)، تغطى مجال: الموسيقى، الوزن، الإيقاع الهرمونى، ولكن من الملاحظ فى ظل الممارسة، أنه ليس هناك فن محاكاة تامة سواء ممكنة أو مرغوبة. ولكى تعم الفائدة فإن مفهوم المحاكاة يجب أن يفهم من ناحية فلسفية دقيقة[٩٦]. وتاريخياً فإن هناك محاولتين هامتين للمراجعة. فالأولى قدمها بالفعل أرسطو وتقبلها معظم كتاب عصر النهضة، فبالنسبة لهم فإن الفن لايحاكى كل المجالات، بل المجالات العامة فى الحياة والطبيعة فقط.[٩٧]

=ترجمة د. إبراهيم إمام، مصطفى رفيق، دار النهضة العربية، القاهرة، ود. أميرة حلمى مطر: مقدمة فى علم الجمال وفلسفة الفن، دار المعارف، القاهرة، ص١٣ ـ ١٦.

(٩٥) انظر دراسة د. محمود رجب: فلسفة المرآة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٤.

(٩٦) المحاكاة *Imitation* وباليونانية *mimesis* من أصعب المصطلحات فى جماليات أفلاطون، وذلك لأن دلالته تتسع وتتفاعل باستمرار تبعاً لتطور الجدل حيث تتحول إلى معان مترادفة قريبة من معناها مثل: المشاركة التشابه، الشبه. فلو كانت جميع المخلوقات محاكاة للمثل الأصلية الخالدة صور لها *Forms* فإن أفلاطون يُعد اللوحات والقصائد الدرامية والأغانى محاكاة بالمعنى الضيق لكلمة المحاكاة: أى أنها صور، وهذا هو الرأى الذى يضع الفنون فى الدرجة الثانية من حقيقة الصور فى أدنى مستويات الإدراك، ومع ذلك فإن بعض الأعمال الفنية. وأفلاطون يتحدث أحيانا كما لو كان يقصد كل الأعمال الفنية ـ هى محاكاة بالمعنى الأزدرائى، أى تشبيهات خارجة. جون هسبريس الاستطيقا، الموسوعة الفلسفية، وراجع أيضاً ما كتبته د. أميرة حلمى مطر فى كتابها: فلسفة الجمال نشأتها وتطورها، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

(٩٧) معرفتنا بنظرية الجمال الأرسطية تأتى أساساً من المجموعة القليلة من المحاضرات التى وصلت إلينا والتى ألقت بين عام ٣٤٧ ـ ٣٤٢ق. م وما أضيف إليها فيما بعد فن الشعر "*Poetics*" وقد نسب لأرسطو قوله إن الفن «محاكاة الطبيعة» غير أن المقصود ليس الطبيعة، ليس عالم الحس الظاهر، إنما الطبيعة المقصودة اصطلاح فلسفى يقصد به القوة الخلاقة فى الوجود. وغاية الفن وفقاً لهذا التشبيه كغاية الطبيعة هى خلق موجودات كاملة الصورة؛ لأن كل موجود له طبيعة تقتضى وجود صورة أو مثال يحاول تحقيقه راجع د. أميرة مطر، المرجع السابق.

وكان هذا ذا قيمة لأنه أعطى الفن قيمة الحقيقة الفلسفية العلمية والدينية طبقاً للنظرية السائدة للحقيقة. أما المراجعة الثانية فقد افترضت أن الفن يحاكى الأشياء الجميلة فى الطبيعة فقط[٩٨] ومع ذلك فلم يكن فى استطاعة هذين التعديلين لمفهوم المحاكاة أن ينقذوه من الصعوبة، لأن التطبيق العام لكل منهما محل شك كبير. فهناك أعمال فنية تعبر عن مظاهر تكوينية للوجود، لكن كانت هناك حركات كاملة حاولت فى المقابل أن تعبر عن الأشياء الفريدة الوقتية وحتى المرضية منها. بل أن بعض الأعمال الفنية تعبر عن الحقيقة، ولكن ليس كلها. فالشباب والفتيات الجميلات كلهم يجب أن ينال منهم التراب كما ينال من منظفى المداخن. ولكن أسمع، أسمع البلبل يغنى على أبواب السماء، فهذه المعانى لاتعبر عن الواقع، لكن عن العواطف. وعندما يعبر الفن عن الحقيقة فإنه لايعبر مطلقاً عن الحقيقة المجردة، ولكن يشمل على الشعور المتناغم الفنان كما فى هذه الفقرة التى تستشهد بها من *Gymbaline*» ليس مجرد المفهوم بل أغواء *ure* المفهوم.

وبمعنى آخر هذا المفهوم المحدد للمحاكاة يهمل عنصر الشخصية المهم للفن، ولذلك يفشل فى تمييز الفن عن العلم. وبخصوص جمال الطبيعة كموضوع للمحاكاة ربما نتساءل مع «ديدور» *Diderot* ما هى الطبيعة الجميلة؟ هل هى على سبيل المثال، المناظر الطبيعية الإيطالية على طريقة بوستين *La Pousion* أو كما رسمها برجل *Brueghel* ؟ هل هى نفس الشىء عند النبيل الارستقراطى، أو البرجوازى، أو لفلاح، والعامل؟ إذا كان الجمال شكل محض أى نسق خالص، فالفنان قادر على تكوين هذا بدون النظر للطبيعة كنموذج يحتذيه.

---

(٩٨) تعالج تاسوعات *Eneade* أفلوطين مسائل جمالية خاصة: «فى الجمال *On Beauty* وفى الجمال العقلى، وكيف ظهرت الأشكال المثالية؟ وفى الخير فخلف العالم المرئى يقف الواحد أو الأول، وهو الحقيقة النهائية فى أقنومها الأول أو نورها البعيد عن كل تصور أو معرفة. أما فى أقنومها الثانى فإن الحقيقة هى العقل، ولكنها أيضاً الأشكال الأفلاطونية التى تعرف بالعقل وفى أقنومها الثالث هى الروح الكلى أو أساس الإبداع والحياة. وفى إطار خطته هنا درجات لانهائية من الوجود تنبثق من النور المركزى، ومع أن أفلوطين قد استوحى أفكاره من المأدبة ومحاورات أفلاطون الأخرى. فإنه طور نظرية للجمال على مستو راقٍ من الأصالة.

فأوجه القصور فى مفهوم المحاكاة عرفت بالفعل، لوحظت فى الآثار وكما عبر عنها بوضوح شديد فيلوستراتوس *Philostratuz* الذى تساءل، إذا كان الفن محاكاة فكيف يمثل النحاتون الآلهة الذين لم يراهم الإنسان؟ هل هذه الآلهة نزلت بالصدفة إلى جبل الأولب؟ وأن هذا يعنى أن الفنان مبدع وخلاق وليس محاكياً، وأما بالنسبة لبناء وتأليف القوالب القصصية فإن المصطلح الذى استخدم بوجه عام منذ استعمله فيلوستراتوس هو الخيال، ومن ثم فإن وجهة نظر جديدة قد ظهرت، وهى الفن كخيال. ولدت من مشكلة الفن الدينى، فى وقت مبكراً جداً.

من العصر الحديث ـ عصر هارت وبيكون فى نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر. لوحظت عدة خصائص هامة للخيال: مثل ارتباطه الوثيق بالعاطفة، ارتباطه بالحلم، تضاده وليس معارضته للعقل، وعلى كل فقد رؤى أن نتاجات الخيال. والتى نطلق عليها أعمال فنية، تشكل عوالم صغيرة مستقلة بذاتها خاصة بزمانها ومكانها ومختلفة عن عالمنا الذى نلمسه، وأيضا بتركيبها النموذجى للوحدة العضوية، وايقاعها، وكنوع الموضوع والحبكة مليئة بقيمها واشباعاتها الخاصة تنبع حقاً من نفس الينابيع التى ينبع منه الفعل *Action*، ولكنها مع ذلك مستقلة عن الفعل ذاته. أنها لاتنتمى إلى مجال الواقع، ولكنها مظهر اللعب. إن التأكيد على السمة الفنية المقنعة يقود إلى مذهب الفن للفن نفسه، تقيحها يكمن فى معرفة عنصر الحقيقة فى نظرية المحاكاة، فكون الخيال لايجذب اهتمامنا دائماً، إذا ما فشل فى أن يهتم بمشاكل الحياة الحقيقية.

على أية حال فإن الفن لايعرف بطريق كافية بمصطلحات الخيال، بحيث يمكن تبين السمات الاجتماعية للأول والسمات الخاصة للآخر، فالفن فى الحقيقة حلم، ولكنه حلم ممكن أن يشارك فيه. فالميزة الأسمى لمفهوم الفن كلغة أو تعبير هى أنه يضع فى اعتباره طبيعته التواصلية. ومن الصعوبة بمكان القول أين، وعن أى طريق تتبع هذه الفكرة؟ ربما يقتفيها المرء فى دراسات الخطباء

اليونان، لأننا نجد فى كتابات أرسطو التمييز بين التعبير الوصفى، والعاطفى. والتى قدر للفن أن يندرج تحتها، وكان لدى المفكرين المعاصرين: كوندياك *Con-dillac* وفيكو *Vico* وهردر مفهوم معرف للفن كجنس لغوى، وبعد ذلك بمائة وخمسون عاماً أعطى فيرون *Veron* هذه النظرية تعريف صريح لا لبس فيه، ومن أجل تعريف الفن فإن هناك ثلاثة أنواع من اللغة متمايزة(٩٩).

اللغة الوصفية، واللغة العملية، واللغة الشعرية، فالأولى؛ أى اللغة الوصفية مبنية على الأبحاث العلمية، والتى تهدف تسجيل ورصد المعلومات، والثانية اللغة العملية عن طريق الأمر والتوسل الوعظ أو نشر دعاية، والهدف الأساسى منها هو التنبيه أو النهى عن الفعل. أما الثالثة اللغة الشعرية فتوضح عن طريق مقطوعة شعرية، أو موسيقية، وتهدف إلى التأثير فى الحالة المزاجية(١٠٠). ولكن

---

(٩٩) وهذا نفس ما نجده لدى كل من د. س. ك أوجدان وأى . أ. ريتشارد فى «معنى المعنى»؛ الذى يؤكد على التمييز بين الوظيفة الوصفية والعاطفية للغة، وقد اقترحا معنيين ضمنيين جماليين الأول أن التمييز الذى طال نشدانه بين الحديث الشعرى والعلمى موجود هنا، حيث يعتبر الشعر أساساً لغة انفعالية، والثانى أن أحكام الجمال وأحكام القيمة الجمالية الأخرى يمكن تفسيرها على أنها انفعالية خالصة. هذا الكتاب و كتب ريتشارد التالية ارتباط معاً بعدد من الدراسات الجمالية فى النظرية العامة للتأويل، مثل جون هوسبرز *J.Hispers* «المعنى والصدق فى الفنون» وتشارلز ستفنسون فى «التأويل والقيم فى الجمال» وموريس فيتز *M.Weitz* فى «فلسفة الفنون» وإيزابيل س. هنجرلاند «الحديث الشعرى».

وقد قدم كاسيرز فلسفته فى «فلسفة الأشكال الرمزية» وفى «مقال عن الإنسان» وقد مارست فلسفة كاسيرر تأثيراً قوياً على اثنين من الفلاسفة الأمريكيين خصوصاً إيربان *W.M.Urban* فى «اللغة والواقع» عام ١٩٣٩، حيث دلل على أن الرموز الجمالية إنما هى رموز الحدس من نوع إلهامى خاص، وسوزان لانجر فى كتابها «الفلسفة بمفتاح جديد» تبرهن أن الموسيقى رمز لبنية الوعى الأول الإنسانى وفى كتابها «الشعور والشكل» وفى مقالات متنوعة قضايا الفن، ١٩٥٧ وقدم تشارلز و. موريس رأيا مشابهاً لسوزان لانجر، وذلك فى مقالين قدمهما عام ١٩٣٩ هما «علم الجمال ونظرية العلامات» وفى العلوم والفن والتكنولوجيا «العلامات واللغة والسلوك» وباستخدام مصطلحات لتشارلز بيرس يعامل موريس الأعمال الفنية على أنها علامات أيقونية، ص١٢٧.

(١٠٠) لقد ساد الاهتمام فى فلسفة الجمال المعاصر باللغة. نجد ذلك لدى فلاسفة التحليل اللغوى عند ريتشارلز *I.A.Richards* الذى ميز فى كتابه «معنى المعنى» بين لغة إشارية *Referential* وهى المستخدمة فى العلوم، ولغة انفعالية *Emotional* وهى المستخدمة =

الموسيقى فقط أو الرسم التجريدى لبيكاسو أو براك؛ هى لغة شعرية خالصة، بينما لغة الفنون الأخرى، هى لغة وصفية أيضاً. ولذا نجد فى الشعر الكلمات التى تستخدم بالاضافة إلى أنها تعبر عن الشعور، فإنها تحدد الأهداف، أو تعبر عن التعليمات، وفى الرسم التقليدى فالأشكال التكوينية لها معانيها كما فى المبانى، والأشجار، والأشكال الإنسانية، وعلى الرغم من هذا، فوظيفة اللغة الوصفية فى الفن ليست منفصلة عن اللغة الشعرية؛ لأن سيزان لم يكن يستطيع أن يعبر عن مشاعره نحو مونت *Mont* سانت فكتوار بدون استعراضها، ولم يستطع فورست فكتور أن يعبر عن شعوره تجاه ممر الفضيلة بدون أن يخبرنا بالتحديد أن لاشىء مصنوع من ذهب يبقى.

وفى هذا الصدد، يكون من المفيد أن نلاحظ أن تفرقة شارلز بيرس *Peirce* بين ما أسماه الأيقونية *Aconic* (١٠١) واللغات التقليدية، له صلة بعلم

=فى الفن والأدب، وكذلك كل من أرنست كاسيرر وكل من إيريان وسوزان لانجر وشارلز وليامز، الذى ذهب إلى التفرقة بين اللغة العلمية واللغة التكنولوجية واللغة الاستطيقية فى الفن وحاول تفسير أنواع النشاط الإنسانى بالنظر إلى العبارات اللغوية المستعملة فيها فى كتابه «العلم، الفن والتكنولوجيا» *Science, Art and Technology, The Kenyon Review, 1939, pp.409 - 433.* فاللغة التكنولوجيا توجهنا إلى سلوك معين لكى نحقق به نتيجة أو نلبى به حاجة مستخدمة أسلوب الأمر، أما اللغة العلمية فتتلخص فى القدرة على تقديم تنبؤات دقيقة، أما اللغة الاستطيقية فهى اللغة المعبرة عن قيمة فالفن لغة توصيل القيم، هو لغة القيمة، ص٢٧ ـ ٢٨.

فالعمل الفنى هنا موضوع مركب تدخل فيه عناصر حسية، وخيالية، وفكرية، وهو لغة *Language* وهو تصميم *Deign*. وقد يغلب على فن التصوير مثلاً القيمة الحسية والشكلية، فإذا لم يتوافر فى التصوير تنظيم معين للألوان والخطوط لا يوجد تصوير وتحقيق هذا التنظيم فى الأعمال الفنية، هو الذى يكسبها القيم التى يسميها باركر *Musical Values*. ويمكن للأعمال الفنية أن تتفاوت وتتفاضل من حيث تضمنها لهذا القيم الشكلية، ولكن هناك أيضاً قيماً تمثيلية مستمدة من الطبيعة، مثل المكان والضوء والحركة والوزن، والقيم الفكرية المستمدة من الحياة الإنسانية، راجع د. أميرة مطر: مقدمة فى علم الجمال، وفلسفة الفنون الجميلة، ص٤٠ ـ ٤١.

(١٠١) كلمة أيقونة فى معناها الشامل قد تعنى فسيفساء أو سطحاً مزخرف البناء أو الرسوم الجدارية (الأفرسك) إذ أن أصل الكلمة يونانى يعنى صورة، وهى تستخدم فى الإشارة إلى الصور المسيحية.

الجمال. فالشعر يعدُ توضيحاً للأخيرة والنحت والرسم والدراما يوضحون الأولى؛ لأنهم يعينوا الموضوعات بواسطة تقديم أوجه التشابه بينهم؛ فاللغة الأيقونية لديها عبقرية حسنة سهلة تقص اللغة التقليدية، ولديها القدرة على تعويض ما تمنحه اللغوية اللفظية للاستعارة وصورة الحديث الأخرى.

ومن ناحية أخرى فاللغة اللفظية أكثر مقدرة على التعبير عن التعميمات (الأفكار)(١٠٢) بينما تصور الفن كلغة شعرية كافياً لكى تؤسس الجنس *geuns* انه ليس كافياً لتأسيس تمييز الفن. وهناك خاصيتان مميزتان للغة الجمالية يمكن ذكرهما فهى أولاً بالمقارنة باللغة العادية، بحث الرموز والعلاقات واضحة جلية. فالاهتمام فقط يكون بمعانيهم، بينما هى مبهمة فى الفن. ففى الشعر نجد الكلمات نفسها مجرد أصوات مرتبطة بالإيقاع، الوزن، السجع، واللحن. وفى العمارة، والرسم هى عبارة عن تعبير مزاجى غامض تماماً مثل الموسيقى.

(١٠٢) يرى بعض علماء الجمال أن محاولة تعريف الفن تتجه إلى التعميم والتأمل الفلسفى، ومقابل ذلك فإن من الأفضل التعرف على الخصائص الأساسية التى ينطوى عليها العمل الفنى، ودويت باركر يحددها فى ثلاثة عناصر هى: الخيال واللغة والتصميم. يقول: «إن العمل الفنى يرضى رغبات الإنسان لا على المستوى الفيزيقى أو الاجتماعى أو العملى، بل على مستوى اللذة الخيالية».. وللخيال عنده معنى واسع، بمعنى أن الوسائل الحسية التى تستخدم فى العمل الفنى: كالأصوات والألوان والمعانى تجعلنا نحس أننا نستمد منها بهجة، نحس تجاهها كما لو كنا نستمد منها فائدة معينة، وقد يكون العمل الفنى مثلاً حذاء أو منزلاً فكيف يخاطب مثل هذا الشىء المستعمل الخيال؟ يقول لايجب أن نلبسه لنقدره، بل يوحى لنا بطريقة ظهوره كما لو كان يسبب لنا راحة معينة، فالقيمة الجمالية تتلخص فى تحويل القيمة العملية إلى قيمة على مستوى الخيال.

وتعلق د. أميرة مطر: «أن هذا تفسير لطبيعة الفن يتسع حتى للفنون التطبيقية، بالإضافة إلى الفنون الجميلة، التى يكون فيها هذا الطابع أوضح، وليس معنى هذا أن استخدام موضوعات الفن التطبيقية أو الفنون الصناعية يضيع جانبها الجمالى بالضرورة، فقد يحدث أن يساعد على تقديرها لكن القيمة الجمالية المستمدة منها هى قيمة مختلفة، لأنها لابد أن تتحقق على المستوى الخيالى. ولابد أن يتميز الفن بشرط آخر يكسبه قيمة اجتماعية هو شرط ذو قيمة مشتركة، وهو الذى يجعل منه نوعاً من اللغة.... وذلك يتم عن طريق الواسطة الحسية وهذا ينقلنا إلى الشرط الأخير الذى يمكن أن نعبر عنه بالصورة أو بالشكل أو التصميم، والتصميم *design* أو الصورة الباطنية فى العمل الفنى تتحكم فيها علاقات داخلية» . د. أميرة مطر، المصدر السابق، ص ١٩، ٢٠.

فبدون هذه الموسيقى للوسائل المادية المجردة، لايوجد فن جميل، مهما كانت المعانى التى بها، هذه هى الحقيقة التى أقرها بيتر Peter فى عبارته المشهورة «إن كل الفنون تميل إلى الموسيقى» وهذا أيضاً هو مبدأ المذهب الشكلى فطبقاً له، الشكل أو المظهر الحسى السطحى، هو فقط الحامل لقيمه الجمالية. ومع هذا فإن هذه النظرية خاطئة بالتأكيد، ذلك لأن فى خبرتنا بالفن يحدث تفاعل بين الشكل والمضمون،وتتدخل المعانى الظاهرة والكامنة، لهذا التركيب كله وليس لعنصر واحد فقط ينتمى الجمال. وصفة ثانية مميزة للغة الجمالية هى الإيحائية *Sugestivenes*، أو السمة المتناقضة *Pradoxival* التى أشار إليها كانط *Kant* ، وهى وفرة المعانى بدون ظهور أى غموض. ففى اللغة العادية نجد أن التعبير يهدف إلى معنى واحد فقط، وهو الشىء النموذجى الذى نعرفه، أو نسلم به، والذى ربما يوجد فى الرياضيات فقط، ومع هذا فإنه لايوجد فى اللغة الجمالية. هذا التضاد قد تحدد فى القول بأن التعبير العادى ذو وجه واحد، بينما الرمز الجمالى متعدد المظاهر. إن الأهمية العظمى فى هذه الحالة من الفن هى اتحاد المعنى الأول مع الثانى، أو هى اتحاد المعنى الظاهر مع المعنى الجوهرى العميق، ومن ثم تأتى الفقرة التى اقتبسناها فإن كلمة الذهب بالاضافة لمعناها الأول الواضح، فهى فى معناها العميق تعنى قيمة، ونفس العبارة فى معناها الثانى أو الظاهر هو «لاشىء جميل يبقى»، ففى هذه العبارة الشعرية مثل «أن روح أدونس مثل النجم الأعلى حيث يوجد الخلود»، أن هذا هو المعنى المتعدد، وهناك أيضاً معنى وراء معنى أو معنى آخر. فإن كل استعارة عبارة عن مثل لتعدد المظاهر والمعانى، ومع هذا فلا يوجد أى غموض فى المعنى: لأن كل المعانى مترابطة، ومرتبطة بعضها البعض، ومرتبطة أيضا بتوصيل العاطفة المركبة للمشاعر والتى تجبرهم جميعاً لتعريفها وتحديدها. قد يعتقد شخص أن اللغات الأيقونية كانت بطبيعتها غير ذات مغزى، ولكن هذا لايوجد فى لغة الفن، فإن تقديم أو استعراض الراعى والغنم شىء عادى فى الفن المسيحى، وهو متعدد المظاهر، فبالاضافة لمعناه الظاهر هناك المعنى العميق،

وهى نظرية كاملة للعلاقة بين الرب والعبد، وهناك وراء أو تحت المعنى الظاهر لمظاهر الطبيعة والتصوير الفنى توجد طبقات كثيرة للمعنى، خاصة بكل متذوق.

لكن بالرغم أن مفهوم الفن كخيال يحتاج إلى دعم من مفهوم الفن باعتباره لغة، فمع هذا لايوجد تعارض بين الاثنين، لأن اللغة الشعرية، تحدث فى الفن ومتلقيه حال من الوعى تشبه الحلم، تملك السمات والمقومات الملاحظة كتمثيل للخيال، وكحلم متصل أو مرتبط، أو عصيان يركن إلى النظام، أو كتلطف، أو سكون لرغبات عديدة تذوب مع رضا، أو قبول الأغراض العقلية. إن أفضل تعريف موجز للفن يوجد فى تعبير شيلى *Shelley* للخيال الذى يوجد فى وجهتى النظر للاتصال واللغة وللحلم كاكتفاء ذاتى.

إن الاقتراب من فلسفة الفن عن طريق النقد ينتمى إلى العصور الحديثة، وقد تطورت المناظرات المثمرة للنقاد، ومع هذا فإن بذور المناقشات الأخيرة قد توجد فى محاورات أفلاطون: فيدروس، وأيون، وبالتالى لدى هوراس *Hrace*، وبلوتارك، ولوجنينوس *Langinus*، وأنا أعتقد أن الجمال فى كتاب كانط «نقد ملكة الحكم» هو الذوق الفطرى أو نوع من الحاسة السادسة، أو يكون نظراً عقلياً كالقوانين والقواعد، والذى يؤسس الجمال، ويحدد قيمة الأعمال الفنية أن تكون أو تصبح محمودة أو معروفة، فإن المشكلتين قد تشابكتا وارتبطتا بوضوح، لأن إذا كان الجمال هو نوع من أنواع الذوق الفريد فسوف لايقبل كتشكيل *Formulation*، لكن كإدراك مباشر بينما على العكس إذا لم يوجد اختلاف فى النوع بالنسبة للأشكال الأخرى فسوف تكون قادرة على التنقيح العقلى.

وبالأخذ فى الاعتبار التماسك الموجود فى هذه التبادلات عند النقاد، وبخبرة واسعة فى الفن فسوف تكون غريبة إذا لم توجد بعض الحقائق فى كل منها، ومن ناحية أخرى فإن كون العمل الفنى هو إبداع خيالى، فهو فى الحقيقة يتضمن تفرداً مدهشاً يتحدى أية نزعة عقلانية، فى إطار أية لحظة تراثية أو غيرها، فإن كل فنان أصيل قد اعترف بهذا، وأن تاريخ جميع الفنون هو عبارة عن سلسلة من التمردات، أو الثورات، والرضا المستمد من الفن مختلف عن هذه

الخبرات العادية. فإذا كان من نفس النوع، فإن النقد سوف يحدد نفسه فى شيئين: الأول هو العلاقة المركبة لعناصر العمل الفنى من ناحية الشكل والمضمون، وذلك بالرجوع إلى اشتراك كل واحد منهم فى القيمة الكلية الخاصة بذلك المستوى وهو الإتقان. والثانى أهمية هذه القيمة فى ضوء فلسفة القيم المقبولة.

وقد جادل بعض دارسى الاستطيقا بأن النوع الأول من إمعان النظر (الفحص)، لكن النسبة الغالبية قد أدركت أنه بما أن الفن من الإنسان وإلى الإنسان، فلا يمكن أن تعفى من النقد طبقاً للمبادئ التى تحكم هذه الأنشطة، إذا كانت القيم الدينية أو الميتافيزيقية هى الأعلى، فإن الأعمال الفنية والتى تعطيهم التعبير فى أكمل شكل، هى الأعظم، وبالرغم من أن الفن الدقيق *Nar-rauly* مطلوب، فهو ليس معيار كاف أو ممتاز. فإن صدق وثبات المعيار الثانى، وهو قبول النقد الفلسفى قد أصبح مرتبطاً بتطبيق النظرية العامة للقيمة على هذه الأعمال الفنية.(١٠٣)

---

(١٠٣) نود أن نشير إلى أن جون هسبرس *J. Hospers* فى دراسته (قضايا الاستطيقا) فى موسوعة الفلسفة، ينتقد بعض تعريفات «الفن» لاستبعادها بعض الأشياء التى نرغب فى أن نسميها فناً أو لتضمنها أشياء قد لا نعتبرها فناً. ويتوقف أمام تعريف دويت باركر، الذى أورده فى مقاله «تعريف الفن» الذى يخضع بدوره لنفس الانتقادات. ووفقاً لباركر ثمة كم من الشروط كل منها ضرورى وكلها كافية، وكلها يجب أن يشبعها شىء ما يسمى عمل فنى، الأول أن العمل الذى يجب أن يعرض مصدراً للإشباع عن طريق الخيال. ففى الحياة اليومية تنشغل الرغبة بموضوعات حقيقية، وتشبع عن طريق مسار من الفعل يقود إلى هدف، يشمل تفاعلاً مع البيئة، ولكن فى حالة الفن تسكن الرغبة للتجربة الماثلة. الثانى أن الموضوع يجب أن يكون اجتماعياً؛ يجب أن يتضمن العمل الفنى موضوعاً مادياً فى المتناول على نحو واسع، وحقيقياً يمكن أن يكون حلماً أو وهماً أو خصلة شعر أو نوط انتصار لا يشبع إلا مالكه أو شخص عزيز عليه. إن الإشباع الذى نأخذه من العمل الفنى ينبع فى جزء منه من علمنا باستمتاع الآخرين به أيضاً. وأن التجربة الخاصة به مشاعة بين الجميع. والثالث يجب أن يكون للفن ككل شكلاً مشبعاً إشباعاً جمالياً. الانسجام والأسلوب والتصميم. وحول هذه النقطة تثار بالطبع. من وجهة نظر هسبرس. عدة أسئلة مثل هل هذه الخصائص تعريف للفن أم محاولة وصف الأعمال الفنية الجيدة؟ والإشارة إلى كونه قد يبدو أنه يشير إلى أن الأخير هو المقصود هل من الضرورى أن تكون الإبداعية للفنان مجسدة فى موضوع فى المتناول على نحو واسع عن موقف هسبرس. انظر كتابنا دراسات جمالية، دار النصر، القاهرة ١٩٩٤، ص ١٧٦.

